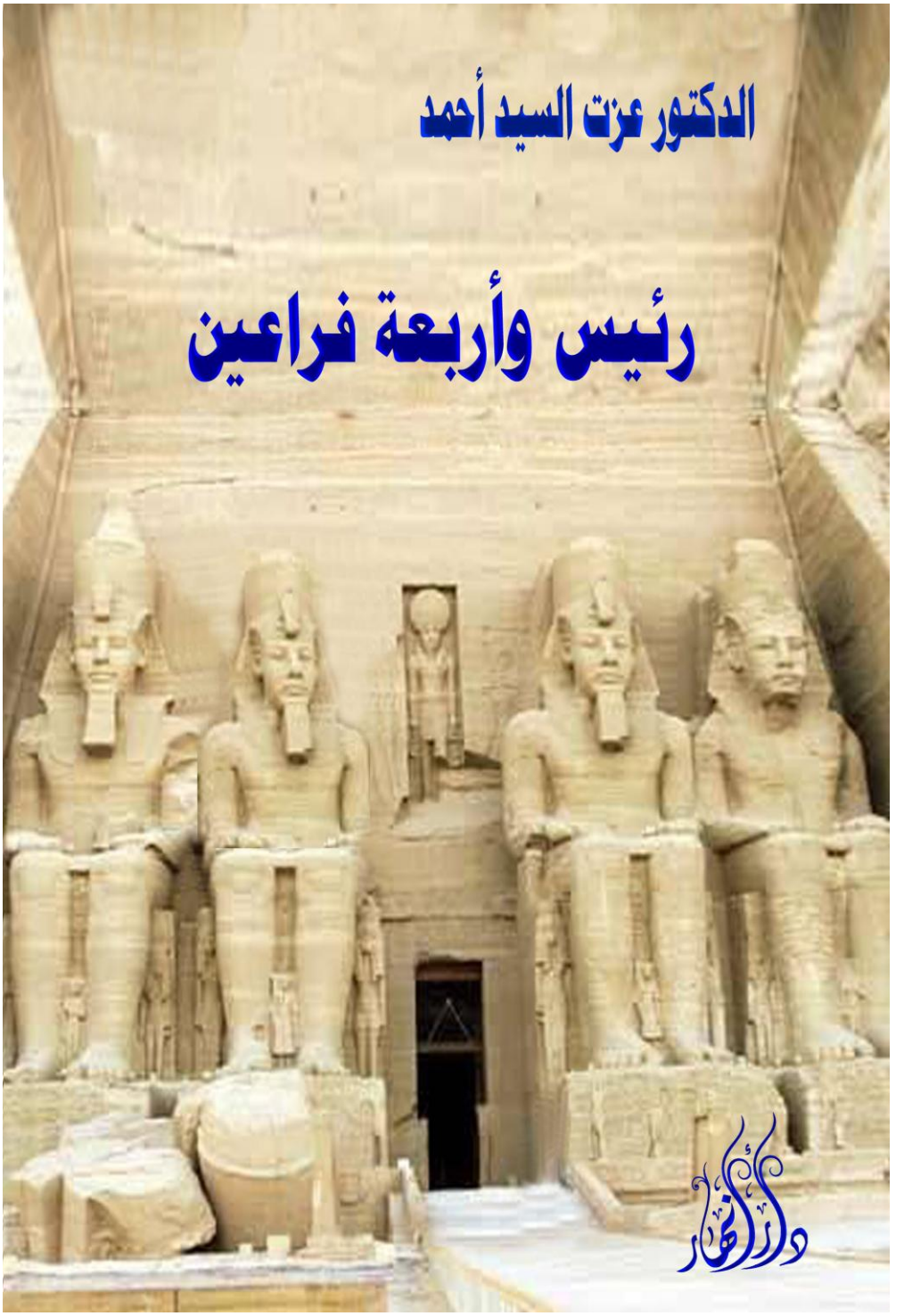
الدكتور عزت السيد أحمد
رئيس وأربعة فراعين
دار النهار

الدكتور عزت السيد أحمد

رئيس وأربعة فراعين

الدكتور عزت السيد أحمد

رئيس وأربعة فراعين

دار أنهار للدراسات والترجمة والنشر

كل الحقوق محفوظة

تمنع طباعة هذا الكتاب أو بعضَه بأيِّ وسيلةٍ من وسائل الطِّباعةِ والنَّشر والإعلام من دون موافقةٍ خطيَّة من الناشر أو المؤلِّف

Sameah3@gmail.com

رئيس وأربعة فراعين

الدكتور عزت السيد أحمد

١٩٨ صفحة

بيروت

٢٠١٤م

الإهداء

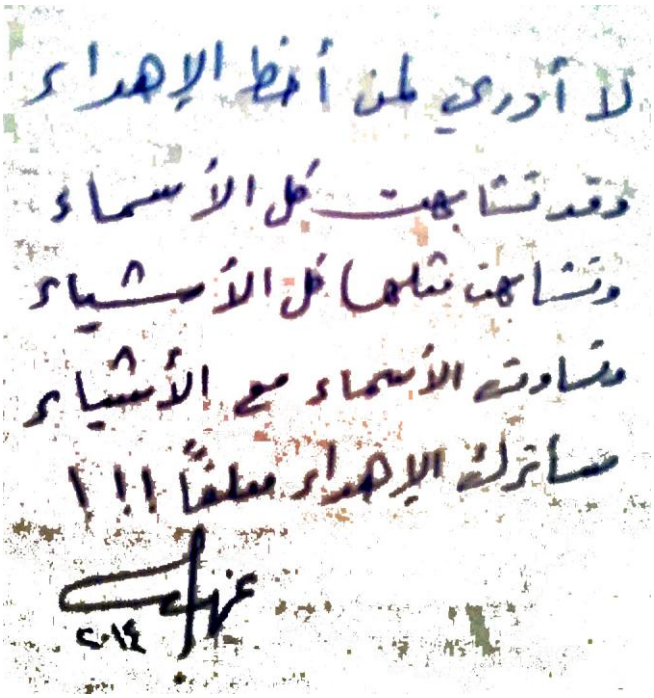
لا أدري لمن أهدي الإهداء
وقد تشابهت كل الأسماء
وتشابهت مثلها كل الأشياء
فتساوت الأسماء مع الأشياء
سأترك الإهداء معلقاً !!!

مقدمة

جمال عبد الناصر

عدواً للقومية العربية

محمد أنور السادات

الضربة القاضية للأمة العربية

محمد حسني مبارك

تعريب الخضوع لإسرائيل

من مرسي إلى السيسي

خنق الأمل في أول الطريق

كان أبي من عشاق **عبد الناصر**. شأنه في ذلكَ شأن أبناء تلك المرحلة معظمهم. أسماني باسمي للضَّرورة التاريخيَّة والاجتماعيَّة كونني الأكبر، ولكنَّهُ سمَّى الولد الثاني عبد الناصر[1]، وسمى الثالث جمال... لذلك عانىٰ في التوظيف والعمل في دولة البعث الذي ثار علىٰ من انقلب علىٰ الوحدة.

المهم، كان أبي يحتفظ بأشرطة تسجيل لخطابات **عبد الناصر** ويستمع إليها في بعض الأوقات. أوَّل خطابٍ أذكر سماعه بوعيٍّ هو خطاب المنشية... عندما أُطلق النارُ عليه وراح يدعو الناس للسكوت قلت لأبي: «إنَّهُ يكذب... هٰذا تمثيل». دهش أبي حينها. سألني: «ماذا؟». قلت: «يعني معقول أن يطلق عليه النار ويبقى مكانه ولا يتحرك ويتابع الخطاب؟! لولا أنَّهُ متفق مع من أطلق النار عليه لما بقي في مكانه من دون خوف». هٰكذا حللت الحدث بعقلي الطفولي حينها. وبقي الحوار في مخيلتي. وأثبتت الوقائع ما ذهبت إليه في طفولتي المبكرة جدًّا. وهٰذا هو مفتاح علاقتي **بعبد الناصر**. ولٰكنَّ ذٰلكَ لم يولِّد كرهاً كما لم يولد حبًّا له. ولٰكنَّهُ ولَّد رغبة في المتابعة والتحقق.

---

(١) . توفي أخي عبد الناصر وبعد وفاة جمال عبد الناصر بشهرٍ تقريباً إن لم تخني الذاكرة.

لا شكَّ في أنَّ جمع هؤلاء الأربعة تحت عنوان لن يرضي الجميع؛ فلكلٍّ واحدٍ منهم أنصاره وعشاقه ورُبَّما عشاقه إلىٰ حدِّ العبادة، وكلُّ فريقٍ يطعن في الآخرين أو في هٰذا أو ذاك منهم. وهٰذا لعمري مما يثير شديد الاستغراب والهجنة فالأربعة تجمعهم سلسلةٌ واحدةٌ من السُّلوك والعقيدة والهدف والنَّتجية. وما الفروق بينهم إلا في القشور والأعراض التي تخفي وحدة المضمون.

لا بأس، طبائع البشر معقَّدةٌ بما يكفي لفهم هٰذه التناقضات، لفهمها لا لتسويغها أو قبولها. وهٰذه في حقيقة الأمر عقدة العقد في العقل البشري الذي لا يميز بَيْنَ الفهم والقبول. عندما نفهم ظاهرة لا يعني أننا نقبلها أو نرضى بها. وفي الوقت ذاته فإننا عندما نفضح خطأ ما فإننا لا نفضح شخصاً. ولٰكنَّ تلازم السُّلوك مع الشَّخص غير قابلٍ للانفصال أو التَّمييز.

حسناً، ولماذا نفضح الخطأ أصلاً؟

يجب أن نميِّز بَيْنَ نوعين من الخطأ؛ الخطأ الشَّخصي أو الخاص، والخطأ بحقِّ المجتمع أو الأمَّة. نحن لا نتتبع الخطأ الشخصي، ومن وجد في كتابنا هٰذا أو غيره من كتبي تتبعاً لعيوب الأشخاص الشخصيَّة أو الخاصة فليشر إليها لنعتذر عنها، ونصوب ما فعلنا.

ولٰكنَّ الخطأ بحث المجتمع أو الأمَّة مسألة أخرىٰ مختلفة تمام الاختلاف. إنَّ من يرتكب خطأ بحقِّ المجتمع أو الأمة يجب أن يعاقب علىٰ ما اقترفت يداه من خطأ. لا ينبغي السكوت أبداً علىٰ هٰذا النَّوع من الأخطاء. لأنَّ عدم معاقبة أصحاب هٰذه الأخطاء يفتح باب تدمير المجتمع والأمة. إنَّ الخطيئة بحقِّ المجتمع أو الأمَّة هي جريمةٌ كبرى مهما كانت صغيرةً، لا يجوز أن تمر مروراً عابراً. وما دمَّر أمَّتنا أصلاً إلا السُّكوت علىٰ هٰذه الأخطاء تحت ذرائع كثيرة ومختلفة،

وتحت غطاء الجهل والتَّعمية التي مارستها الأنظمة العربيَّة قاطبةً على الشُّعوب... واستسلمت الشعوب بوداعة عجيبة.

ومع ذَلكَ أجدني لا أمانع من القول حَتَّى الأخطاء بحقِّ الأمَّة والمجتمع مستويات. يمكن أن توجد أخطاءٌ صغيرةٌ لا تستحقُّ الوقوف عندها على أنَّها جريمةٌ تستدعي العقاب. ولٰكنَّ حَتَّى هٰذه الأخطاء الصَّغيرة في حقِّ المجتمع أو الأمة لا يجوز أن تمرَّ من دون محاسبةٍ من مستوى من المستويات. هٰذه الأخطاء الصَّغيرة لا تسمَّى صغيرةً إذا مسَّت هويَّة الأمة، إذا مسَّت كرامة الأمة، إذا مسَّت أمن الأمَّة... كل ما يندرج حَتَّى الخيانة بأي مستوى من الستويات لا يمكن أن يسمَّى خطأ صغيراً. المسألة ليست مزاجيةً، وليست قابلةً للمساومة أو التنازل بحال من الأحوال.

إنَّ التخلف الذي تعيش فيه الأمة، والتحديات التي تعيشها الأمة، والمخاطر التي تهدد الأمة... كلها أو بعضها ليست مسوغاً أبداً للتغاضي عن أي جريمة ترتطب بحق المجتمع أو الأمة. بل إن هٰذه التحديات والمخاطر والتخلف هي أكبر وأعظك موجبات المساءلة والمحاسبة والفضيحة أيضاً.

إنَّ السُّكوت على هٰذه الحماقات والأخطاء تحت أيِّ ذريعةٍ هو الذي يسهم في تكريس التَّخلف وإعادة إنتاج التخلف أكثر وأكثر وأشد. والسكوت أو التغاضي على هٰذه الحماقات والأخطاء هو الذي يفتح الباب مشرعاً أكثر وأكثر أما الاختراق والتخلع والترهل الذي تتسلل منه التحديات والمخاطر لتخترق جسد المجتمع والأمة أكثر وأكثر، وتنتصر هي وتنهزم الأمة بكل مقوماتها ومكوناتها.

إذن أسطورة التَّحديات الخارجيَّة التي فلقت الأنظمة رأسنا بها استثمرت عكس ما يجب أن يكون. فبدل محاربة الفساد والخيانة من أجل القدرة علىٰ الصمود والتَّجدي والمواجهة... بدل أن يفعلوا ذٰلكَ قاموا بالعكس، فتحوا أبواب الفساد علىٰ مصاريعها، واستشرت الخيانة علىٰ أشدها. عندما يستشري الفساد من الطبيعي أن تستشري الخيانة، معادلة لا تحتاج إلىٰ برهان، برهانها فيها، مثل البداهات تقريباً.

أحسن ما كان من احتمالات لفهم هٰذه الظاهرة تحديداً هو الأنظمة العربية آثرت تمتين أرجل كراسيها علىٰ حساب أمن الأمة وكرامتها. هٰذا أحسن الاحتمالات علىٰ الإطلاق، وثَمَّة من يطعن فيه بشدة ويرى أنَّ حسن الظنِّ هٰذا في غير مكانه، فالأمور أخطر من ذٰلكَ وأشنع.

رُبَّما يعترض هنا أو يتساءل بعضهم: لماذا حكام مصر تحديداً؟

لسنا بحاجة إلىٰ معجزة لنعرف لماذا مصر. من يعرفون الحقائق المؤلمة في تاريخ الأمة يعرفون لماذا.

أقول بداية لمن يعترض علىٰ اختيار حكام مصر بقوله: هٰذا تدخل بشؤوننا، أو من قبيل: دعك في بلدك واتركنا بحالنا... أو ما شابه ذٰلكَ، أقول لأمثال هٰؤلاء: لا يعترض مثل هٰذا الاعتراض إلا هش ضعيف لا يريد أن تنفضح أخطاؤه، ولا أن يتحمل مسؤولية أخطائه. لا يقف مثل هٰذا الموقف إلا المطبلون لأخطاء الأنظمة علىٰ أنَّها صواب. هٰذا من جهة أولى، ومن جهة ثانية أن هٰذا التقسيم بهٰذه الطَّريقة لا يقوم به إلا أعداء الأمة إن كانت عربية أو إسلامية، ووحدة الأمة ووحدة تاريخها ومصيرها لن يقف أمامها هٰذا القزم أو ذاك، أو هٰذا الظرف التاريخي أو ذاك، الوضع اليوم مرٌّ نعم، ولٰكنَّ هٰذا لا يلغي حقائق تاريخية

عصية علىٰ التغيير. ووحدة الحال هٰذه هي التي توجب علىٰ الجميع التصرف والتعامل علىٰ أساس وحدة المصير، وما يعيق الأمة هناك سيعيقها هناك، وما يخدمها هنا سيخدمها هناك. من هٰذا الباب فإنَّ من حقٍّ بل من واجب أيِّ واحدٍ علىٰ امتداد الوطن أن يفضح العيب الذي يراه ويكتشفه في أي مكان من الوطن. الوطن ملك الجميع شاء من شاء وأبىٰ من أبىٰ، وما التشرذم الذي نعيشه اليوم إلا حالة طارئة وإن طالت ولا بُدَّ أن تزول، وواجبنا جميعاً أن نسعى إلىٰ زوالها.

ومع ذٰلكَ. أقول لهذه الأبواق: هبوا أني صيني أو بريطاني أو ألماني يكتب عن رئيس مصري أو صيني أو سوري أو فلبيني... ما المشكلة في ذٰلكَ؟ ومن الذي يمنع المفكر أو السِّياسي أن يكتب ما يريد؟ المحترم، المنطقي، الواقعي... لا خوف منه ولا عليه. ما عدا ذٰلكَ: كل ما عليك إن كنت علىٰ شيء من الاحترام أن تقرأ وتناقش باحترام. هناك حُجَّةٌ، هناك تحليلٌ، هناك رأيٌ... ناقش وادحض إن استطعت... بيِّنْ أين الخطأ؟

علىٰ أيِّ حالٍ، أمران لا بُدَّ من قولهما باختصار هنا. **أولهما**: ما أشرت إليه أنَّ المسألة ليست شخصيَّة بحال من الأحوال، ولا ظرفٍ من الظروف، ومن ثمَّ فليس المقصود شخوص هٰؤلاء الحكام ولا مصر. ومن البلاهة بمكان تصور أن الأمر علىٰ هٰذا النحو تحت أيِّ مستوى من المستويات. **ثانيهما**: كل ما سنذكره في الفصول التالية بفقراتها هو أحداث وقعت عَلِمَها القاصي والداني. هي أحداث صريحة لا يختلف في تحليلها اثنان، اللهم إذا استند التَّحليل إلىٰ المنطق والواقع، ولن أقول إلىٰ الأخلاق أو القيم أو غير ذٰلكَ مما قد يحتمل الاختلاف أو يندرج تحت إطار التَّقدير الشَّخصي أو الفذلكات. أما إذا استند التحليل

والفهم إلىٰ الأهواء فإن مثل هٰذا التحليل سيوصلنا إلىٰ الفضاء ولو كنا علىٰ أرجل عرجاء.

علىٰ أيِّ حالٍ، عوداً علىٰ اختيار مصر. أنا لم أختر مصر. المسألة أكبر من ذٰلكَ بكثيرٍ وأخطر. المسألة مسألة الأنظمة العربية التي خلفها الاستعمار وراءه، أو فرضها الاستعمار في الفراغات التي لم يستطع أن يملأها بعد خروجه. المسألة إذن مسألة الأنظمة العربيَّة كلها تقريباً منذ الاستقلال إلىٰ يومنا هٰذا. ومن ثمَّ فليس هناك اختيار لمصر دون غيرها. المسألة مسألة جزءٍ من سلسلة علىٰ أكثر من مستوىٰ وطريقة. صدرت بعض أجزاء السلسلة منها: العرب أعداء أنفسهم[٢]، العرب جثة تنهشها الكلاب[٣]، بشرية عمياء عرجاء[٤]...

العرب أعداء أنفسهم هو محور مضمون سلسلة المشروع. بدأت فكرة المشروع مع الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٨م، وبدأ العمل الجدي بها مع تحرير الكويت وحصار العراق بسبب ظهور أصوات أوروبية أو غربية أكثر عروبة من العرب، أكثر حرصاً علىٰ العرب من العرب، أكثر خدمة للحق العربي من العرب... في حين أنني وجدت أن العرب وعلىٰ رأسهم سلاطين العرب أكثر عدائية للعرب والحق العربي من أعداء العرب. مفارقة مدهشة هي التي فرضت بقوة العمل بهٰذا المشروع.

بدأ العمل علىٰ أساس مقارنة بَيْنَ هٰذين الطرفين؛ الأجانب الأكثر عروبة من العرب، والعرب الأكثر عدائية للعرب من أعداء العرب. ولٰكنَّ الموضوع كان

---

(٢) . الدكتور عزت السيد أحمد: **العرب أعجاء أنفسهم** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.

(٣) . الدكتور عزت السيد أحمد: **العرب أعداء أنفسهم** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

(٤) . الدكتور عزت السيد أحمد: **بشرية عمياء عرجاء** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

أكبر بكثير من التوقع والتصور، وكان ككرة الثلج التي راحت تكبر وتكبر كلما تدحرجت أكثر. وتشعبت الفكرة الأساسية إلىٰ مشاريع وأفكارٍ كلُّ واحدةٍ منها تستحقُّ وقفة بل وقفات.

كان المشروع بحثاً واحداً مقتضباً أو موسَّعاً ولٰكنَّهُ صار أبحاثاً بالضرورة. كان منها ما ذكرناه قبل قليل، ومنها ما هو في الطريق، ومنها هٰذا الكتاب الذي ركز علىٰ الحالة المصرية. الحالة المصرية أنموذجاً من جهة، وجزءاً من سلسلة من جهة أُخرىٰ.

الحالة المصرية في حقيقة الأمر، علىٰ ضوء سايكس بيكو ونتائجها، تستحق أن يفرد لها هٰذا الكتاب، فالمصريون يقدمون أنفسهم علىٰ ألنهم أكبر دولة عربية، وأهم دولة عربية، وهٰذا ما يجعلها غلطتها الصغيرة كبيرة، فكيف إذا كانت الغلطة أكبر من أن تحتمل أساساً؟!

بسبب سايكس بيكو صارت مصر أكبر دولة عربية سكانيًّا. ولا يمكن إغفال قيمتها الحضارية. ولٰكنَّ ظاهر التركيز يكون علىٰ الحجم السكاني. هٰذا الحجم السكاني ورُبَّما المساحة هي نتيجة سايكس بيكو لا أكثر. فمصر لا تزيد عن سوريا الكبرى سكانيًّا ولا حضاريًّا، ولٰكنَّ سوريا صارت دول. والمغرب العربي ليس أقل من سوريا أو مصر سكانيًّا ولا حضاريًّا، ولٰكنَّ المغرب صار دولاً أيضاً... هي لعبة الغرب بالأمة التي شوهت الخريطة العربية من أجل لعبة القيمة والدور والأهميَّة والحجم... وقد انخرط العرب فيها ببلاهة شديدة. وصارت العلاقة بينهم علاقة صراع لا تنافس، وتقزيم للآخر بزعم الحجم وقوة الحضور.

علىٰ أيِّ حال، في ظلِّ هٰذا الواقع الذي تحددت معالمه إثر الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م كانت مصر قوة إقليمية مهمة لا يجوز إنكارها. ولأنها

كذَلكَ وجب الوقوف عندها وعندا ما فعلت، وجبت محاسبتها أكثر من غيرها، لأنها إن وقفت موقفاً صحيحاً رجحت كفة موقف الأمة الصحيح، وإن وقفت موقفاً خاطئاً أعاقت الأمة من الوقوف الموقف الصحيح.

لن نتحدث عن الفلسفات والأفكار التي جاء بها مصريون أعدها من باب حرية الرأي والتعبير، وإن كان بعضها مدمراً، ومدمراً جداً. أتحدث في هٰذا الكتاب فقط عن حكام مصر لأنَّهم هم المسؤول الأول والأخير. ولا أعفي الشَّعب المصري ولا الشُّعوب العربيَّة من المسؤوليَّة بطبيعة الحال. ولٰكنَّ الحكام يحملون أكبر المسؤولية بكلِّ تأكيد، فكما في المأثور «إنَّ الله لَيَزَعُ بالسُّلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن»، وكذَلكَ قولهم: «الرَّعيَّةُ عَلىٰ دِيْنِ مُلُوكِها». المأثوران صحيحان مضموناً من وجهة نظري، ويصحُّ معهما قول **المتنبي**:

وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالمُلُوكِ وَمَا تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُهَا عَجَمُ

الفصل الأول

جمال عبد الناصر
عدواً للقومية العربية

مما لا شكَّ فيه أنَّ هٰذا العنوان سيثير كثيراً من الدَّهشة والهجنة والاستغراب لدى معظم المثقفين العرب(٥)، وخاصَّةً القوميين منهم، وربَّما يصيب النَّاصريين بالدوار والغثيان(٦)... ولكنَّنا، في الحقيقة، لا نريد أن نثير أيَّا من مشاعر الامتعاض هٰذه، وبمنتهى المصداقيَّة لا نريد أن نشوِّه الصُّورة البرَّاقة المؤتلقة لهٰذا الرَّجل الذي ما زال نبراساً ومعلماً كبيراً من معالم القومية العربيَّة، وإن وقع مثل هٰذا الأمر فلأنَّ هٰذه هي الحقيقة لا لأنَّنا نسعى إلى ذٰلكَ، والحقيقة عَبْرَ التَّاريخ مُرَّةٌ، ولٰكنَّ حقائق العالم العربي المعاصر لا يمكن أن تُصدق، ولا يمكن أن يُطاق مرُّها، وحقيقة **عبد النَّاصر** من حقائق العالم العربي المعاصر.

---

(٥) . نشر هٰذا البحث على حلقتين في السبت/ الأحد ١٩.١٨ شوال ١٤٢١هـ/ ١٤.١٣/١/٢٠٠١م، في جريدة الزمان ـ لندن.

(٦) . بعد نشر هٰذا المقال شن ناصريو بلدي علي حملة شاملة من مختلف أنواع الإساءة وصولاً إلى مختلف أنواع التهديد. والأطرف من ذٰلكَ أنهم وأخلافهم ما زالوا إلى هٰذا اليوم يكنون حقداً عجيباً على بسبب هٰذا المقال الذي مضت عليه ثلاث عشرة سنة، ويتحين بعضهم أي فرصة للإساءة لي. هٰذا في حين سئلت هدى جمال عبد الناصر بعد نشر المقال بفترة قصيرة عن رأيها فيما يكتب عن أبيها، فقالت: «هٰذه خلافات سياسية لا أتدخل بها».

لن أتحدَّث عن استبداديَّة **عبد النَّاصر** ومحاكم التَّفتيش التي أقامها لمواطنيه، مساوياً بَيْنَ الوطني المخلص وعدوِّ الوطن، لأنَّ الجميع عنده أعداء السُّلطة، بل أعداء سلطته، فكلمة الحقِّ الأولىٰ التي لا يمكن تجاهلها هي أنَّ همَّ **عبد النَّاصر** الأساسيَّ كان المحافظة علىٰ الكرسي مهما كلَّف ذٰلكَ من ثمنٍ، والمؤشرات التي تؤكِّد هٰذه الحقيقة أكثر من كثيرةٍ، يعرفها القاصي قبل الداني لكثرة ما كتب فيها، وقيل، وفي مثل ذٰلكَ قال السيد **مصطفى بن حليمة** رئيس الوزراء الليبي في عهد الملك **إدريس**، وهو من المتيمين **بعبد النَّاصر**: «كان همُّ **عبد النَّاصر** الأساسي البقاء علىٰ الكرسي»(٧). ووصفه **طلال بن عبد العزيز** الذي كان ناصريًّا حَتَّىٰ النخاع الشُّوكي، كما قال، وما زال، بأنَّه «كان همُّه الوحيد أن يكون الزَّعيم الأوحد»(٨). بل وصفه كثيرون في كثيرٍ من البرامج التلفزيونيَّة والمذكرات أنَّ همَّه كان الإبقاء علىٰ الوطن العربي مفتتاً، والظهور علىٰ أنَّهُ الأكبر والأعظم بَيْنَ زعماء العرب(٩)... ومن كان هٰذا وذاك أكبر همِّه على الأقل، وهٰذا ما يؤكِّده الواقع من دون أدنى شكٍّ، فإنَّه الأكثر تعرُّضاً للزلل والانزلاق فيما يتعارض مع وطنيته وقوميَّته، أو علىٰ الأقلِّ فيما يؤدي إلىٰ الاستبداد... و**عبد النَّاصر** وقع في المزلقين كليهما.

---

(٧) . مصطفى بن حليمة: **شاهد عصر** . قناة الجزيرة. وكذلك مذكراته.

(٨) . طلال بن عبد العزيز: **شاهد على العصر** . قناة الجزيرة.

(٩) . ورد ذلك مثلاً في شهادة أمين الحافظ على العصر في قناة الجزيرة الفضائية في حلقات متعددة، وكذلك في شهادة جيهان السادات على العصر على القناة ذاتها، وفي برنامج بين زمنين عن عبد الناصر في قناة أبو ظبي الفضائية، وفي برنامج مواجهة في قناة (إم بي سي) الفضائية، وفي برنامج بين زمنين عن هواري بومدين في قناة أبو ظبي الفضائية... وغير ذلك كثير.

بعد أن كان العالم العربي وخاصَّةً بلاد الشام والعراق ومصر واحة للديمقراطية تفوق في بعض أوجهها الديمقراطيَّة الأوروبيَّة، أدخل **عبد الناصر** المخابرات إلىٰ الحياة السياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والتَّربويَّة... وجعل كلَّ مؤسَّسات الدَّولة تحت سيطرة الدَّور القذر للمخابرات، وحوَّل العلاقة بَيْنَ الدُّول العربيَّة إلىٰ علاقات قائمة علىٰ التَّآمر وعدم الثِّقة بدأت به وما زالت إلىٰ يومنا هٰذا.

وإن كنَّا لا نريد الحديث في استبدادية **عبد الناصر** وذٰلكَ أمرٌ تشيب لهوله الولدان كما يقولون. وحشيَّةٌ لا تقلُّ عن وحشية محاكم التفتيش الإسبانيَّة ضدَّ المسلمين. هٰذا وحده يحتاج وقفةٍ مستقلةً وخاصَّةً، أكتفي بأن أحيلكم إلىٰ بعض مما كتب في هٰذا الموضوع مثل ما كتبه الدكتور **محمد الغزالي**(١٠)، **وعلي جريشه**(١١)، **وأحمد رائف**(١٢)... ولا تنسوا من عاصر **عبد الناصر** ومحاكمه ومعتقلاته.

علىٰ الرُّغم من ظهور بعض الوثائق التي تشير إلىٰ أنَّ **عبد النَّاصر** كان أولَّ من فكر في الصُّلح مع الكيان الصهيوني، وقد عزم على ذٰلكَ، وعلىٰ الرَّغْمِ من إيعازه لبعض رجاله بالاتصال مع الصهاينة وأشياء سنأتي علىٰ ذكرها... فأنا لن أتهم **عبد النَّاصر** بالخيانة أو العمالة، كما هو حال كثيرٍ من الحكام العرب، وسنتحدَّث عنهم في غير هٰذا الوقت وغير هٰذا المكان، لأنَّنا سنحسن الظَّنَّ فيه،

---

(١٠). الدكتور محمد الغزالي: **قذائف الحق**. دار القلم. دمشق. ١٩٩٧م.

(١١). علي جريشة: **في الزنزانة**. دار الوفاء للطباعة والنشر. القاهرة. ١٩٩١م.

(١٢). أحمد رائف: **البوابة السوداء**. الزهراء للإعلام العربي. القاهرة. ١٩٨٦م.

ومن باب حسن الظَّنِّ هٰذا ذهبنا إلى أنَّ معاداته للقوميَّة العربيَّة إنما هي راجعةٌ إلى عشقه كرسيَّ السُّلطة لا إلىٰ أيِّ خيانةٍ، ودليلنا علىٰ ذٰلكَ ليس واحداً، بل كثيراً من الأدلة التي يؤدي اجتماعها إلىٰ تأكيد الحكم بمعاداته للقوميَّة العربيَّة، وكلها أدلَّةٌ قويَّةٌ يكفي كلُّ واحدٍ منها للوقوف عنده بكثير من التَّساؤلات، فإن جاز تجاوز أحدها لم يجز تجاوزها معاً أو تجاوز بعضها دون علامات الاستفهام الكبيرة.

في معاداة القوميَّة العربية

١ . فصل السودان عن مصر: إنَّ أوَّل إنجازات **عبد النَّاصر**، ولم يكن قد برز بوصفه بطلاً قوميًّا بعد، هي فصل السودان عن مصر، وتحويل دولة وادي النِّيل الواحدة؛ مصر والسودان، إلى دولتين، فبمجرد استقرار ثورة/ انقلاب الضُّبَّاط الأحرار وإقصاء اللواء **محمد نجيب** واستلام السلطة من قبل **عبد الناصر** طرح هو نفسه مسألة استقلال السودان عن مصر للمناقشة والاستفتاء في السودان، فكان الانفصال. والسؤال الذي يفرض ذاته هنا: ما الذي يسوِّغ لبطل قومي، وأكبر أنصار القوميَّة فيما هو مشتهرٌ عنه، أن يقوم بفكِّ عرىٰ وحدة هٰذين البلدين الذين هما بلدٌ واحدٌ بغضِّ النَّظر أصلاً عن المقولات القوميَّة العربيَّة. ويرتبط بذٰلكَ سؤالٌ آخر هو: من الذي خسر من القضاء علىٰ هٰذه الوحدة؟ أليست مصر هي الأشدَّ خسارة، أليست مصر هي الأكثر احتياجاً لهٰذا العمق الاستراتيجي في السودان؟ ولهٰذه الأرض الشَّاسعة الغنيَّة؟ فإذا كان **عبد النَّاصر** ذا نزعة وطنيَّة مصريَّة وحسب أو فرعونيَّة أفليس من الأجدى به أن يقاتل من أجل وحدة مصر والسودان لو لم تكونا موحدتين؟ هٰذه أولىٰ الخطوات أو الانجازات النَّاصريَّة التي لا تقبل أي تبريرٍ أو تسويغٍ، لأنَّنا ندَّعي دائماً أنَّنا

مستعدون للتضحية بالدماء والأرواح لتحقيق الوحدة العربية أيًّا كان شكلها ومضمونها، وهٰذا مضمون خطاب **عبد الناصر** الأيديولوجي، فكيف يفرط بوحدةٍ قائمةٍ من دون أيِّ ثمن، ويسعى هو بذاته إلى فكِّ عرىٰ هٰذه الوحدة من دون أيِّ ضغط؟!! سؤال أوَّل سيظلُّ مطروحاً!!

٢ . الوحدة السورية المصريَّة: أمَّا الوحدة السورية المصرية فلها أيضاً شؤونها، ولن أتحدَّث عن سياسة **عبد النَّاصر** في سورية وتصرفاته التي قادت الشَّعب السُّوري إلىٰ النُّفور من الوحدة ومعاداتها بالضَّرورة لأنَّ الكلام في هٰذا الموضوع طويلٌ، وسأكتفي بتأكيد أنَّ الشَّعب السُّوري، علىٰ الرُّغم من ذٰلكَ ظلَّ أميناً مخلصاً **لعبد النَّاصر** والوحدة... إنَّ ما أريد قوله هنا هو أنَّ الوحدة السُّوريَّة المصريَّة قد فرضها الشَّعب السَّوري فرضاً وبكلِّ قوَّةٍ على **شكري القوتلي** وعلىٰ **عبد الناصر**. ويذكر جيل تلك الفترة أنَّه لم يكن أمام **عبد النَّاصر** إلاَّ خيار واحدٌ هو قبول الوحدة. ولم يكن **لعبد الناصر** أيُّ دور في هٰذه الوحدة سوى الموافقة عليها وفرض الشُّروط التي وافق عليها السوريون حكومة وشعباً وأحزاباً، وليس دفاعاً عن حزب البعث العربي الاشتراكي أتساءل: إذا كان ثمَّة ما يسوغ حلَّ بعض الأحزاب فكيف يُحلُّ حزبٌ يحمل هٰذا الزَّخم القومي؟ والملفت للنَّظر هنا أنَّ **عبد النَّاصر** لم يكن يريد توقيع ميثاق الوحدة بذاته، وكأنَّه يأنف من ذٰلكَ. وإنما كلَّف **السَّادات**، دون سواه، بتوقيع هٰذا الميثاق، علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ **السادات** لم يكن ذا أيِّ صفة رسميَّة في مستى يخوِّله توقيع ميثاقٍ علىٰ هٰذه الدرجة من المسؤوليَّة والأهميَّة... فلماذا؟ أليس سؤالاً يستحقُّ وقفةً مطولةً جدًّا؟ ذريعة من يدافع عنه هي أنَّ **السادات** هو الذي فاوض السوريين علىٰ الوحدة،

ولذلك من حقِّه أن يوقع الميثاق!!! هل يوجد منطقٌ سياسي في العالم، علىٰ مدِّ ما امتدَّ من التاريخ، يقبل هٰذه الذريعة دليلاً أو برهاناً؟

وعلى الرُّغم من ذٰلكَ كلِّه لن أقف عند أيِّ نقطةٍ منه، وكلُّه يستحقُّ الوقوف عنده، لأنَّ الذي أريده هو أنَّ الحركة الانفصاليَّة التي قامت في سوريا ضدَّ الوحدة وأدَّت إلى الانفصال كان من أسهل الأمور على **عبد الناصر** أن يقضي عليها ويعيد النِّصاب إلىٰ الوحدة. والجماهير السوريَّة التي قامت بالمظاهرات المناهضة للانفصال في كلِّ مدن القطر كلها كانت تترقب منه إعادة النِّصاب للوحدة. ورُبَّما كان هو الذي أخر تحركها الفاعل، هو اعتقادها الجازم بأنَّ بطل القوميَّة العربيَّة وأكبر القوميين لن يسمح بهٰذا الانفصال. وهو قادر علىٰ ذٰلكَ سيَّان بالقوَّة التي كانت يمتلك أضعافها، أو بالمدِّ الجماهيري الذي يقف معه بكلِّ قوَّةٍ، وبأعظم نسبةٍ علىٰ امتداد الوطن العربي، ورُبَّما علىٰ نحوٍ خاصٍّ في سوريا. فلماذا لم يقم بالمحافظة على هٰذه الوحدة وكان من بعض إمكاناته المحافظة عليها؟!

إنَّ الذي أقدم بملء إرادته علىٰ القضاء علىٰ وحدة قائمة يصعب فكُّ عراها، وتوفر لمصر أكثر بكثير مما توفره له الوحدة السورية المصرية لن يزعج نفسه بمحض التَّفكير في المحافظة علىٰ وحدةٍ تمَّ الانفصال فيها. ولو كان **عبد النَّاصر** قوميًّا فعلاً لبذل الرخيص والغالي لإعادة رأب هٰذه الوحدة، فلا هو بادر إلى إحيائها من جديدٍ ولو بتصريحٍ واحدٍ، ولا هو ردَّ على أيِّ مبادرةِ حسن نيَّةٍ لاحقةٍ من الجانب السوري.

٣ . رفض الاندماج الموريتاني: وفي عام ١٩٦٠م نالت موريتانيا استقلالها، وتولىٰ الرِّئاسة فيها **مختار ولد دادا** الذي جاء مباشرة إلىٰ **عبد**

النَّاصر وعرض عليه انضمام موريتانيا إلىٰ مصر، وقال له: إنَّ الشَّعب الموريتاني كله مع هٰذه الخطوة الانضمانيَّة، ولذٰلك فإنَّه يقدِّم له موريتانيا من دون أيِّ شرط. فكان جواب **عبد النَّاصر** وبكلِّ برود: أنا لا أحبُّ اندفاعات الشباب، لننتظر قليلاً[١٣]!! والسُّؤال الذي يقرع الذهن بشدة: ما المشكلة في استغلال اندفاعات الشباب لتحقيق ما يتمنَّى ثلاثة أرباع العرب أن يضحوا بأرواحهم من أجله؟! وأيُّ غبن سيكون من تحقيق الوحدة بسبب مثل هٰذه الاندفاعة أو الطيش أو الحماقة؟ ومن ثمَّ أليست اندفاعات الشَّباب هي الأكثر إثماراً في مثل هٰذه القضايا الكبرى؟ أسئلة كثيرة ربَّما تظلُّ من دون جواب... ولٰكنَّ الذي يثبت عدم جديته القوميَّة، وأنَّهُ، علىٰ الأقل، كان يستغل هٰذه الظَّاهرة لتعزيز تمترسه علىٰ كرسي السُّلطة، أنَّه لم يعد طرح هٰذا المشروع علىٰ الرئيس الموريتاني بعد استقر الأمر في موريتانيا، وعندما خمدت ثورة الشباب.. وربَّما أعاد **ولد دادا** الطَّرح دون أن يلقى أذناً صاغية من **عبد النَّاصر**.

٤ . عرقلة الوحدة الثلاثية: وفي عام ١٩٦٤م، بعد نجاح ثورتي البعث في سوريا والعراق، كانت هناك جهود حثيثة من السوريين والعراقيين لإقامة الوحدة الثلاثية المعروفة مع مصر، وكانت كلُّ الظروف مهيأة في القطرين؛ سوريا والعراق، من أجل تحقيق الوحدة، وبتضحيات لا تقل عن التَّضحيات التي قدمت من أجل الوحدة السورية المصرية، وقد تمَّ بالفعل توقيع ميثاق هٰذه الوحدة في التَّاسع من نيسان عام ١٩٦٣م، ولكنَّ **عبد النَّاصر**، نقض هٰذا الميثاق، ونكث العهد،

---

(١٣) . هذا الكلام ذكره الرئيس الموريتاني السابق مختار ولد دادا نفسه في لقاء أجرته معه قناة الجزيرة الفضائيَّة في برنامج لقاء خاص.

ورفض إتمام هٰذه الوحدة، **وعبد الناصر** وحده من يتحمل مسؤوليَّة عدم إتمام هٰذا المشروع. والذرائع التي يقدمها أنصاره لتسويغ مساعيه في إخفاق هٰذا المشروع، أو رفضه إقامة هٰذه الوحدة، كلُّها واهيةٌ لا تصمد أمام أيِّ نقدٍ، أو تشريحٍ سياسيٍّ. وتكتمل مصيبة عرقلة هٰذه الوحدة إذا ما علمنا أنَّ «الرَّئيس الجزائري **أحمد بن بيلا** قَدْ أبدى استعداده **لعبد الناصر** للانضمام إلَى هٰذه الوحدة»(١٤).

٥ . رفض الاندماج الليبي بمصر: ومثلما فعل **مختار ولد دادا** فعل العقيد الشَّاب (حينها) **معمر القذافي** إثر انقلابه أو ثورته الشعبية التي قادها في ليبيا، وأوَّل ما فعل، وقبل أي شيء آخر هو أنَّه ذهب إلى **جمال عبد النَّاصر** ليعرض عليه الوحدة لم يقم بالثورة إلا من أجلها، من دون أيِّ قيدٍ أو شرطٍ، ولٰكنَّ **القذافي** صُدم ببرود **عبد النَّاصر** الوحدوي وعدم اكتراثه بهٰذا الأمر الذي لم يتعامل معه إلا بوصفه اندفاعة شباب، فأهم الوصايا التي صدمه بها **عبد النَّاصر** هي:

. عدم التَّفكير بالامتيازات النِّفطيَّة في ليبيا.

. وعدم الاقتراب من القواعد العسكريَّة الأجنبية.

. وعدم التَّفكير بالوحدة مع مصر.

علىٰ الرُّغم من ادعاء **عبد الناصر** ذاته أنَّه أبو الوحدة، والقومية العربية، وعلىٰ الرُّغم أيضاً من أنَّه أشاد زعامته علىٰ جثة امتياز يلفظ أنفاسه قبل أن يقترب منه، وهو تأميم القناة.

---

(١٤) . ذكر ذلك السيد شفيق الحوت في شهادته على العصر الَّتي أدلى بها لقناة الجزيرة.

ولٰكنَّ **القذافي** لم ييأس، فأعاد طرح مشروع الوحدة بعد نحو السَّنة ولٰكنَّ **عبد النَّاصر** رفض ثانيةً، وطلب التَّأجيل إلى ما بعد المعركة، وهو يعرف أنَّ المعركة لن تنتهي[١٥]!!.. غريبٌ أمرُ **عبد الناصر**!! عقيد يقوم بانقلاب أو ثورة في بلد شاسعٍ واسعٍ غنيٍّ من أجل عيون **عبد النَّاصر** وليقدم له هٰذا البلد هديَّة تكون عمقاً استراتيجياً ومدداً لمصر فينظر إلىٰ كلِّ ما فعله علىٰ أنَّه اندفاعة شباب، أو طيش مراهق...

لن أعيد الأسئلة التي تتدافع إلىٰ الذِّهن من مثل طرحناه قبل قليل، ولٰكن لا يمكن إلاَّ أن نتساءل: ما الذي يسوغ رفض هٰذه المشاريع الوحدويَّة، وإقرار تفتيت ما هو موحد، وتفتيت ما هو موحد؟!! هل يمكن قبول أيِّ سببٍ غير معاداة **عبد النَّاصر** للقوميَّة العربيَّة، بل أكثر من ذٰلكَ معادة الوطنيَّة المصرية بحدِّ ذاتها لأنَّ السُّودان جزءٌ من مصر وتاريخ مصر كله، وليبيا تشكل عمقاً استراتيجياً كبيراً لمصر علىٰ مختلف الأصعدة؛ السياسية والاقتصادية والاجتماعيَّة... والعلاقة بَيْنَ سوريا ومصر عبر التاريخ علاقة وشيجة لا تقل أبداً عن وحدة الشعب في البلدين، والتفريط بالوحدة مع هٰذه الدول لا ينمُّ، علىٰ الأقل، إلاَّ عن معاداة شديدة للوطنيَّة المصريَّة أيضاً، ومعاداة أشدِّ منها للقومية العربية.

ومما يؤكِّد هٰذه الحقيقة حقيقةٌ أخرى أكثر سطوعاً من الشمس، فلو افترضناً جدلاً عدم وقوعه في كل ما سبق من الأخطاء المتعمدة، وهي متعمدة

---

(١٥) . محمد حسنين هيكل: **٣٠ عاماً من العلاقة مع القذافي**. ضمن مجلة **وجهات نظر**. القاهرة. عدد الأول من أيار ١٩٩٩م. وقد أعيد نشره على حلقتين في مجلة **الشراع**. بيروت.

لأنَّها متكررة، فإنَّ قدرته علىٰ تحقيق الوحدة مع علمه بهٰذه القدرة، وعدم استغلاله لها لتحقيق الوحدة يكون قد وجَّه أكبر الطَّعنات إلىٰ المشروع القومي العربي وسأبين ذٰلكَ علىٰ النَّحو التَّالي:

إن كان من مُحَذِّرٍ أدمن عليه العرب كلهم أو غالبيتهم العظمى في آنٍ معاً في العصر الحديث فهو **عبد النَّاصر وأم كلثوم**، فلم يخطب **عبد النَّاصر** خطاباً إلا واجتمع العرب كلهم، علىٰ مختلف مستوياتهم، حول المذياع يتلهفون لكلِّ كلمةٍ يقولها، ويشدهم الحماس ويستنفرهم حَتَّىٰ يتلو كلَّ خطاب منها تقريباً المظاهرات والاحتجاجات الغاضبة التي تعمُّ الشارع العربي كلِّه من المحيط إلىٰ الخليج، و**عبد النَّاصر** علىٰ علم يقين بذٰلكَ، وعلىٰ يقين العلم أيضاً بأنَّه الزعيم العربي الوحيد الذي يستطيع تحريك الشارع العربي كما يشاء بمحض كلمةٍ أو إشارة... وهٰذا يعني أنَّه كان قادراً علىٰ فرض الوحدة مع أيِّ دولة عربيَّة من المحيط إلىٰ الخليج علىٰ الرُّغم من تعنت أيِّ حاكم عربيٍّ أو رفضه، والرجوع إلىٰ تلك الفترة بأحداثها ومعطياتها يجد حقيقة هٰذا الكلام غير قابلة لأيِّ جدال... فلماذا لم يستغل **عبد الناصر** هٰذه المشاعر العربية الفياضة لتحقيق الوحدة التي ألهب هو ذاته مشاعر الجماهير العربيَّة؟! قد يعترض بعضٌ بأنَّ الضُّغوط الدُّوليَّة كانت تحول دون ذٰلكَ، أو يمكن أن تحول دون ذٰلكَ!! ولٰكنَّ هٰذا الاعتراض خالٍ من المعنى لأنَّ أيَّ ضغطٍ دوليٍّ مهما اشتد وكبر لا يمكن أن يقف في وجه الجماهير، ولا سيَّما في تلك الفترة من عمر الزمان، فترة الثورات في العالم كله، الثَّورات التي لا يمكن أن يقف في وجهها أيُّ ضغط أو عدو!!.. وكيف استطاع **القذافي** وقد كان في العشرينات من عمره، وقيادته المماثلة له في السنِّ، أن يطرد القواعد البريطانيَّة وينهي فلول الاستعمار في ليبيا، علىٰ الرَّغْمِ من قلَّة عدد

سكان ليبيا، وحَتَّىٰ الآن، وغنى ليبيا بالنفط مثل الخليج العربي. يعني ذَلكَ: علىٰ الرَّغْمِ من وجود المصالح الكبرى للغرب في هٰذا البلد، وعلىٰ الرَّغْمِ من قلَّةِ عدد سكانه علىٰ اتساع أرضه، أي عجزهم عن الدفاع عن ذاتهم وأرضهم من الناحية النَّظرية؟!... وكيف انتصرت الثورة الإسلاميَّة في إيران بعد سنين طويلة من وفاة **عبد الناصر**، ونصف العالم علىٰ الأقل لا يريدها فيما نفترض، وكيف تحدَّت هٰذه الثورة الإرادة الأمريكيَّة والإرادة السوفيتيَّة؟!!

لا يمكن تفسير هٰذا الأمر إلا بأنَّ **عبد النَّاصر** ذاته لم يكن يسعى إلىٰ الوحدة، ولم يكن يريدها، بل إن ما فعله من تهييج الشارع العربي وإلهاب مشاعره بالوحدة العربيَّة، والقوميَّة العربيَّة، وعدم استغلاله الظروف التي كانت كلها مناسبة لتحقيق الوحدة العربيَّة... أدَّى إلى تلقين الحكام العرب المعاصرين واللاحقين دروساً عظيمة في التَّمترس العقائدي والمخابراتي والإعلامي لحماية الحدود القطريَّة وتعزيز القطرية والحيلولة من دون أيِّ مدٍّ قومي علىٰ الطراز النَّاصري الذي يهدِّد العروش بأيِّ كلمة يطلقها هٰذا الزعيم القومي أو ذاك، وقطع الطريق بذَلكَ أيضاً علىٰ كلِّ زعيم قوميٍّ عربيٍّ لاحقٍ يمكن أن يحتل مكانه في أن يفعل فعله في تحريك الشارع العربي كله في لحظةٍ واحدةٍ وكلمةٍ واحدةٍ... والتساؤلات هنا أيضاً كثيرة... ولٰكنَّ الجواب الوحيد هو: إنَّ من رفض الأيدي التي امتدت إليه لتحقيق الوحدة، وفرض حل وحدة قائمة، ورفض رأب صدع وحدة كانت قائمة، لن يكترث أبداً في التَّفكير لتحقيق وحدة.. **فعبد النَّاصر** لم يكن وحدويًّا، ولم يكن قوميًّا، بل لم يكن وطنيًّا، بل لا أبالغ إذا قلت إنَّه أكبر أعداء القوميَّة العربيَّة، وأكثر من ألحق الضَّرر بالقوميَّة العربيَّة، ولعب الدور الأعظم في القضاء على إمكانيَّة تحقق الوحدة العربيَّة، وفي الأمثلة السابقة

وحدها ما يكفي لإثبات هٰذه الحقيقة، أي بغضِّ النَّظر عمَّا لم ينجل من الحقائق بعد. ولذلك لا عجب أبداً أن يكتب «**م.كوبلينـد** أحد كبار الجواسيس الأمريكيين، الذي التقى مراراً **بعبد الناصر** في أثناء عمله في سفارة الولايات المتحدة في القاهرة، وأصبح فيما بعد مستشاراً بارزاً للحكومة الأمريكية في الشؤون السياسية لمصر: إنَّ أعداء **عبد الناصر** هم بالترتيب: الضُّبَّاط الكبار، العرب الآخرون، البريطانيون، الإسرائيليون»(١٦). ويا لفخر **عبد الناصر** في أن يكون هٰذا هو ترتيب أعدائه!! وسنعرف بعد قليلٍ كيف أنَّ إسرائيل لن تكون من أعدائه أبداً.

تساؤلات محيرة

فإذا ما تجاوزنا السِّياسة النَّاصريَّة الصَّريحة في معاداة القوميَّة العربيَّة، لا بقصد التَّجاوز بل بقصد وضعها جانباً، نجدنا الآن أمام بعض التَّساؤلات المحيرة التي تضع العقل في الكفِّ، كما يقولون، نورد منها بعضها:

الأمر الأول هزيمة ١٩٦٧م: لقد بات من المعروف المشتهر أنَّ عدوان إسرائيل في حزيران ١٩٦٧م كان مبيَّتاً ومعروفاً حَتَّى علىٰ الصَّعيد الدولي، والأكيد أيضاً أنَّ **عبد النَّاصر** شخصيًّا كانت لديه أخبارٌ موثوقةٌ أكيدةٌ عن اعتزام إسرائيل القيام بعدوانها، قبل العدوان بعشرة أيَّام، وقد أكَّد هو ذاته «في اجتماع مع القيادة العسكريَّة في الثاني من حزيران عام ١٩٦٧م أنَّ لديه

(١٦) . يفغيني بريماكوف: **تشريح نزاع الشرق الأوسط** . تعريب سعيد أحمد . وزارة الثقافة . دمشق . ١٩٧٩م . ص١١٦.

معلومات تؤكِّد أنَّ العدو الإسرائيلي سيقوم بضربةٍ تبدأ بالقوات الجويَّة خلال ٤٨ ساعة إلى ٧٢ ساعة»... فماذا فعل؟

نحن، بتفكيرنا الآن، لم نطالبه أن يبادر في المعركة، وهٰذا هو المطلوب أصلاً، وقد طُلب منه ذٰلكَ فعلاً... ولٰكن ألم يكن من الجدير به علىٰ أقلِّ أقلِّ تقدير أن يقوم بحماية أسلحته التي دمَّرتها إسرائيل خلال ساعات؟! أن يوجه المدافع نحو الجبهة المعادية؟! أن يكون هناك أقلُّ أقلِّ استعداد للمواجهة؟ ولٰكنَّهُ لم يقم بأيِّ احتياطٍ توجبه أدنىٰ أدنىٰ حدود الحذر، فهو لم يحرِّك ساكنا قطُّ، بل لم يسأل عن وضع الجيش على الجبهة، بل ترك الجبهة مفتوحة علىٰ مصراعيها أمام الاجتياح الإسرائيلي الذي راح يسرح ويمرح علىٰ هواه، ودَمَّرَ في ساعات ٣٠٩ طائرات حربيَّة من أصل ٣٤٠ طائرة تمتلكها مصر. والأكثر من ذٰلكَ أنَّهُ أعطى ثلاث تعهدات وضمانات للسَّفير الروسي، وللمندوبين الأمريكيين، ولـ **يوثانت** الأمين العام للأمم المتحدة بعدم البداية بالحرب، ولذٰلك لم يجد **عبد الناصر** بدًّا من الاعتراف بأنَّه هو المسؤول عن الهزيمة، وادَّعىٰ تقديم الاستقالة ونشر مخابراته في الشَّارع المصري كي تطالبه بالعودة عن الاستقالة، وظهر بأنَّه رضخ لرغبة الجماهير في العودة إلىٰ كرسيِّ السُّلطة... ومعروف أيضاً أنَّ المخابرات التي انتشرت في الشَّارع المصري لمطالبته بالعدول عن استقالته أكثر من الجماهير المسلوبة الإرادة في هٰذا الشَّأن.

ولٰكنَّ المصيبة هي أنَّ اعترافه بالمسؤولية، علىٰ الرُّغم من كل ما سبق، كان مشفوعاً بإدانة من حذره من العدوان، فقد كشف **نهاد الغادري**، في دفاعه عن الحقيقة، عن وثيقة جديدة تدين **عبد الناصر** في هزيمة ٦٧، وهٰذا نصها:

«مساء الخميس الأوَّل من شهر حزيران/ يونيو تلقيت . والكلام **للغادري** . اتصالاً من الدكتور **رشاد فرعون** مستشار الملك الخاص وكاتم أسراره، يقول لي إنَّ الملك سيكون غداً في باريس بدعوة من الرئيس **ديجول** للغداء. وحضرت إلىٰ الأليزيه، ثُمَّ اختلىٰ الملك **بديجول**، وكان الأمير **سلطان بن عبد العزيز** وحده حاضراً، وقام بالتَّرجمة الدكتور **فرعون**... ومن ضمن ما كان قول **ديجول** للملك **فيصل** إن الخامس من حزيران هو الموعد المحتمل لقيام إسرائيل بالحرب... انتهت زيارة **فيصل** إلىٰ فرنسا بعد الظهر وغادرها إلى جنيف، وفي اليوم الثالث من حزيران/ يونيو عاد الملك **فيصل** إلىٰ السعودية، وكان في وداعه في جنيف السُّفراء العرب ومن بينهم سفير مصر. فخاطب الملك السفير المصري قائلاً: الحرب مقبلة خلال أيَّام. قل للرَّئيس **عبد الناصر** ليبدأها وأنا معه[١٧]... كان ما قاله **فيصل** علىٰ مسمع من كلِّ السُّفراء. وقد حدث بعد الحرب التي وقعت بعد يومين أن وقف الرئيس **عبد الناصر** يقول: إنَّ بعضهم كان يحذر منها علىٰ بعد خمسة آلاف كيلو»[١٨]. فما الذي كان يريده **عبد الناصر** من **فيصل؟** وما الذي انتظره منه حَتَّىٰ علَّق عليه بهٰذه السُّخرية التي تحير الحليم؟ أغلب الظَّنِّ أنَّه، كما علق **الغادري**، قد اغتاظ من **فيصل** لأنَّه أرسل تحذيره علناً على رؤوس الأشهاد، فلا يظلَّ له عذر يحتمي به.

---

(١٧) . هٰذا على الرَّغْمِ من المعاملة العدائية التي تعامل بها عبد الناصر مع السعوية، والشحن والتوتر الذي وصل إلى حدِّ انقطاع العلاقات بَيْنَ الطرفين المصري والسعودي في تلك الفترة. تابعوا جواب عبد الناصر على التحذير.

(١٨) . نهاد الغادري: **قبل أن نغيب أو ننسى؛ دفاعاً عن الحقيقة لا عن فيصل** . ضمن جريدة **المحرر العربي** . باريس . العدد ٢٨٤ . ٣ آذار ٢٠٠١ . ص١٣.

الأمر الثاني تنصيب السادات نائباً له: والأمر المحير الثاني الذي يتطلَّب منا الوقوف عنده هو قيامه بعزل أو تهميش **حسين الشافعي** نائب رئيس الجمهوريَّة وتكليف **السادات** بمنصب النَّائب الأول لرئيس الجمهوريَّة، على ما اشتهر من تاريخ **السادات** الخياني أو المشبوه[١٩] علىٰ الأقل بإقرارات **عبد الناصر** ذاته، ومعرفته لهٰذه الحقيقة التي لا يمكن أن يطعن أحدٌ فيها، خاصَّةً وأنَّ الشَّارع المصري، والعربي معظمه كان يعرف ذٰلكَ أيضاً... بل إنَّ الارتجال في الطَّريقة التي تمَّ فيها الأمر كلها مدعاة للتساؤل[٢٠]... ويزداد التَّساؤل حدَّة وشدَّة عندما نعلم أنَّه قد رفض استقالة **السادات** مرَّتين من عضوية مجلس قيادة الثورة وحَتَّىٰ العمل السياسي، وهٰذا ما ينفي وجود أيَّة ضغوط على **عبد الناصر** في تنصيب **السادات** كما يزعم بعضهم.

وهٰذا كلُّه جعل الأمر مدعاة لاستغراب كلِّ رجال الثَّورة والشَّارع المصري ذاته، ودهشتهم. حَتَّىٰ إنَّه عندما مات **عبد الناصر** لم يكن في ظنِّ الجميع إلا أنَّ قيام **السادات** بأمور السلطة إنَّما مسألة مرحلةٍ انتقاليَّةٍ قصيرةٍ سرعان ما تنتهي، ولٰكنَّها لم تنتهي، وكانت نتيجتها الأساسيَّة التَّسليم لإسرائيل الذي سمي فيما بعد سلاماً وسبقاً في السَّلام، بتوقيع معاهدة كامب ديفيد وإنهاء الصِّراع العربي الإسرائيلي علىٰ الجبهة المصريَّة. هٰذه الخطوة الَّتي قصمت ظهر العرب وشرخت الشَّارع العربي والحكومات العربيَّة. علىٰ الرُّغم من أنَّها في ظاهرها، في

---

(١٩) . انظر تفاصيل ذلك في الفصل المخصص للسادات من هذا الكتاب.

(٢٠) . قام عبد الناصر، بشكل مفاجئ، بإيقاظ **حسين الشافعي** مع الفجر واستدعائه ليؤدي **السادات** اليمين أمامه، عندما علم أنَّ هناك خطَّة لاغتياله في مؤتمر القمة في المغرب، فأراد أن يورث الراية من بعده لمن يستطيع حملها. انظر محطات في حياة السادات في الفصل القادم.

تلك الفترة، أدت إلىٰ توحيد الشَّارع العربي. والسُّؤال الذي يفرض ذاته، ومازال يفرض ذاته منذ تلك اللحظة هو: لماذا قام **عبد النَّاصر** بتولية **السادات** منصب نائب رئيس الجمهورية وهو يعرف من تاريخه أكثر مما يعرفه الكثيرون غيره؟ والسُّؤال الذي يرتبط به مباشرة هو: لماذا كان **السادات** هو المقرب أكثر من غيره، من أعضاء مجلس قيادة الثورة، عند **عبد الناصر** ولهٰذا ما لا يستطيع أحدٌ إنكاره؟ ومرَّة أخرى أيضاً: لماذا، علىٰ الرُّغم من كلِّ ذَلكَ، رفض استقالته مرَّتين؟ هٰذا السُّؤال المتشعب أيضاً سيظلُّ بلا إجابة بعضاً قليلاً من الزَّمن خاصَّةً وأنَّ المسوغات التي تُلاك كثيراً كلها تفتقر إلى الاتساق المنطقي والواقعي!! بل هي محطة واحدة من محطات **السادات وعبد الناصر** منذ الانقلاب عام ١٩٥٢م. وسنعرض لأبرز هٰذه المحطات في الفصل القادم.

والأمر الثالث أنَّه في الحادي والثلاثين من كانون الثاني عام ١٩٦٥م كشفت صحيفة نيوزويك تايمز النقاب عن صفقة الدبابات الأمريكية من طراز (م٤٨) التي قدرت قيمتها بثمانين مليون دولار، والتي أجازت الولايات المتحدة تسليمها للعدو الصهيوني عن طريق ألمانيا الغربية... الطريف أنَّ هٰذه الصَّفقة أدت إلىٰ ردود فعل عربية متفاوتة وصلت إلىٰ تجميد العلاقات... مع ألمانيا الغربية، بينما لم يرد ذكر الولايات المتحدة في الموضوع قط..!! والذي يهمنا هنا أنَّه «في الحادي عشر من شهر شباط ١٩٦٥م ذكرت الصحف الألمانية أنَّ **جمال عبد الناصر** كان علىٰ علم مسبق بقضية الأسلحة هٰذه، وبأنَّه تباحث فيها مع الدكتور **أويجن جيرسنتماير**، رئيس مجلس نواب ألمانيا الغربية، في أثناء

زيارته إلىٰ القاهرة!!»[٢١]. ترىٰ بأيِّ صفةٍ أَطَّلَعَ **عبد النَّاصر** علىٰ هٰذه الصَّفقة ولماذا؟ وما موقفه منها، وماذا قال؟.. أسرار رُبَّما تظلُّ طيَّ الكتمان!!

والأمر الرابع أنَّهُ في ظلِّ الاستعداد الصهيوني المكثف في الأرض المحتلة، وشيوع هٰذا الأمر علىٰ المستويين العربي والعالمي، «وفي ظلِّ خلو الضِّفة الغربيَّة من أيِّ قطعة سلاح، وجد **جمال عبد الناصر** من الوقت ما يكفي، ومزيداً من الجند والسِّلاح للقتال في اليمن، لتحارب القوات المصرية في غير ميدانها، ولتبتعد عن ميدانها الأصلي في ذٰلكَ الظَّرف»[٢٢]. حَتَّىٰ وصفه الشيخ **محمد الغزالي** بقوله: «كان أسداً هصوراً في قتال اليمن، وَحَمَلاً وديعاً في قتال اليهود، حَتَّىٰ جعل اليهود، وهم أحقر مقاتلين في العالم، يزعمون أنَّهم لا يقهرون في الحرب»[٢٣].

الأمر الخامس، هو بعضٌ ما يثيره الإسلاميون، وهي أمور تستحقُّ الوقوف عندها بغضِّ النَّظر عمَّن أثارها، وأول ما نقف عنده خبر ذكره **مصطفى بن حليمة** في مذكراته، وفي لقاء قناة الجزيرة معه في برنامج شاهد علىٰ العصر، فقد رفض كلَّ محاولات رئيس الوزراء التركي **عدنان مندريس** ورجاءاته للتَّقارب العربيِّ التُّركي علىٰ أرضيَّة إسلاميَّة[٢٤]. ويزداد الأمر استدعاءً للتساؤل أنَّ هٰذه المرحلة هي المرحلة الوحيدة في التَّاريخ التركي المعاصر التي وقفت فيها

---

(٢١) . يوسف الخطيب: **المذكرة الفلسطينية**. ١٩٧٠م.

(٢٢) . يوسف الخطيب: **المذكرة الفلسطينية**. ١٩٧٠م.

(٢٣) . محمد الغزالي: **قذائف الحق**. ص١٦٥.

(٢٤) . مصطفى بن حليمة: **شاهد عصر**. قناة الجزيرة. وكذلك مذكراته.

تركيا فيها مع العرب وكان من الممكن استثمارها وتطويرها لصالح العرب، فلماذا ضيَّع **عبد النَّاصر** هٰذه الفرصة علىٰ العرب، علىٰ تعزيز هٰذا الاتِّجاه التركي، ومن ثَمَّ ألا يمكن أن يكون هٰذا الرَّفض والتسويف غير المسوغ أحد أسباب الابتعاد التركي عن العربي الذي انتهى إلىٰ الارتماء في أحضان الصهيونية والوقوف في الصَّف المعادي للعرب؟!!

ومن المآثر الكثيرة التي ذكرها **محمد الغزالي** وغيره أنَّه:

. انضم إلىٰ الهند في خصومتها المرَّة ضدَّ باكستان المسلمة.

. انضمَّ إلىٰ الحبشة في عدوانها الصَّارخ علىٰ إرتيريا.

. انضمَّ إلىٰ تنزانيا وأغضى علىٰ المذبحة الشَّنعاء التي أوقعتها بشعب زنجبار المسلم.

. انضمَّ إلىٰ القبارصة اليونان في نزاعهم مع القبارصة المسلمين، وجعل الأزهر يستقبل **مكاريوس** عدو الكيان الإسلامي للأتراك.

موقفه من إسرائيل

إنَّ الذي يفسر سلوك **عبد الناصر** في هزيمة ١٩٦٧م، ورُبَّما انتحار **عبد الحكيم عامر**، والذي يفسر موقفه من **السادات** وتحميله الرسالة من بعده دون سواه من كلِّ رجالاته، هو موقفه أصلاً من إسرائيل، ولَعَلَّ هٰذا الموقف هو وحده الذي يفسر سلوكاته الأُخْرَى أيضاً.

مع انقلاب، أو ثورة الضباط الأحرار في عام ١٩٥٢م «أصبح عداء إسرائيل المكشوف لمصر يزداد شدَّة، ولٰكنَّ واقع الأمر يقول إنَّ الحدود المصرية مع إسرائيل قد ظلَّت أكثر الخطوط هدوءاً... كان **عبد الناصر** بعيداً عن

الحكم المسبق بالنسبة للإسرائيليين. وكان يكرِّر مراراً أنَّه لا يجوز أبداً اتهامه بالعداء للسَّامية، علىٰ الأقل لأنَّ العرب واليهود ساميون. وكان **عبد الناصر** يحب تكرار عبارة: نحن أبناء عم»[٢٥]. هٰذه العبارة التي لم يكن الملك **عبد الله بن الشريف حسين** يعرف سواها من لغة الخطاب مع الصهيونية، ومن شدَّة إيمانه بها دافع بشراسة عن قيام الكيان الصهيوني.

ويؤكد **عبد الناصر** روح القرابة والعمومة مع اليهود فيما يشبه المذكرات التي كتبها تحت عنوان (فلسفة الثورة)، فيذكر «لقاءاته مع الضَّابط الإسرائيلي المفاوض في الفالوجة المحاصرة في أثناء حرب ١٩٤٨م. وظلَّ الضَّابط الإسرائيلي **كوهين** وكيل الجنرال **إيجال آلون** لسنواتٍ طويلةٍ متأثِّراً جدًّا بسحر شخصية **عبد الناصر** وبآرائه التي عرضها في أثناء المحادثات[٢٦]. وعندما علم **كوهين**، الذي عين فور وقف إطلاق النار في قوام اللجنة المشتركة الإسرائيلية. المصرية للهدنة، من أعضاء الجانب المصري أنَّ ابناً قد ولد **لعبد الناصر** أرسل له هدية، وردًّا علىٰ ذٰلكَ أرسل **عبد الناصر** إلىٰ **كوهين** علبة سكاكر من مقهى (چروبي) الشَّهير في القاهرة، مع رسالة شكرٍ ودِّيَّةٍ. وبعد ذٰلكَ بزمن دعا **عبد الناصر كوهين**، علىٰ نحو غير رسميٍّ، لزيارة القاهرة، واللقاء معه، وطلب **كوهين** الإذن بالسَّفر من وزير خارجية إسرائيل ولٰكنَّ الردَّ كان بالرَّفض»[٢٧].

---

(٢٥) . يفغيني بريماكوف: **تشريح نزاع الشرق الأوسط**. ص١١٦.

(٢٦) . لا أظن أننا بحاجة إلى كثير من البداهة لمعرفة سبب إعجاب ضابط إسرائيلي بآراء ضابط عربي، أو زعيم عربي، ولا سيَّما في مفاوضات.

(٢٧) . يفغيني بريماكوف: **تشريح نزاع الشرق الأوسط**. ص١١٧.

إن هٰذه العلاقة بحدِّ ذاتها ليست مؤشر خيرٍ أبداً، ولا يمكن أن نقبل أن تفهم علىٰ أيِّ محملٍ من حسن النِّيَّة، أو النزعة الإنسانية، كما زعمت **جيهان السادات** في تسويغ صلتها مع امرأةٍ إسرائيليَّة إبان حرب تشرين، لأنَّها علاقة مع عدو لا تجوز معه أيُّ صلةٍ غير الحرب، لأنَّ أيَّ صلةٍ من نوعٍ آخر هي اعتراف بشرعيَّة هٰذا العدو، وشرعية اغتصابه أرضنا، وهٰذا ما كان، ومازال وسيظلُّ يرفضه الشَّارع العربي من بابه إلى محرابه، وإن شذَّ بعض الحكام عن ذٰلكَ.

ومن ثَمَّ فإنَّ هٰذه العلاقة الحميمة بَيْنَ **عبد الناصر وكوهين**، ولسنا ندري إن كان هناك غيرها، إنَّما هي علاقة تنطوي علىٰ خيانةٍ بالضَّرورة، وكلُّ الأعذار التي تحاول تسويغها أو جعلها مقبولةً ستكون متهافتة مهما كانت، هٰذا إن لم يجب أن نقول إنها شريكةٌ في الخيانة، لأَنَّ **عبد الناصر** ذاته هو الذي فرض علينا نفي هٰذه الاحتمالات عندما جعل مفتاح علاقته مع إسرائيل هو روح القرابة بينه وبينهم، فهم أولاد عمومته كما كان يكرر هو ذاته، ويضيف إلىٰ ذٰلكَ أنَّه أوَّل حاكمٍ عربيٍّ أراد الصُّلح مع إسرائيل، وسعى إلىٰ ذٰلكَ أكثر من مرَّةٍ، وفي أربع مرات علىٰ الأقل:

أولاً: «تشهد مصادر مختلفة علىٰ مبادرات أكثر أهميَّةً لم تتطوَّر في تلك السَّنوات، فسفير الهند في القاهرة، المؤرخ **ك.م. بانيكار** المعروف بصلاته الوثيقة مع **جواهر لال نهرو وجمال عبد الناصر وموشيه شاريت** الذي كانت في ذٰلكَ الوقت رئيساً لوزراء إسرائيل، كان يعتزم، حسب قوله، إعداد لقاء بَيْنَ **شاريت وعبد الناصر**. واستمرت المباحثات لتحضير هٰذا اللقاء حَتَّىٰ ربيع

١٩٥٥م، عندما جعل الهجوم الإسرائيلي علىٰ غزَّة هٰذه الفكرة غير قابلةٍ للتَّنفيذ»(٢٨).

ثانياً: وقبل أن يجف حبر المحاولة الأولى، وقبل أن تندمل جراح العدوان الإسرائيلي وافق **عبد الناصر** علىٰ محاولة أُخْرَى للقاء الصَّهاينة عن طريق **دوم منبتوف** الذي أصبح رئيساً لوزراء مالطا، ولٰكن علىٰ الرُّغم من موافقة **عبد الناصر** علىٰ ذٰلكَ فقد أخفق اللقاء «بسبب موقف إسرائيل من هٰذه الفكرة عام ١٩٥٦م»(٢٩). وليضعنا **عبد الناصر** بذٰلكَ أمام اللغز الذي لم نستطع تفسيره حَتَّىٰ الآن، وهو إصرار بعض القادة العرب إصراراً لا يصدق علىٰ السَّلام مع إسرائيل، وتعنت إسرائيل وتجبرها وطغيانها، علىٰ الرُّغم من أنَّ المنطق يقتضي عكس ذٰلكَ تماماً. فما سرُّ هٰذا اللغز؟ وهٰذا الخروج عن كلِّ مقتضيات العقل؟؟!!

ثالثاً: وقبل أن يجف حبر المحاولة الثانية أيضاً، وقبل أن تندمل جراح العدوان الثلاثي، وبوسيط من دولةٍ معاديةٍ شاركت في العدوان الثلاثي، انخرط **عبد الناصر** في مفاوضات جديدة للقاء الصهاينة وتوقيع اتفاقيَّة سلام مع إسرائيل، فقد «أجرى عضو البرلمان الإنجليزي **موريس هيرشمان** محاولاتٍ مماثلةً، وقام بعدة سفرات ما بَيْنَ القاهرة وتل أبيب...»(٣٠). ولٰكنَّ إسرائيل رفضت مرة أُخْرَىٰ لأنَّها لم تكن تثق في أنَّ **عبد الناصر** سيدوم كثيراً في

---

(٢٨) . م . س . ذاته.

(٢٩) . م . س . ١١٨.

(٣٠) . م . س . ذاته.

الحكم[٣١]. وفي أثناء هٰذه المحاولة ذاتها، في عام ١٩٥٧م، كانت هناك «محاولة توسط أُخْرَىٰ ارتبطت باسم **إيرا هيرشمان**، وعلىٰ الرُّغم من أنَّه لا يمكن أبداً أن نعدَّ **إيرا هيرشمان** شخصاً يميل لصالح **عبد الناصر**، فقد كتب أنَّ اللقاء مع قائد النِّظام المصريِّ الجديد قد ترك لديه أثراً بالغاً بنتيجته البناءة»[٣٢]. وليس من الصَّعب علينا أبداً أن نعرف لماذا كانت نتيجة هٰذا اللقاء بنَّاءة في تلك الفترة، وخاصَّةً إذا ما قارناها بالنتائج البناءة التي تقتنع بها الآن إسرائيل أو الولايات المتحدة، فيما يخص العلاقات العربية الإسرائيلية.

إنَّ السُّؤال الذي يفرض ذاته بكلِّ قوَّةٍ هنا هو: لماذا لم تقبل إسرائيل بكلِّ هٰذه المحاولات علىٰ الرُّغم من حاجتها الشَّديدة إليها في تلك المرحلة علىٰ الخصوص؟ وعلىٰ الرُّغم من أنَّ «القادة الإسرائيليين كانوا يكررون أنَّهُم كانوا علىٰ دائماً علىٰ استعداد للقيام بأيِّ نوع من الاتصالات بلا أيِّ شروطٍ مسبَّقةٍ مع القادة العرب»[٣٣].

يبدو جليًّا مما سبق، ومما سيأتي بعد قليل أيضاً إنَّ **عبد الناصر** كان يسعىٰ إلىٰ الاعتراف بالكيان الصهيوني، وتحقيق الاعتراف العربي به، وإقامة السلام معه، منذ أوائل ثورة أو انقلاب الضُّبَّاط الأحرار، ورُبَّما قبل ذٰلكَ كما بدا من علاقته مع **كوهين**، وظلَّ هٰذا حلماً ينشده

---

(٣١) . هٰذه الذريعة الإسرائيلي في المرة الثالثة، ولٰكنَّهَا لم تكن كذٰلكَ في المرتين الأولتين، فما هي أسرار عدم رغبة إسرائيل في سلام مع عبد الناصر؟.

(٣٢) . م . س . ذاته.

(٣٣) . م . س . ص١١٩.

ويسعىٰ إليه حَتَّىٰ أواخر أيامه، ولم تكن محاربة إسرائيل تشكِّل أيَّ حيِّزٍ من تفكيره، فمعروف أنَّ الجبهة المصريَّة؛ العسكرية لا الشعبية، هي الأكثر هدوءاً بَيْنَ كلِّ الجبهات العربيَّة مع إسرائيل طيلة حكم **عبد النَّاصر**، وقد كتب الجنرال **بيرنس**، رئيس أركان لجنة مراقبة الهدنة التَّابعة للأمم المتحدة(٣٤): «لَقَد شغلت المجابهة مع إسرائيل أحد الأمكنة المتأخرة من قائمة الأولويات في سياسة **عبد الناصر**»(٣٥). ومثل هٰذا ما قاله **كوبلند** عندما رتَّب أعداء **عبد الناصر** بأنَّهُم حسب الترتيب: الضُّبَّاط الكبار، والعرب الآخرون، وبريطانيا، وأخيراً إسرائيل.

ولٰكنَّ الذي حدث هو أنَّ الوضع العربي المنهار، والهزيمة الساحقة التي تلقاها العرب بإنشاء الكيان الصهيوني، وافتقار العالم العربي إلىٰ رمزٍ تتعلَّق به، وتعقد آمالها عليه، جعل الجماهير العربية تتعلق **بعبد الناصر**، وتحوِّله إلىٰ بطلٍ قوميٍّ علىٰ الرَّغْمِ منه، وتفرض عليه أن يكون رمزاً للقوميَّة العربيَّة ورائداً لها، حَتَّى كاد هو ذاته أن يصدق ذٰلكَ، وقد بيَّنا مدى خطأ هٰذا الاعتقاد. وقد أدركت إسرائيل خطورة هٰذه المفارقة التي يعيشها العالم العربي، وخطورة الآثار التي يمكن أن تنجم عنها في تلك الظروف التَّاريخيَّة، فالذي يريد الاعتراف بإسرائيل وتوقيع السَّلام معها هو من تطالبه الجماهير العربية بأن يكون محرِّر فلسطين، وطارد الغاصبين، وقد ظنَّ **بنجوريون** أنَّ حقيقة **عبد الناصر** ستنكشف سريعاً للجماهير العربيَّة، ولذٰلك قال ردًّا علىٰ محاولة **هيرشمان** وترتيباته في عام

---

(٣٤) . أصبح فيما بعد قائداً لقوات الطوارئ الدولية في المنطقة العربية.

(٣٥) . م . س . ص١٢٩.

١٩٥٧م لعقد لقاء بَيْنَ **عبد الناصر وموشيه شاريت**: «لن يدوم **عبد الناصر** طويلاً علىٰ الكرسيِّ»(٣٦).

وقد أدركت إسرائيل في الوقت ذاته أنَّ شعبيَّة **عبد الناصر** التي تنامت بسرعةٍ بالغةٍ علىٰ امتداد الوطن العربي هي الخطر الذي تجب مواجهته لا **عبد الناصر** الذي كان بحكم المضمون لها، ولذلك كان هم إسرائيل هو القضاء علىٰ المدِّ القومي الذي أثاره **عبد الناصر** من حيث لا يدري، لا توقيع سلام معه لا يمكن له أن يدوم في ظلِّ تصاعد هٰذا المد القوميِّ.

وقد أدرك **عبد الناصر** ذاته هٰذه الورطة التي وقع فيها، وأدرك أنَّه إن وقَّع سلاماً مع إسرائيل فلن ينجو بسلامٍ أبداً، وهو ذاته أعلن ذٰلكَ في أوائل آذار عام ١٩٦٥م، عندما جاء إليه **الحبيب بورقيبة** وعرض عليه الخطاب الذي سيلقيه في أريحا، أي وجهة نظره في الصِّراع العربيِّ الإسرائيليِّ، ومباركته الدولة الإسرائيلية واعترافه بها. «وقد وافقه **عبد الناصر** علىٰ موقفه، ولما وجد **بورقيبة** هٰذه المباركة والموافقة من **عبد الناصر** طلب منه أن يقوم هو بإعلان هٰذا الموقف؛ موقف التَّعاون مع إسرائيل والاعتراف بها، لما له من نفوذ وسطوة في العالم العربي، فقال **عبد الناصر**: سيجنوني لو فعلت ذٰلكَ»(٣٧).

والذي يؤكِّد اعترافه بإسرائيل هو اعترافه ذاته في كتابه (فلسفة الثورة)، إذ قال: «أمامي مذكرات **حاييم وايزمان رئيس جمهورية إسرائيل** ومنشئها

---

(٣٦) . م . س . ص ١١٨.

(٣٧) . الصافي سعيد: **بورقيبة؛ سيرة شبه محرمة** . دار رياض نجيب الريس . لندن . ٢٠٠٠م . ص٢٩٨. وقد جاء هذا الكلام أيضاً على لسان محمد مزالي، وزير خارجية تونسي سابق، في برنامج **بين زمنين**؛ عن الحبيب بورقيبة، **على محطة أبو ظبي الفضائية** . يوم الأحد ٢٠٠١/٥/٢٠م.

الحقيقي»[٣٨]. فعبارة (رئيس جمهورية إسرائيل) لم تلق حَتَّىٰ هٰذه اللحظة قبولاً في العالم العربيِّ، ولم تطلق مثل هٰذه العبارة علناً في العالم العربي كلِّه إلا بعد بدء مفاوضات السَّلام في عام ١٩٩٢م، أي بعد أكثر من عشرين سنة من وفاة **عبد الناصر**.

وعلىٰ الرُّغم من ذٰلكَ كلِّه لم يتوقَّف **عبد الناصر** عن محاولاته للاتصال مع الصهاينة وإبرام اتفاق السلام معهم، فوجه بعد النكبة دعوة إلى **ناحوم جولدمان** رئيس المنظمة الصهيونية العالمية «لزيارة القاهرة، وقد تَمَّ مسبَّقاً في باريس تنسيق تفاصيل هٰذه الزيارة. ولٰكنَّ الحكومة الإسرائيليَّة منعت **جولدمان** من القيام بهٰذه السفرة»[٣٩]. وفي عام ١٩٦٩م أوعز لوزير خارجيته **محمود رياض** بالاتصال مع الإسرائيليين، وإجراء المفاوضات معهم[٤٠]. وما الذي كان يوجب التَّفاوض في هٰذا العام غير التَّسوية والاعتراف بإسرائيل؟! ولٰكنَّ إسرائيل سعت لإخفاق هٰذه المحاولة أيضاً.

لا شكَّ في أنَّ رفض إسرائيل لكلِّ اندفاعات **عبد الناصر** للسَّلام معها أمرٌ يدعو إلى كثيرٍ من الحيرة والتَّساؤل، علىٰ الرُّغم من حاجتها الماسة إلى ذٰلكَ في تلك المرحلة، وعلىٰ الرُّغم من يقينها من صدقه في سعيه. ولعَلَّ الاحتمال الوحيد الذي يمكن أن يؤخذ بعين النَّظر هنا هو الأصل اليمني القريب **لعبد الناصر** وما يمكن أن يثيره من تساؤلات، وما يمكن أن ينعكس ذٰلكَ علىٰ

---

(٣٨) . جمال عبد الناصر: **فلسفة الثورة** . الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة . د.ت . ص٦٩.

(٣٩) . يفغيني بريماكوف: **تشريح نزاع الشرق الأوسط** . ص١١٩.

(٤٠) . م . س . ذاته.

مستقبل اعتراف أو سلام يوقعه هو ذاته!! فإن صدقت هٰذه التساؤلات بَطُلَ بالتأكيد كلُّ عجب.

لا شك في أنَّ بعض الاعتراضات قد تثار هنا، أي علىٰ صلة **عبد الناصر** بالصهاينة، والاعتراض الوحيد الذي يستحقُّ الردَّ هو الزَّعم بأنَّ **عبد الناصر** سبَّاقٌ في رؤية المستقبل، وضرورة التَّسوية مع إسرائيل، أي ما يحدث الآن، وهٰذا ما يدافع به بعضهم عن خيانة **السادات**، والحق أنَّ هٰذا الادعاء أو الدِّفاع ليس إلاَّ تسويغا للخيانة، لأنَّ الشَّارع العربي كله، وحَتَّىٰ الآن لا يقبل السَّلام مع إسرائيل، ولن يقبله. والزَّعم بأنَّ التَّسوية أو السَّلام ضربٌ من الضَّرورة أو الواجب زعمٌ واهمٌ، وتضليلٌ ظاهرٌ، والبرهان عليه من البداهات. أما الاعتراضات الأُخرىٰ التي يمكن أن تثار للدفاع عن **عبد الناصر**، هنا وفي كلِّ تحليلنا، فإنَّها كلها لن تخلو أبداً من التناقض الذي يكفي وحده لدحضها، فنحن نتحدث عن حقائق لا عن تخيَّلات، وعن وقائع تمت فعلاً لا ادعاءات ولا اختلاقات، وهي كلها غير قابلة للشطط في التأويل والتفسير.

بل حَتَّىٰ لو تجاهلنا كلَّ ذٰلكَ، وقبلنا افتراضاً أنَّهُ له ما يسوِّغه، فإنَّهُ يقدِّم لنا هو ذاته الدَّليل السَّاطع النَّاصع، والحجة البالغة التي لا تقبل الدَّحض لعدِّه صديقاً لإسرائيل، إذ أقرَّ في كتابه (فلسفة الثورة) ما كتبه عنه صديقه الإسرائيلي **كوهين** في كتاباته التي اعتمد عليها **بريماكوف**، إذ كان يرى أنَّ إسرائيل كانت تناضل ضدَّ الاحتلال الإنجليزي لفلسطين، فيقول: «ومنذ أشهرٍ قليلة قرأت مقالات كتبها ضابط إسرائيلي اسمه **يرداهان كوهين** ونشرتها له جريدة (جويش أوبزرڤر) وفي هٰذه المقالات روى الضَّابط اليهودي كيف التقى بي في أثناء مباحثات عن الهدنة وقال: **لَقَد كان الموضوع الذي يطرقه جمال عبد الناصر**

معي دائماً هو كفاح إسرائيل ضد الإنجليز، وكيف نظمنا حركة مقاومتنا السريَّة لهم في فلسطين، وكيف استطعنا أن نجنِّدَ الرَّأي العام في العالم وراءنا في كفاحنا ضدَّهم»(٤١).

أن تكون هٰذه هي وجهة نظر **عبد الناصر** في إسرائيل، وقيام إسرائيل، فهي وحدها جريمةٌ، ومأساةٌ ما بعدها ولا أقسى منها مأساة، لأنَّهُ لا يوجد سياسيٌّ في العالم كلِّه علىٰ بعضٍ قليلٍ من الموضوعيَّة والثَّقافة، لا يعرف كيفيَّة قيام إسرائيل، وحقيقتها، واليهود أنفسهم حَتَّىٰ هٰذه اللحظة، وحَتَّىٰ زوال إسرائيل يقرُّون بأنَّهم شتاتٌ من جميع بقاع الأرض، سلبوا أرضاً، وذبحوا أبرياء، وطردوا شعباً، وانتهكوا عرضاً، وأنَّ بريطانيا هي التي قدمت لهم كل العون في ذٰلكَ، وقد ذكر هو ذاته اعترافات **وايزمان** بهٰذه الحقائق في كتابه (فلسفة الثورة)(٤٢).

قَدْ يحتجُّ بعضهم بأنَّ **كوهين** يكذب، وأنَّ من عادة اليهود التلفيق.

لن أعترض على هٰذا الاحتجاج، وسأقرُّ بأن **كوهين** يكذب، ولٰكن إذا كان الأمر كذٰلكَ فلماذا لم يُكَذِّبْ **عبد الناصر** هٰذا القول، ولماذا لم يحتجَّ عليه، ولماذا لم يناقشه، ولماذا اكتفى بذكره علىٰ أَنَّهُ حقيقة؟؟؟!!! أليس في كلِّ ذٰلكَ ما يؤكِّد إقرار **عبد الناصر** بهٰذه الحقيقة، وبأنَّ **كوهين** لا يكذب؟؟! ومن ثَمَّ ألا يخترق **عبد الناصر** بذٰلكَ كلَّ الحدود والحجب والحقائق ويقول بما لا يستطيع الصهاينة أنفسهم الاعتقاد به أو حَتَّىٰ التصريح به وهو أنَّ إسرائيل لم

---

(٤١) . جمال عبد الناصر: **فلسفة الثورة** . م.س . ص١٢.

(٤٢) . م. س . ص٦٩ . ٧١.

تنشأ من العدم وإنما هي موجودة في المنطقة وناضلت ضدَّ الاستعمار كما ناضل الآخرون ضدَّ الاستعمار؟؟!!

يهودية عبد الناصر

بعد فترة من نشر ما سبق عن **عبد الناصر** في جريدة الزَّمان في مطلع عام ٢٠٠١م وصلني بحثٌ خطيرٌ خطير عن **عبد الناصر** تحت العنوان التالي كما هو محصور بَيْنَ القوسين تماماً (عبد الناصر .. حقائق غائبة). كتبه شخصٌ باسم **أبو عبد الله الذهبي**. يبدو هٰذا المقال جزءاً من سلسلة أبحاث تتناول **عبد الناصر** لم أقع عليها. فهو يبدأه بقوله: «نكمل اليوم ما بدأناه من هٰذه السلسلة... ومع طاغية بني مر الصنم الأكبر **جمال عبد الناصر** الذي أضاع فلسطين!!»، وختمه بقوله: «وإلىٰ اللقاء في الحلقة القادمة ومع نكسة حزيران يونيو ١٩٦٧م»(٤٣).

يقع البحث في عشر صفحات من قطع الورق الكبير. علىٰ الرَّغْمِ من خطورته كلِّه، فإنِّي لن أذكره كله. بعض معلوماته وقعت عليها بنفسي، وذكرت بعضها فيما قد سلف. ثَمَّة مسألة في غاية الخطورة عن **عبد الناصر** لا بُدَّ من وضعها أمام الناس لمتابعتها لمن أراد المتابعة، والذي استوقفني فيها أني وقعت بنفسي قبل كتابة بحثي عن **عبد الناصر** بسنوات على صورةٍ له وهو طفل في مجلَّة الشِّراع اللبنانية فيما أذكر، هٰذه الصُّورة لطفلٍ مجدَّل الظَّفائر مثل أطفال اليهود تماماً. عندما عدت أبحث عن الصُّورة تعذَّر عليَّ إيجادها في أرشيفي

(٤٣) . وأنا أعد هٰذا الكتاب للنشر أردت أو أتوثق من نشر المقال، فبحثت في النت عن العنوان كما هو أعلاه فوجدته منشوراً في عام ٢٠١٢م على صفحة فيس بوك، ولا شك في أنَّهُ موجود في أماكن أخرى يمكن لأي متتبع أن يعثر على أكثر من مكان لنشر هٰذا البحث وربَّما ما قبله وما بعده.

الضَّخم وضقت ذرعاً بالبحث غير مرَّةٍ. هٰذا البحث الذي كتبه **أبو عبد الله الذهبي** يقف عند هٰذه المسألة.

أُعْلِنُ سلفاً أنَّني لا أتبنى هٰذا الكلام ولست أنكرة. وأعلن أنَّهُ لا يقدِّم ولا يؤخِّر في حقيقة ما سبق أن قلناه عن **عبد الناصر**. ولٰكن إن صدقت هٰذه الشواهد فإنها تفسر ما ذكرنا، وإن كانت كذباً فإنَّ ما كان من **عبد الناصر** يبقى كما هو موضع استهجان وتساؤل في أدنى تقدير.

سأعرض فيما يلي أجزاء من هٰذا البحث كما هي من دون تغيير ما عدا تصويب ما يوجد من أخطاء لغوية، ونقل التوثيق إلى حواشي سفليَّة، مع تتبعي لصحَّة الشَّواهد من ما استطعت إلى ذٰلكَ سبيلاً. يقول **الذهبي**:

«والمتتبع لتاريخ طاغية بني مُر يعلم بأنَّهُ تربَّى وهو ابن ثمان سنوات في حارة اليهود بالقاهرة حَتَّىٰ وصل إلى رتبة ملازم أوَّل بالجيش المصري، وفي ضوء هٰذه الفترة حاولوا تفسير علاقته **بإيجال آلون وإيجال يادين** في أثناء حرب ١٩٤٨م في فلسطين من خلال هٰذه المعلومة...

ذكر بعض الكتاب وجود دلائل حول مدى نسبة **عبد الناصر** لليهود؛ إذ لما بلغ من العمر ثماني سنوات أرسله والده إلى القاهرة لاستكمال دراسته، فكان **يقطن مع إحدى قريبات والدته** في حي اليهود في منطقة الموسكي (٥ شارع خميس العدسي)[٤٤].

(٤٤) . محمد الطويل: **عبد الناصر ولعبة الأمم** . المكتب المصري الحديث . القاهرة . د.ت . ص٤٨ .

وذكر الدكتور **علي شلش** أنَّ سيدة يهوديَّة تدعى **مدام يعقوب فرج شمويل**، كان **عبد الناصر** يدين لها بالفضل؛ لأنَّها هي التي رعته في طفولته وبعد وفاة أمِّهِ، وكانت تعامله كأحد أنبائها(٤٥).

وذكر **حسن التهامي** أنَّ هٰذه السيدة قريبة والدته... فإذا كانت قريبة والدته يهودية فستكون والدته كذٰلكَ. ثمَّ لماذا اختار أبوه سيدة يهودية لرعايته قريبة كانت أو بعيدة؟ ولماذا حارة اليهود شبه المغلقة علىٰ اليهود وقتها؟ وهل ضاقت القاهرة كلها إلا من حارة اليهود؟!... وقد استمر **عبد الناصر** في حارة اليهود حَتَّىٰ رتبة الملازم أول وعمره ٢٤ عاماً.

يقول اللواء **محمد نجيب** للواء **عبد المنعم عبد الرؤوف** عام ١٩٧٩م: **عبد الناصر** أصله يهودي من يهود الشَّرق الذين جاؤوا من اليمن(٤٦).

ويقول **جلال كشك**: أعترف أنَّ مثل هٰذه النصوص التي يقدمها **هيكل**، يقصد ما ذكره **محمد حسنين هيكل** في كتابه ملفات السويس، تجعل التفسير القائل بيهودية **عبد الناصر** يلح إلحاحاً لا يمكن مقاومته(٤٧).

وحينما كان الصَّاغ **جمال عبد الناصر** رئيس أركان حرب الكتيبة السَّادسة مشاة ضمن القوات المحاصرة في بلدة عراق المنشية قطاع الفالوجا، كان يتحدث عبر خطوط الجبهة مع اليهود المحاصرين للفالوجا، وأنه كان يتلقى هدايا البرتقال والشيكولاتة من **إيجال يادين** الذي كان رئيساً لأركان حرب جنوب

---

(٤٥). الدكتور علي شلش: **تاريخ اليهود والماسونية في مصر**. ص١٦٩.

(٤٦). عبد المنعم عبد الرؤوف: **مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف**. ص٧٥.

(٤٧). جلال كشك: **ثورة يوليو الأمريكية**. ص٥٥٧.

فلسطين، وقد اعترف بذلكَ **إيجال يادين** حينما كان نائباً لرئيس وزراء اليهود على مائدة المفاوضات في أثناء زيارة الرئيس السادات للقدس عام ١٩٧٧م.

وفي أثناء احتدام المعارك في حرب ١٩٤٨م وقبل الاتفاق علىٰ الهدنة تمت لقاءات أولية بَيْنَ **إيجال آلون** وضابط إسرائيلي آخر هو **بروحام كوهين** وبين الصاغ **جمال عبد الناصر** الذي كان حينذاك ضابطاً للعمليات في الكتيبة السادسة التابعة لسلاح المشاة المصري والتي كانت محاصرة في الفالوجا، وكان **عبد الناصر** يتزَّعم في ذَلكَ الوقت حركة الضباط الأحرار السرية، وكان **آلون** قائداً للجبهة الجنوبية، وتعددت لقاءات **بروحام كوهين بجمال عبد الناصر** حَتَّىٰ وصلت خمسة عشر لقاء، وكان اللقاء الخامس عشر حينما جاء **عبد الناصر** إلىٰ منطقة الفالوجا لتحديد موقع جثث القتلى اليهود في معارك ١٩٤٨م، كان يرافقه في هٰذه المهمة **حسن صبري الخولي** الذي عينه فيما بعد ممثلاً شخصياً له. وكان هٰذا اللقاء يجري تحت مظلة جماعة الكوكيرز الأمريكيَّة، ويردف صاحب كتاب (لعبة الأمم وعبد الناصر) إنَّ الطريقة التي عرضت بها مبادرة السلام المصرية في القدس يرجع الفضل فيها لاتصالات **جمال عبد الناصر** عام ١٩٤٩م هٰذه، والتي أجراها تحت ظلِّ الأعمال الإنسانيَّة والبحث عن جثث القتلى اليهود في حرب ١٩٤٨م، أي إن بعضهم يرجع مبادرة السلام **للسادات** لخط سياسي في حياة **عبد الناصر**، وقد بدأه وسعى فيه للسلام مع إسرائيل عام ١٩٤٩م[٤٨].

(٤٨) . محمد الطويل: **لعبة الأمم وعبد الناصر** . ص٤٤ . ٤٨ .

كما أن زملاء **عبد الناصر** في الكتيبة السادسة ذكروا احتمال نجاح إسرائيل في تجنيد **عبد الناصر** لحسابها بواسطة **إيجال آلون**، وأنَّهُ كان يحمل مشاعر الحب لليهود منذ صباه، وارتبط بصداقات مع الفتيان اليهود بالحارة رفاق عمره(٤٩).

وكان **عبد الناصر** عضواً بالتنظيم الشيوعي (حدتو) الذي يرأسه اليهودي **هنري كورييل** وضمن أعضائه **ماري روزنيثال ومارسيل ليون وإيلي شوارتز** صهر **موشيه دايان** قائد جيش إسرائيل في حرب ١٩٦٧م... واستمرت صلة **عبد الناصر** باليهود حَتَّىٰ وفاته، ولم تنقطع أبداً».

بعد هٰذا كله لا عجب أبداً أن نقرأ «أن مجلس الثورة قد أجرى اتصالاً في الأيام الأولى (أيلول/سبتمبر ١٩٥٢م) يؤكِّد أنَّ النِّظام الحاضر ليس له نوايا عدوانية ضد إسرائيل»(٥٠). وفي تفسير وتأكيد مهم وخطير جدًّا لقراءتي **للسادات** في الفصل التالي أبرق السفير أمريكا في مصر **كافري** في ١٩٥٤/١٢/١١م «أنَّ مصر قد تعبر الحدود في محاولة عقد صلح شامل مقبول للعرب، ولٰكنَّهَا لن تحاول ذٰلكَ في وجه معارضة عربية»(٥١).

بل إنَّ سجلات النظام العسكري، كما ذكر **الذهبي**، وذكرنا ذٰلكَ منذ خمس عشرة سنة، «ليس فيها غارة واحدة شُنت علىٰ إسرائيل في عهد **عبد الناصر** من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧م، بل إنَّهُ لم يرد على الغارة اليهودية علىٰ غزة

---

(٤٩). انظر: جريدة الشرق الأوسط عدد تاريخ ١٣/ ٦ / ١٩٨٧م.

(٥٠). محمد الطويل: **لعبة الأمم وعبد الناصر**. ص٦٢٤.

(٥١). . محمد الطويل: **لعبة الأمم وعبد الناصر**. ص٦٢٦.

(خان يونس) ومواقع أخرى في ٢٨ فبراير ١٩٥٥م، إذ قتل اليهود ٣٥ جندياً داخل معسكر الجيش المصري وخمسة عشر جريحاً، وكذلكَ احتلال القوات اليهودية لمنطقة العوجة المنزوعة السلاح في ٢٠سبتمبر ١٩٥٥م ، والمتحكمة في عدة طرق وكلها تؤدي إلىٰ داخل الأراضي المصرية».

وأتابع من قول **الذهبي**: «لما جاء تنظيم هيئة التحرير الذي أنشأته الثورة في ١٥ كانون الثاني/يناير ١٩٥٣م تنظيم سياسي، جاء برنامجها خالياً من أي إشارة إلى فلسطين. إنَّ الثورة التي جاءت إلى الحكم بذريعة الهزيمة في حرب فلسطين، لا يمكن أن تسقط من برنامجها سهواً قضية فلسطين!!!

لقد تبين أنَّ هؤلاء القادة الذين زعموا أنَّ الثورة ولدت في نفوسهم خلال حرب فلسطين، هم أقل فئة من المصريين اهتماماً بفلسطين أو عداوة إسرائيل... فهم ألغوا قرار حكومة الوفد بمنع مرور البضائع من وإلى إسرائيل عبر قناة السويس».

في السِّياق ذاته، وبما يفسر سياسة **عبد الناصر** ضد الإسلام والأخوان المسلمين خاصة، الأمر الذي آثرنا عدم التعرض وهو مشتهر لا يجهله متابع وخاصة فيما يتعلق بمحاكم التفتيش التي فعلاً لا تقل وحشية عن محاكم التفتيش. ولذلك نترك لمن يريد البحث والمتابعة، ولكنَّنا شاهدين بحادثتين. الثانية كانت منذ أيام للمصادفة في الذكرى الرابعة والأربعين لوفاة **عبد الناصر**، فذكرتني بالحادثة الأولى التي باتت مشتهرة منذ سنوات. وقد ذكرها **الذهبي** أيضاً، الذي أبدأ بما مهد به لذلك.

يقول: «هٰذا الطاغية لم يكن ولاؤه لله ولرسوله يوماً من الأيام... من أجل من يعدم البررة من المجاهدين الذين قاتلوا في فلسطين وخاضوا المعارك ضد الإنچليز؟!!...

يقول **السادات** عن **محمد حسنين هيكل** صديق **عبد الناصر** الوفي: إنه إنسان مادي وملحد وهو لا ينكر ذٰلكَ... ويذكر صاحب كتاب: لعبة الأمم وعبد الناصر أنَّهُ قد اطلع على جميع خطب **عبد الناصر** حيث لم يبدأ خطبة منها أبداً باسم الله. يقول الكاتب: من الذي كان يكتب خطب **عبد الناصر**؟ إنه **محمد حسنين هيكل**... والذي كان قد ذكر في كتابه الطريق إلى رمضان والذي نشر باللغة الإنچليزية... ففي هٰذه الطبعة أن **عبد الناصر** لا يؤمن باليوم الآخر...».

أما الحادثة الخطيرة والشهيرة فهي التي دارت بَيْنَ **عبد الناصر وحسن التهامي** التي ذكرها **محمد الطويل** في كتابه. يقول دار الحوار التالي بينهما(٥٢):

قال **حسن التهامي لجمال عبد الناصر**: لعَلَّنا نفعل شيئاً للإسلام والمسلمين...

فقال **عبد الناصر** وبالنص: (إسلام لا... ولٰكن المسلمين الفقراء نعم).

واستمر الحوار قليلاً فقال **عبد الناصر للتهامي**: (إنت عامل نفسك زي اللي بتقولي عليه معرفش إيه من لا ينسى...).

يقول **التهامي** فلم أصدق ما سمعت وقلت: أستغفر الله... لا حول ولا قوة إلا بالله... أنت تقصد الحق جَلَّ جَلالُهُ، جلَّ من لا يسهو؟

(**٥٢**). محمد الطويل: **لعبة الأمم وعبد الناصر**. ص٣٧١. ٣٧٢.

فأعاد **عبد الناصر** قوله: (أنا عارف بتاعكم اللي بتقولوا عليه معرفش إيه من لا يسهو، ومن لا يخطئ، وإنت عامل نفسك زيّهْ...

قال **التهامي**: فقلت: أستغفر الله لاحول ولا قوَّة إلا بالله، جَلَّ جَلالُ الله، جَلَّ من لا يسهو، لا حول ولا قوة إلا بالله، جَلَّ جَلالُ الله، جَلَّ من لا يسهو، لاحول ولا قوة إلا بالله.... وقلت في نفسي ولا تكاد عيناي تطيقان النَّظر إليه أو تراه: يا الله أهٰذا الذي وليته علينا؟ أهٰذا الذي كنا نأمل فيه خيراً؟؟!

الحادثة الحديثة التي كانت من باب النفاق للقائد الانقلابي **عبد الفتاح السيسي** وتسويقاً له علىٰ أنَّهُ القائد المؤمن عكس **جمال عبد الناصر** الذي لا يجوز أن يقارن به. هٰذا النِّفاق أدَّى إلى فضح وثيقة. فقد أكَّد اللواء السَّابق بالمخابرات العامة المصرية **طه زكي**، أنَّهُ لدى المخابرات تسجيلات للرئيس الرَّاحل **جمال عبد الناصر** تثبت أنَّهُ كان يعادي الإسلام. إذا أكَّد اللواء **طه زكي**، في لقاء تلفزيوني على قناة المحور، أنَّ المخابرات عندها تسجيلات للرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** تثبت أنَّهُ لا يصوم ويرفض شعائر الإسلام وأنَّ هناك حوار مسجل بَيْنَه وبَيْنَ **هيكل** عن هٰذا الأمر. وطالب اللواء **طه** المشكِّكين أن يسألوا **محمد حسنين هيكل** عن هٰذه التسجيلات.

تصوروا أنَّ يشهد **هيكل** ضدَّ **عبد الناصر**!!! علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ **هيكل** اعترف بذٰلكَ كما ذكرنا قبل قليل في مقدمة الطبعة الإنجليزية من كتابة الطريق إلى رمضان.

بقي أن نختم هنا بأنَّ **عبد الناصر** سوَّق مشروعه في الضباط الأحرار وانتمائه للأخوان المسلمين بأنه يريد تطبيق شرع الله!!! تخيلوا!!!

هٰذا ما ذكره صاحب كتاب الصامتون يتكلمون (ص٨٢) عن **كمال الدين حسين**: «إنَّ أهداف تنظيم الضباط الأحرار كانت العمل علىٰ تطبيق الإسلام، ولا نعلم له هدفاً غير ذٰلكَ». ويقول في خطابه الذي دونه **لعبد الحكيم عامر**: «إنَّ حركة الضُّباط الأحرار منذ دخولها سنة ١٩٤٤م لا يعرف لها هدف سوى الحكم بكتاب الله»، ويذكر أنَّهُم جميعاً: **عبد الناصر، وعبد الحكيم عامر، وعبد المنعم عبد الرؤوف** قد بايعوا **محمود لبيب** والمرشد **والسندي**». ولٰكنَّ **عبد الناصر** فقط بعد خمسة أيام من نجاح الانقلاب تنصل من اتفاقه مع الإخوان!! ففيما رواه **توفيق أبو صالح** قائلاً: «وعندما وصلنا... ودخل **عبد الناصر** وصافح المرشد **حسن الهضيبي** فوجئت به يقول للمرشد: قد يقال لك إن إحنا اتفقنا علىٰ شيء... إحنا لم نتفق علىٰ شيء، وكانت مفاجأة .. فقد كان اتفاقاً علىٰ أن تكون الحركة إسلامية ولإقامة شرع الله»(٥٣).

خاتمة

هٰذا هو **عبد النَّاصر**، بل هٰذا بعض المفضوح من **جمال عبد الناصر** الذي شغل العرب من المحيط إلى الخليج، وظنَّ الجميع أنَّه أكثر العرب قوميَّة، وأحرصهم علىٰ الوحدة العربيَّة، ونسبوا إليه زوراً أنَّه يريد تحرير فلسطين من الصهاينة... ولٰكنَّهُ في حقيقته خلاف حسن ظنِّ الجماهير فيه، ولا غرابة في ذٰلكَ فإنَّ غرضه الرئيس في أحسن الظنون، وغاية غاياته، في أحسن الظنون، هي البقاء علىٰ الكرسي الساحر، وما خفي كان أعظم، شأنه في ذٰلكَ شأن

(٥٣). انظر: **الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ**. ج٣. ص ٢٥.

معظم الحكام العرب. وعلىٰ الرُّغم من أن البقاء على الكرسي هو غرض أيِّ رئيس في العالم إلىٰ حدٍّ كبيرٍ، إلا أنَّ الفرق بَيْنَ رؤساء العالم والحكام العرب أنَّ الحكام في العالم يجعلون من رفع كرامة الوطن دافعاً للشعب لإعادة انتخابهم أو إبقائهم في السلطة، أمَّا غالبية الحكام العرب الساحقة فإنَّهم إمَّا يسحقون مواطنيهم باستبداديَّة قاهرة أو يقدمون التنازلات عن كرامة القطر أو الوطن أو كليهما معاً من أجل المحافظة علىٰ هٰذا الكرسي السَّاحر... ومن شديد الأسف أنَّ العالم العربي المعاصر لم يعرف من الحكام المخلصين إخلاصاً حقيقيًّا إلا ما يقلُّ عن أصابع اليد الواحدة... فمتى يفكر الحكام العرب في المصلحة العربيَّة المشتركة؟ ومتىٰ يفكروا في الكرامة العربيَّة؛ القومية والوطنيَّة؟؟!!

ما لا بُدَّ من أن أختم به، إنه ليحز في نفسي أن أجد من ما زال يقدس هٰذا الرَّجل بعد كلِّ هٰذه الحقائق. بعد كل هٰذه الحقائق التي نشرتها منذ نحو خمس عشرة سنة، وهي مشتهرة وليست من اختراعي، سألني المئات منذ ذٰلكَ الحين وما زال يوجد من يسألني: ماذا بينك وبَيْنَ **عبد الناصر**؟ لماذا تقول ذٰلكَ عنه؟ بل إن بعضهم يكن لي أحقاداً لا تنطفئ نيرانها منذ ذٰلكَ الحين!!!

من يقدسه فليقدسه علىٰ أنَّهُ هو مثله لا علىٰ أنَّهُ رب القوميَّة ولا المقاومة فهٰذا افتئات علىٰ الحقيقة دحضته وقائع ومعطيات لا تقبل الشَّك.

الفصل الثاني

محمد أنور السادات

الضربة القاضية للأمة العربية

الإنجاز شبه اليتيم الذي يحقُّ للعرب أن يفخروا به في القرن العشرين، وهٰذا ما يقومون به فعلاً، هو حرب السادس من تشرين/ العاشر من رمضان ١٩٧٣م. ومسوغات هٰذا الفخر الذي يكاد يطاول عنان السَّماء ثلاثة على الأكثر هي أوَّلا أنَّ هٰذه هي الحرب الوحيدة التي خاضها العرب في القرن العشرين وانتصروا فيها. وهٰذا الانتصار هو الذي حطَّم أسطورة الجيش الصهيوني الذي لا يقهر ثانياً. وثالثاً أنَّ هٰذا الانتصار كان نتيجة للتضامن العربي الحقيقي الذي رُبَّما لم يتحقق في القرن العشرين إلا في هٰذه المعركة!!. ولٰكن ولشديد الأسف، وليس ثمَّة جديدٌ في الأمر من جهة المبدأ، فإنَّ هٰذه الفرحة، وهٰذا الفخر الذي دام سحابة ربع القرن، لم يكن إلا أضغاث أحلام، ومحض سرابٍ ظللنا نسعى إليه فرحين كالبلهاء والمغفلين، فلم نصدق أنَّه سرابٌ حتَّى صدمنا بفوات الأوان.

لم تكن حرب تشرين، أو أكتوبر، أو العاشر من رمضان إلا خدعةً، ومؤامرةً انطلت على الجماهير العربيَّة كما انطلت وتنطلي عليها آلاف الخدع والمؤامرات كلَّ يوم، والمضحك أنَّ هٰذه الخدعة والمؤامرة قد انطلت على كثيرٍ من الحكَّام أيضاً، هٰذا إذا لم يكونوا كلهم شركاء في الضَّحك علىٰ الشَّعب!!

لقد انكشفت هٰذه الحقيقة علىٰ لسان **جيهان السَّادات** أرملة **أنور السَّادات**، وهي تحاول الدِّفاع عن **السَّادات** وعن تاريخه (المجيد المشرِّف). ولا أدري كيف فاتتها النباهة عشرات المرات في مذكراتها وفي برنامج «شاهد على العصر» الذي بثته قناة الجزيرة علىٰ حلقات، وصرحت بهٰذه الحقائق التي فضحت **السَّادات**، وكلُّ ظنِّها أنَّها تدافع عنه وتبرئ ذمته بإعلان هٰذه الحقائق. ولتنكشف بذٰلكَ كثيرٌ من الحقائق التي ظلَّت تحير المحللين والمفكرين منذ تلك الفترة وحتَّى الآن.

فمن أين نبدأ؟ وأين نقف؟

نـقاط على الحروف

إنَّنا أمام مشكلة حقيقيَّة، فنحن أمام شخصيَّة لها تاريخ لا يجوز أن يهمل بعضه ويصعب، وربَّما سيتعذَّر، أن يدرك كله!! ولٰكن مما يُيَسِّر علينا الأمر بعض الشَّيء هو أنَّ تاريخ **السَّادات** معظمه معروف ومشتهر. ولأنَّ بعضهم يحاول الاصطياد في الماء العكر، باستغلال الظروف الدولية المعاصرة، والسَّلام الذي فرض على العرب، للقول إنَّ **السَّادات** لم يخطئ بصفقة (السَّلام) مع الكيان الصهيوني، والزَّعم من ثمَّ أنَّه سبق عصره... نجدنا مضطرين للتعريج على بعض الحقائق، وبعض المحطات في المنطق وفي تاريخ **السَّادات**. ولا سِيَّما أن مئات

علامات الاستفهام والتساؤلات تثار عند كل نقطة، أو سلوك، أو ممارسة في حياة هٰذا الرجل!!

علىٰ الرُّغم من عدم استساغة فصل حاضر المرء عن ماضيه، ولا سيما إذا كان هٰذا الحاضر امتداداً في الاتجاه ذاته لذٰلك الماضي، أي إذا لم تكن هناك نقلةٌ في نوعيَّةٌ في الفكر والممارسة، وهٰذا ما لم يتحقق في سيرورة **السَّادات**... أقول على الرُّغم من ذٰلكَ فإنَّنا سنبدأ نقاطنا من عند نقطة الصفر لانقلاب أو ثورة الضباط الأحرار، ولن نناقش علاقته مع المخابرات البريطانية. ولا دفعه إلى الواجهة السياسيَّة بافتعال اتهامه باغتيال **النَّقراشي باشا**. ولا ما أشيع عن وضع **جيهان** في طريقه، ومن ثمَّ الدور الكبير والخطير الذي لعبته في رسم السياسة المصرية بكلِّ أبعادها؛ الدَّاخليَّة والخارجيَّة، في عهد **السَّادات** باعترافها هي، وبشهادة كبار المسؤولين في هٰذه المرحلة... سنعدُّه كلَّه نسياً منسيًّا.

وكذٰلكَ تحايله بتسجيل ضبطٍ في الشَّرطة، بافتعال مشاداةٍ في السينما، ليلة ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢م، كي يبعد نفسه عن الشُّبهات فيما إذا أخفقت ثورة/ انقلاب الضباط الأحرار، سنعدُّ ذٰلكَ أيضاً سلوكاً عاديًّا لا يستحقُّ أيَّ تجريمٍ عليه، علىٰ الرغم من عدم تقبل ذٰلكَ. وإنَّما من كان يجب أن يحاسبه هم شركاؤه الضباط الأحرار و**عبد النَّاصر** علىٰ نحوٍ خاصٍّ. ولٰكنَّ **عبد النَّاصر** فاجأ الجميع وقام بالعكس تماماً عندما قرَّبه ووثق فيه أكثر من الجميع، ورفض استقالته من العمل السياسي مرَّتين، وتوَّج ذٰلكَ بجعله نائباً له في اللحظات الحاسمة. وهٰذا مما لم نستطع حَتَّىٰ الآن أن نفهمه أو نجد له تفسيراً!!

النقطة الثانية هي زيارته إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٦٦م التي أثارت كثيراً من الجدل.

كان من البديهي تماماً أن تنكر **جيهان السَّادات** اختفاء زوجها ثلاثة أيام من دون أن يُعرفَ شيءٌ عن مكانه أو جدول أعماله... وكان من الطَّبيعي أيضاً أن تبتسم وهي تؤكِّد أنَّ مرافقة المرأة اليهودية لها ولزوجها طوال الزيارة لا تحمل أيَّ معنىٰ أو دلالة... وكذلكَ كان من المنطقي أن تنفي أنَّ **السَّادات** قد بدأ يرتب أوراقه مع الأمريكان منذ ذلكَ الوقت، حتَّى وإن أثبت الجميع ذلكَ، بل حتَّى ولو ظهرت الوثائق الدامغة على ذلكَ.

إنَّ هٰذه الزيارة التي دشَّنتها السَّفارة الكويتية بكرمها الحاتمي من خلال وليمةٍ أقامتها **للسادات** والقيادة الأمريكية، ودعي إليها السفراء العرب بالمعية، تحمل أكثر من دلالة، وتنير أكثر من نقطة. وسنتفق مبدئيًّا مع السيدة **جيهان السَّادات** فيما أنكرته ونفته وأكَّدته من جهة الصُّورة. ولٰكن لا بدَّ أن نتساءل:

هل يجب أن يغيب **السَّادات** يوماً أو أكثر في الولايات المتحدة حتَّى يقيم علاقات سريَّة مع الأمريكان؟

وهل ينفي عنه عدم غيابه حقيقة تنسيقه أو عمله مع الأمريكان؟

إنَّ وجود العلاقات السريَّة، وهي مؤكَّدة بحكم ما ظهر لاحقاً، لا يتأثر بنفي أو إثبات اختفائه في أثناء الزيارة. بل إنَّ الزِّيارة ذاتها؛ أكانت أم لم تكن، ليس فيها ما يثبت أو ينفي وجود علاقات سريَّة أو اتفاقات أو مخطَّطات بَيْنَ **السَّادات** والأمريكان.

إنَّ علاقة **السَّادات** مع الأمريكان علاقةٌ وثيقةٌ عميقةٌ أكثر بكثير مما ظهر منها وبدا، وأميل إلى الاعتقاد أنَّه لم يظهر منها ولم يعلن إلا أقل القليل. وأغلب الظنِّ أنَّها بدأت منذ ما قبل الثورة، وأبعد الظنِّ أنَّها بدأت في عام ١٩٦٦م في

الزِّيارة الَّتي أوفده فيها **عبد النَّاصر**. والأدلَّة على ذَلكَ كثيرةٌ سنأتي عليها في سياق كلامنا.

النُّقطة الثالثة التي تستدعي الذِّكر على الأقلِّ هي خلواته التي شغلت بال الكثيرين وكانت مدعاة لاستغرابهم، منذ ما قبل الثورة حَتَّىٰ اغتياله. فقد كان مغرماً بالاستراحات والخلود إلىٰ الخلوة بعيداً عن كلِّ الأعين، في أماكن متباينة ومتباعدة ومتغيرة دائماً: الإسكندرية، الإسماعيلية، مرسى مطروح، ميتا الكوم، القناطر... بزعم ميله إلى التَّأمل، ورُبَّما ظنه نزول الوحي عليه... ولٰكن ألا يذكرنا هٰذا بمسلسل **رأفت الهجان** وخلواته التَّأملية؟

النُّقطة الرَّابعة، والأخيرة نسبيًّا، الَّتي يجب أن نقف عندها قبل تبيان كيف كانت حرب تشرين مؤامرة حقيقية مدبرة بَيْنَ **السَّادات** وإسرائيل والولايات المتحدة، وليست حرباً أبداً، فهي مفهوم السَّلام.

يذهب المطبعون كلهم، وهم قلَّةٌ، انطلاقاً من مفاوضات السَّلام القائمة على قدم وساق بَيْنَ دول الطوق وإسرائيل، إلى أنَّ **السَّادات** كان سابقاً لعصره عندما ذهب إلى إسرائيل وعقد معها اتفاقيَّة السَّلام. وتذهب **جيهان السَّادات** إلى أنَّه الأكثر دهاء، وفطنة، وإلهاماً، وبعد نظر، لأنَّه كان السَّباق في ذَلكَ، ولأنَّه استطاع أن يسترد كامل أرضه فيما لم يستطع ذَلكَ أيُّ طرف عربي آخر!!! والحقيقة خلاف ذَلكَ تماماً، ولعدة أسباب.

فإذا افترضنا أوَّلاً أنَّ السَّلام مع إسرائيل هو الطريق الوحيد الواجب علىٰ العرب سلوكه لما كان ثمَّة ما يدعو العرب كلهم إلىٰ الحرب وإطالة أمد الحرب لنحو ثلاثين سنة، أي حَتَّىٰ زيارة **السَّادات**، وهم يعلمون أنَّ السَّلام مع إسرائيل هو الحل الحتمي. ولكان هناك علىٰ الأقل خلافٌ ظاهرٌ بَيْنَ فريقين في هٰذا

الموضوع. ومن جهةٍ ثانيةٍ سنفترض أيضاً أنَّ العرب كلهم قد أجمعوا خطأً على أنَّ الحرب هي الطريق الوحيد. أفلا يعني هٰذا أنَّ **السَّادات** قد خان الإجماع العربي، ووضع العرب في مأزق حرج عندما انفرد بتسوية صراع يرفض العرب جميعهم تسويته بمثل هٰذه الطريقة(٥٤)؟

قد يحتجُّ بعضهم هنا بأنَّ الحكام العرب؛ بعضهم، أو معظمهم، أو كلهم، كانوا يقيمون علاقات سريَّة مع إسرائيل والمنظمات الصهيونية. وأنهم كانوا يرغبون في إقامة هٰذا السَّلام مع إسرائيل، ولذلك كانوا يؤيدون **السَّادات** في خطوته، وهٰذا ما أكَّده **هنري كسينجر** عندما قال: «الحكام العرب كانوا يؤيدون في الخفاء خطوة **السَّادات**، ولٰكنَّهُم كانوا يعارضون في العلن»(٥٥).

لن ننكر هٰذه الحقيقة، بل سنقرُّها لأنَّها حقيقة وحسب. ونقرُّ كذٰلكَ، ونؤكِّد أنَّ ما قيل أقل بكثير مما لم يعرف. إنَّ ما يجب لفت الانتباه إليه هنا هو أنَّ قيام بعض الحكام العرب، أو معظمهم بعلاقات سريَّة مع إسرائيل والمنظمات الصهيونية لا يغير شيئاً في الحكم من جهة المبدأ، لأنَّ محض كون العلاقات سريَّةً هو الدليل الأكيد جبن هؤلاء الحكام أمام الشَّعب العربي الذي يرفض كله أي علاقة مع الكيان الصيوني، وهو دليلٌ أيضاً على أنَّ ما يقومون به محض خطأ

---

(٥٤) . من الضرورة بمكان أن نميز هنا بين رفض العرب تسوية الصراع بهذه الطريقة الانهزامية الاستسلامية، وبين رفض الحكام العرب. العرب بوصفهم شعوباً لا يمكن الطعن في مواقفهم، أما الحكام العرب فقد ثبت بالأدلة القاطعة، كما هو مبين في هذا الكتاب، وغيره أيضاً، لم يرفضوا أبداً هذه التسوية المهينة للصراع في حقيقة أمرهم وسلوكهم، وإنَّما كان رفضهم في وسائل إعلامهم المحلية فَقَطْ، أما في الخفاء فالأمر خلاف ذلك تماماً وقد بينا أوجها كثيرة من ذلك.

(٥٥) . جاء هذا الكلام في محاضرة ألقاها في ٤ أيار عام ٢٠٠٠م في جامعة ميرلاند.

فلو كان صحيحاً أو كانوا مقتنعين بصحته، أو عدم مجافاته الحقَّ لما قاموا به في الخفاء، ومن وراء الأستار والكواليس.

ونضيف إلىٰ ذٰلكَ أنَّ إقدام الحكام العرب على إقامة هٰذه العلاقات السريَّة مع الكيان الصهيوني ليس لأنَّهم غير مخطئين بل لأنَّ الخطأ يلبسهم لبساً، ولأنَّ الدعم الصهيوني لهم، في ظنِّهم، هو الذي يدعم بقاءهم في السُّلطَة ويعينهم على قمع شعوبهم أكثر، وبهٰذا المعنى أقرَّ العقيد **معمر القذافي** في لقاء أجرته معه إذاعة مونت كارلو(٥٦) أنَّ «الحكام العرب كلهم إمَّا عملاء لأمريكا والصهيونية بشكل مباشر، أو أنَّهم يقومون بما تريده منهم أمريكا والصهيونية». وأيًّا كان الأمر، في هٰذا الإطار؛ أي عقل، وأيُّ منطق، وأي فلسفة... يمكن أن يتَّسق فيها أنَّ رأي عشرين شخصاً أكثر صواباً وحكمة من رأي مئتين خمسين مليون؟؟

ولٰكن ماذا لو أن فكرة السَّلام مع الكيان الصهيوني بحدِّ ذاتها غير جائزة من أصلها(٥٧)، لا قبل **السَّادات** ولا بعده، لأنَّ طبيعة الكيان الصهيوني تفتقر إلى مقومات الدولة، وبالإضافة إلى ذٰلكَ فإنَّ السَّلام مع الكيان الصهيوني أمر متعذِّرٌ باعتراف اليهود ذاتهم قبل غيرهم، والشَّواهد على ذٰلكَ كثيرة جدًّا. ومن ثَمَّ فإنَّ مفاوضات السَّلام التي فرضت على دول الطوق إثر حرب تحرير الكويت من الأشقاء العراقيين، لا تستند إلىٰ أيِّ شرعيَّة تمتلك بعض المنطق. ومن ثمَّ أيضاً فإنَّ زيارة **السَّادات** إلى الكيان الصهيوني، وتسويته الصراع، كانت وستظلُّ خيانةً

(٥٦) . لا أذكر تماماً تاريخ هذا اللقاء، ولعله كان في بحر عام ١٩٩٨م. وإن لم يكن فقبل أو بعد سنة.

(٥٧) . انظر كتابنا: **انهيار أسطورة السَّلام**. الطبعة الأول عام ١٩٩٦م، والطبعة الثانية عام ٢٠٠٣م.

بكلِّ المعايير والمقاييس. والذين يزيد الطِّين بلَّةً، ويعمق الخيانة أكثر وأكثر هو حرب تشرين التي ضحك بها **السَّادات** علىٰ لحى العرب كلهم.

مؤامرة الحرب الكاذبة

إنَّ ما حدث في حرب تشرين/ أكتوبر/ رمضان عام ١٩٧٣م خيانة في ثوب نكتة لم يعرف التَّاريخ لها نظيراً ولا مثيلاً أبداً!!

الذي حدث هو أنَّ **السَّادات** اتفق مع إسرائيل والولايات المتحدة علىٰ أن يشنَّ حرباً على إسرائيل وينتصر فيها، ويدفع ثمن ذَلكَ في أقرب وقت إنهاء الصِّراع مع إسرائيل، وإخراج مصر من ساحة الصراع. أقول في أقرب وقت تحديداً وسأبَيِّنُ لماذا بعد قليل. وأن يسعى كذَلكَ إلى جرِّ العرب الآخرين، وخاصَّةً سوريا والفلسطينيين، إلى هٰذه التسوية. ولينتهي بذَلكَ كلُّ شيءٍ اسمه «صراع وجود لا صراع حدود»، «وليعيش القاتل والمقتول معاً في وفاق ووئام!!!!». والأدلَّة علىٰ ذَلكَ واضحة، وأظنَّ أنَّ من الصَّعب دحضها. وهٰذا ما سنبينه على النَّحو التَّالي:

أولاً: في لقاءٍ أجراه **أكرم خزام** مراسل الجزيرة في موسكو مع أحد ضباط المخابرات السوفياتية قال «إنَّ حرب ١٩٧٣م بَيْنَ العرب وإسرائيل كانت مؤامرة مرتبة». وأنَّ المخابرات السوفيتيَّة (الروسية الآن) تمتلك الوثائق الَّتي تؤكِّد هٰذه الحقيقة.

ثانياً: لقد صرَّح **السَّادات** نفسه بهٰذه الحقيقة لزوجته التي أخبرتنا بذَلكَ بقوله: «أنا أريد أن أصنع سلاماً لم يسمع به أحد. وَلكِنِّي قبل السَّلام سأخوض حرباً، وأكمل هٰذه الحرب بالسَّلام». ألا يعني هٰذا الكلام أنَّ **السَّادات** كان

يخطِّط لزيارة إسرائيل وتسوية الصِّراع قبل الحرب، ورُبَّما قبل أن يصير رئيساً لمصر. لأنَّ كلامه هٰذا كان قبل الحرب، والحرب كانت بعد استلامه الرِّئاسة بأقل من ثلاث سنوات. ومما يعزز اعتقادنا بأنَّهُ كان يخطِّط لتسوية الصِّراع منذ ما قبل استلامه السُّلطَة هو أنَّه كان يهجس دائماً (بالسَّلام)، ويضمر إقدامه على تسوية الصراع مع الكيان الصهيوني، فقد قال لزوجته أيضاً قبل الحرب: «لن أقوم بالسَّلام حَتَّىٰ أقوم بحربٍ أثبت فيها للعالم أننا لسنا جثة هامدة». بما يدلُّ دلالة واضحة علىٰ أنَّه لم يقدم على الحرب إلا من أجل التسوية، والسَّلام مع إسرائيل هو غايته ومبتغاه.

ولعَلَّه كان يريد القيام بالتَّسوية من دون الحرب، بل إنَّهُ أكد هٰذه الحقيقة في خطابه أمام الكنيست في التاسع عشر من تشرين الثاني ١٩٧٧م، أي بعيد وصوله إلى الكيان الصهيوني، إذ قال: «في شباط ١٩٧١م قلت إنِّي مستعدٌّ لتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل... وتابع قائلاً: أنتم تريدون العيش معنا في هٰذه المنطقة من العالم، وأنا أقول لكم بكل الإخلاص: إننا نرحِّب بكم بكلِّ الأمن والأمان»(٥٨). ولٰكن يبدو أنَّ أحداً ما أشار عليه بالتَّخطيط مع إسرائيل للظهور بمظهر المنتصر، وإلاَّ ما الذي كان يضمن له أنَّه سينتصر في الحرب حَتَّىٰ يتحدث قبل الحرب بكثير عن ما بعد الحرب وكأنَّه يعرف النتيجة مسبقاً، وكلُّ ذَلكَ في ظلِّ سيادة فكرة الجيش الإسرائيلي الذي لا يهزم، وفي ظلِّ انكسارات العرب وهزائمهم الَّتي امتدت نحو ربع قرن أمام هٰذا الجيش الصهيوني؟؟؟

---

(٥٨) . من خطابه أمام الكنيسيت الصهيوني، والخطاب موجود في مراجع عديدة، انظر مثلاً كتاب: **دراسات في المجتمع العربي** للدكتور حسان حلاق وآخرون . دار بيروت المحروسة . بيروت . ١٩٩٥م . ص٤٩١ . ٤٩١.

إنَّ إعلانه هٰذا عن موافقته على السَّلام مع إسرائيل بعد أشهرٍ قليلةٍ فَقَطْ من استلامه السُّلطَة، في ظلِّ الظروف المصرية خصوصاً، يعني أمراً ويفسر آخر. فهو يعني أولاً أنَّه كان يخطط للاعتراف بإسرائيل منذ ما قبل استلامه السُّلطَة، بما يؤكِّد عمالته وخيانته تأكيداً غير قابل للشَّكِّ ولا الطَّعن. وأنَّهُ ثانياً، علىٰ الرُّغم من سيرته وتاريخه المشبوهين، قد أوصل إلى السُّلطَة ليقوم بهٰذه المهمة تحديداً. أمَّا ما يفسره هٰذا الإعلان فهو بقاء **السَّادات** في السُّلطَة بضمانات حلفائه وحمايتهم، فقد كان الشارع المصري، والمسؤولون المصريون كلهم تقريباً يتعاملون مع **السَّادات** على أنَّه مرحلة انتقالية قصيرة بعد وفاة **عبد الناصر**. ولٰكنَّ الأمور سارت على العكس تماماً.

ولذٰلك لم تكد الحرب تضع أوزارها حَتَّىٰ صرَّح مرَّة أُخرىٰ، كما قالت أرملته: بأنَّه «حارب حَتَّىٰ إذا جلس إلى طاولة المفاوضات يجلس جلوس النِّدِّ إلى النِّدِّ»(٥٩).

من المؤكَّد أنَّ هٰذه النِّديَّة وزعم نفي كوننا جثةً هامدةً ليس إلا وهماً لخداع الآخرين لا نفسه الَّتي لم يكن يهمها شيء من ذٰلكَ، كما يبدو من سياق سيرته وتصريحاته، وكما يؤكد ذٰلكَ ما ذكرته زوجته ذاتها في تقرير نشرته مجلة روز اليوسف ننقل منه عن **جيهان السادات** حرفيًّا: «ذكرت أنَّها رفضت أن تضع يدها في يد **ليئة رابين** خلال مؤتمر المرأة في المكسيك عام ١٩٧٤م (أي بعد حرب أججت الصراع)، ووقتها، كما تقول، قالت **للسَّادات**: إنَّ السياسيين يفسدون علاقات

(٥٩) . جيهان السادات: شاهد على العصر . حوار أعده وقدمه أحمد منصور على قناة الجزيرة الفضائية.

السيدات، ولو سمحتم لي بالعمل لكنت مهدت للسلام مع السيدات. ووقتها ردَّ **السادات** على **جيهان**، كما تقول: سيأتي وقت ذَلكَ... وفي النهاية سيكون هناك سلام بَيْنَ إسرائيل ومصر، وساعتها ستقولين **لـ ليئة رابين** عن سبب عدم مصافحتك لها... وستعتذرين عن هٰذا اليوم... وستضحكين معها على هٰذه الذكريات...»(٦٠).

وعلى الرُّغم من كلِّ ذَلكَ، وعلى الرَّغْمِ من شيوع أنَّها هي الَّتي وقفت وراء صفقة السلام بل الاستسلام، وقد بدا شيءٌ من هٰذا في كلامها السَّابق، فإنَّها ظلَّت تزعم أنَّها لم تسمع بخبر السَّلام، أو عزمه على الذَّهاب إلى القدس إلا عندما أعلن ذَلكَ في مجلس الشَّعب المصري.

حَتَّىٰ الآن، باستثناء تصريح ضابط المخابرات الروسية، لا يبدو شيءٌ من المؤامرة، ولٰكنَّ الخيانة واضحةٌ. إنَّ النِّقاط التالية، بربطها مع ما سبق، وحَتَّىٰ من دون ربطها، تؤكِّد ما ذهبنا إليه من أنَّ الحرب كانت مؤامرة وحض مؤامرة.

ثالثاً: في برنامج سري للغاية، على قناة الجزيرة، أعلن **جوزيف سيسكو** أَنَّهُ فاوض **چولدا مائير** رئيسة الوزراء الإسرائيلية في عام ١٩٧٢م على هٰذه الحرب، بمعنى أَنَّهُ أطلعها علىٰ المخطط القادم، وقال لها: «كلُّ ما هو مطلوب منا هو السماح بدخول خمسمئة جندي ببنادقهم مع دبابة إِلَى الطرف الثاني من القناة من أجل تسويغ البدء

---

(٦٠) . توحيد مجدي: **خطابات عزاء ومكالمة تلفونية وحوارات للصحف الإسرائيلية تكشف لماذا لم تشارك جيهان السادات في جنازة رابين** . مجلة روز اليوسف . القاهرة . العدد ٣٥٢٠ . ١٧/١١/ ١٩٩٥م . ص٩١. وهنا لا بُدَّ من الإشارة إِلَى أَنَّ سبب عدم مشاركتها في الجنازة هو أَنَّها لم تتلق دعوة من الرئيس مبارك لمشاركته في وفد العزاء... وقد أسفت لذلك واستاءت كما ذكرت.

بمفاوضات السَّلام»[٦١]. وقال إنَّها رفضت الفكرة، ولٰكن ما سيأتي يبين أنَّها كانت مقتنعةً بإرادتها أَو علىٰ الرَّغْمِ منها، وخاصَّةً إذا أضفنا جهود **هنري كسينجر** الأمريكي الأكثر يهودية من اليهود كما قرر هو ذاته في مذكراته.

رابعاً: بعد النقطة السابقة لن يكون هناك مجالٌ للظَّنِّ أو الشَّك فيما ذهبنا إليه، ومع ثغرة الدفرسوار تبدأ المعالم بالاتضاح أكثر فأكثر. فكلُّ التَّوقعات كانت تشير إلى سيرورةٍ معيَّنةٍ للمعركة، مع بعض التحسُّبات والتوقعات، وعلىٰ هٰذا الأساس كان اتفاقه مع الكيان الصهيوني فيما يبدو. ولٰكنَّ الذي حدث هو أنَّ الجيش المصري، وكذٰلكَ الجيش السوري، فاقا كلَّ التَّوقعات؛ بالاندفاع، والبسالة، والإصرار على التَّحرير لا النصر، والروح الاستشهادية، فأنجزا بقليل من الساعات ما كان متوقعاً إنجازه في أيام ورُبَّما أسابيع. ومما زاد طين **السَّادات** بِلَّةً زحف المساعدات العربية بمختلف أنواعها؛ العسكرية، والمادية، والمعنويَّة...

وهنا كان لا بُدَّ **للسادات** من أن يتدخل حَتَّىٰ لا يتهمه الإسرائيليون والأمريكيون بالخيانة والغدر لأنَّ الجيش تجاوز كلَّ الخطوط الحمراء، وإذا ما استمر الأمر على ما هو عليه فمن الممكن أن تزول إسرائيل من الوجود ويفقد السَّلام الذي يحلم به **السَّادات** معناه!! فأخذ على عاتقه إدارة المعركة بذاته، ليضع الجيش المصري في مأزق يفرض عليه موقفاً تفاوضياً، وإيقافاً للمعركة. وعلى الرُّغم من اعتراض كلِّ القادة على مخططاته، وتبيانهم أنَّ تطوير الهجوم

---

(٦١) . من لقاء معه في برنامج سري للغاية الذي حمل عنوان: حرب تشرين (الجزء الأول) . عرض يوم الخميس ٢٠٠٣/١٠/٢م.

على النَّحو الذي يريده سيكشف ظهر الجيش، وتحدث الثغرة التي تعرض الجيش لخطر الحصار وربَّما الإبادة، فقد فرض ذَلكَ عليهم فرضاً وكانت الثغرة.

إنَّ حدوث الثغرة علىٰ هٰذا النَّحو ليس مجال تأويلٍ أو اجتهادٍ لأنَّ هٰذا ما انكشف وانفضح منذ تلك الأيَّام، وكلُّ مذكرات الضباط الكبار في الجيش المصري، في تلك الفترة تتحدث عن ذَلكَ بالتفصيل. ولٰكنَّ الاعتراض الذي قد ينشأ هو ما الذي يدرينا أنَّ **السَّادات** تعمد إحداث الثَّغرة، ولِمَ لم تكن لخطأ في التقدير؟

إنَّ فيما سبق ذكره يكفي لِنَمِيْلَ إلى هٰذا الظَّن، ونضيف إلىٰ ذَلكَ مكالمة هاتفيَّة حدثت بَيْنَ **السَّادات وكسينجر**، ففي حمأة المعركة سمعته زوجته وهو يهاتف **كسينجر** ليلاً ويقول له: «أنا سأنسف الثغرة بما فيها...». ولٰكن ماذا قال له أيضاً؟ وماذا دار بينهما؟ هٰذا ما لم تخبرنا به السيدة **جيهان**. والسُّؤال الذي نريد طرحه هنا هو: إذا أراد أيُّ واحدٍ أن يحلِّل هٰذه العبارة فقط، ويتوقع أبعادها، بغضِّ النَّظر عمَّا أغفلته أرملته، ولا ندري ما هو أصلاً. فما الذي يمكن أن يخطر في باله؟

إذا أحسنا الظنَّ في نية **السَّادات**، فإنَّ ما سيخطر في البال هو أنَّه يهدد بنسف الثغرة بقصد متابعة الحرب وتقدم الجيش. ولٰكنَّ حسن الظَّن هٰذا ليس في مكانه أبداً، فإذا كان يستطيع نسف الثغرة، وكان في مقدوره أن يفعل ذَلكَ فعلاً، فلماذا لم ينسفها؟؟ إنَّ ما فعله هو العكس تماماً، وكلُّه يؤكِّد أنَّ الثغرة متعمدة تماماً، وهي بالاتفاق مع إسرائيل وأمريكا في آن معاً لا محض اجتهاد فقط. ولدينا لتأكيد وجهة النَّظر هٰذه دليلان على الأقل، بالإضافة إلى ما سبق، وإلى ما سياتي بعدهما:

أوَّلهما أن نسف الثَّغرة كان ممكناً، وكما أعلن **سعد الدين الشاذلي، ومحمد فوزي**، فقد وضع قادة الجيوش خطة لذلك وعرضت على **السَّادات** ولكنَّه لم يأخذ بها، والذي فعله أنَّه فاوض على فصل القوات. والمصيبة أنَّه، وعلىٰ الرَّغْمِ من أنَّه في موقع قوَّة، فقد فاوض وكأنَّه تحت المقصلة. فقد كان بإمكانه أن يضغط لتحصيل أفضل الشُّروط والظروف والمكاسب، وأن يحصل عليها من دون أيِّ تنازل، أو علىٰ الأقل بتنازلات لا تذكر. ولكنَّهُ لم يفعل ذلكَ، بل قبل بالشُّروط الإسرائيليَّة السِّت كاملة، حَتَّىٰ إنَّ **جولدا مائير**، دهشت من قبوله بها وأعلنت صراحة أنَّها لم تكن تتوقع ذلكَ أبداً. وكذلكَ كان شأن **كسينجر** الذي لم يستطع إلا أن يبدي دهشته من ذلكَ، حَتَّىٰ إنَّه عَبَّرَ عن ذلكَ بصورة مهذبة عندما قال: «كان يثق بي إلى درجة تعريض الجيش المصري للفناء»(٦٢). قال ذلكَ لأنَّه لا يستطيع أن يفصح عن الحقيقة على الأقل. ولذلك كانت اتفاقيَّة فصل القوات إهانة لما أنجزه الجيش المصري، وإذلالاً له.

ثانيهما أنَّ إسرائيل بمجرد وقوع الثَّغرة نقلت معظم جيشها، وقوتها، إلى الجبهة الشَّمالية لتصد الجيش السوري الذي كان يتقدم علىٰ امتداد الجبهة بشكل غير متوقع، ولم يكن منخرطاً في اللعبة، ورُبَّما لن يوقف بثغرة أخرى. الأمر الذي وضع الجيش السوري في مأزق حرجٍ جدًّا وأدى إلى نسف كلِّ جهوده، وتحويل انتصاراته إلى ما كاد أن يكون هزيمة كبيرة. الأمر الذي أدىٰ إلىٰ استياء الرئيس السوري **حافظ الأسد**، واتصل **بالسَّادات** ليعاتبه على ذلكَ، ولا سيَّما عندما ازداد الفرق في الطلعات الجوية الإسرائيلية، وتركت على الجبهة السورية،

(٦٢) . جاء هذا في محاضرته في جامعة ميرلاند الَّتي أشرنا إليها.

«فصارت تبلغ ١٢٠٠ طلعة على سوريا مقابل ٢٥ طلعة على مصر»، فقال الرئيس **الأسد للسادات**: «هل يجوز هٰذا يا ريس؟ . فردَّ **السَّادات** باستهتار، وكَأَنَّهُ يحاول أن يقول نكتة: رُبَّما كنتم مخطئين بصفر. فقال الرئيس **الأسد**: وإن يكن، فهذا يعني ٢٥٠ طلعة ضدكم و١٢٠٠ طلعة ضدنا!!»(٦٣).

قد يظنُّ بعضهم أنَّ هٰذا الدَّليل ساذج، ولٰكنَّ الظانَّ في حقيقة الأمر هو الساذج، لأنَّه يتجاهل، بغض النظر عما سبق، حقيقة أساسيَّة تدرك بالبداهة، وهي: كيف تجرؤ إسرائيل علىٰ نقل معظم جيشها، وقوتها، بٰهذه البساطة ومن دون توقف المعركة أو توقيع هدنة، إلى الجبهة الشَّمالية وتترك الجبهة المصرية بقليل من العساكر لم تصمد أضعاف أضعافهم ساعات أمام الجيش المصري، مع كون الجيش المصري أضغاف الجيش السُّوري، والجبهة المصريَّة أضعاف الجبهة السَّوريَّة؟؟!! هل يمكن أن تقوم بذٰلكَ من دون أن تكون لديها الضَّمانات الكافية والأكيدة التي تجعلها تثق في أنَّ الجبهة المصرية لن تتابع القتال؟؟ ومن ثمَّ ألا يدل هٰذا على أنَّ **السَّادات** قد أحدث الثَّغرة ليعطِّل تقدُّم الجيش المصري، والسُّوري أيضاً، ويوقف انتصاراته التي فاقت، في بداية الحرب، كلَّ التَّوقعات؟!

رابعاً: ومن الأدلَّة المؤكدة على أنَّ **السَّادات** قد رتَّب الحرب وخطَّط لها بالتَّعاون مع إسرائيل والولايات المتَّحدة هو الفضيحة التي تورط بها الملك **حسين** وألحقت به العار إلى ابد الآبدين. وتحليلنا للحرب علىٰ نحو ما سبق هو الوحيد الذي يفسِّر لنا ما حدث بَيْنَ **حسين** و**جولدمائير**.

---

(٦٣) . غسان شربل: **حوار مع العماد أول مصطفى طلاس** . ضمن مجلة **الوسط** . لندن . العدد٤٤٠ . ٢٠٠١/٧/٣م.

لقد أدرك الملك **حسين** بدهائه السياسي وبصيرته النَّافذة، من خلال تحركات الرئيسين؛ **الأسد والسَّادات**، أنَّ الرَّئيسين عازمان علىٰ الحرب. وقد ساءه ذَلكَ وأزعجه كثيراً، وخاف علىٰ إسرائيل من ضربةٍ مفاجئة تقسم ظهرها وتعكِّر صفوها، فاتَّصل هاتفيًّا، قبل ثلاثة أيام، بـ **جولدا مائير** وأخبرها عن تخوفاته من أن تقوم مصر وسوريا بشنِّ حربٍ علىٰ إسرائيل. ولٰكنَّ **جولدا مائير**، بحكم اشتراكها في التَّخطيط للحرب مع **السَّادات**، بصورةٍ أو بأخرى، اضطرت إلى تسفيه رأيه، وتكذيب ظنَّه وتبديد تخوفاته، وأنكرت عليه ما ادَّعىٰ. لأنَّها لو سمحت لمخاوفه أن تأخذ مداها، مع هٰذه المدة الكافية للتحضير والاستعداد، فإنَّ المخطط كلُّه سيؤول إلى الإخفاق وتخسر إسرائيل فرصة تسوية الصراع، وإذعان مصر، ومن ثمَّ العرب، للأمر الواقع.

ولٰكنَّ المصيبة التي ما بعدها مصيبة هي أنَّ الملك **حسين** حين لم يجد أذناً صاغيةً على الهاتف من **جولدا مائير**، وحرصه على إسرائيل، فيما يبدو، أكثر من حرص **جولدا مائير** وكل اليهود عليها، ركب طائرته الخاصة (ولعَلَّه لمثل هٰذه المهمات أتقن قيادة الطائرات) وذهب إلى إسرائيل، وطلب مقابلة **جولدا مائير**. ولٰكنَّهَا، للأسباب السابقة ذاتها، تهربت من لقائه أكثر من مرَّة بذريعة الاغتسال، ثمَّ الاجتماع الضروري. ولٰكنَّ الملك **حسين** أصرَّ على لقائها حَتَّىٰ ولو اقتحم عليها المجلس، فوضعها بذَلكَ أمام حصاره الذي لا مفرَّ منه، فلم يعد بإمكانها إلا لقائه، فقابلته وشرح لها لماذا هو متأكد من أنَّ مصر وسوريا ستشنان الحرب علىٰ إسرائيل!!! ولٰكنَّهَا عادت إلى طمأنته وتهدئة روعه من

جديد. واضطرت إلى ادعاء اتخاذ الترتيبات لافتضاح الأمر، والشكوك التي ثارت حول مجيء الملك **حسين**.

أسئلة كثيرة تتداعى هنا نكتفي بواحد منها هو: أيمكن أن تكون هٰذه هي ردود أفعال **جولدمائير**، أو أي رئيس في إسرائيل أو في العالم بما يخص بلده، باستثناء **عبد الناصر** في ١٩٦٧م، علىٰ خبر عزم سوريا ومصر شنَّ الحرب علىٰ إسرائيل لولا أنَّها شاركت في ترتيب هٰذه الحرب مع **السَّادات**؟ من المتعذر تصديق ذٰلكَ أو قبوله.

خامساً: أمَّا من جهة محاولة جرُّ العرب الآخرين إلى طاولة المفاوضات فإنَّ إسرائيل لم تكن بحاجة إلا إلىٰ الفلسطينيين وسوريا، لأنَّ العرب الآخرين علىٰ قسمين أولهما مرتبط معها بعلاقات سريَّة أقوى من علاقاتهم مع العرب الآخرين، وثانيهما بعيد عن ساحة الصراع على الأقل جغرافياً. ولذٰلك اقتصر تنسيق **السَّادات** في البداية علىٰ **ياسر عرفات** الذي لم نستطع أن نعرف حقيقة موقفه تماماً سوى أنَّه صفَّق **للسادات** عندما أعلن خبر ذهابه إلى إسرائيل، وهٰذا مما لا شكَّ فيه أبداً لأنَّه مصور وموجود. ومما علمناه أيضاً أنَّه وافق في البداية، ولٰكنَّهُ غير رأيه. لماذا؟ لم ندر حَتَّىٰ الآن!! وعلى أيِّ حال فإنَّ ما فعله **ياسر عرفات** لاحقاً لا يفترق كثيراً عمَّا فعله **السَّادات**.

أمَّا بالنسبة إلى سوريا فإنَّها، والله أعلم، لم تدر إلا إثر الخطاب الذي ألقاه **السَّادات** في مجلس الشعب المصري. ولٰكنَّ الذي أستطيع أن أخمنه هو أنَّ **السَّادات** أخبر الرئيس **حافظ الأسد** عندما جاء إلى دمشق ليخبره عن زيارته إسرائيل، ويحاول أن يأخذه معه، أخبره حينها أنَّ حرب تشرين، التي كانت

سوريا شريكاً فيها، كانت معدَّة، ومدبرة مع إسرائيل وأمريكا من أجل تلك اللحظة. ومن المؤكَّد أنَّ هٰذا مما زاد هول الصَّدمة على الرئيس **الأسد**... هٰذا محض تخمين لا دليل عليه. ولٰكنَّ المعروف للجميع هو أنَّ الرئيس **الأسد** حاول جاهداً ثنيه عن هٰذه الزيارة بأيِّ ثمن. حَتَّىٰ إنَّه، كما ذكر العماد أول **مصطفى طلاس** بعد وفاة **حافظ الأسد**، «قد فكَّر في اعتقال **السَّادات** والزج به في السجن، وشاور في ذٰلكَ كبار المسؤولين، ولٰكنَّهُم لم يفضلوا ذٰلكَ». وفي مقابل ذٰلكَ كان **السَّادات**، كما ذكرت زوجته «مصرًّا إصراراً شديداً على مواصلة انتصاره في حرب تشرين بمسيرته السلمية»... فهل كانت حرب تشرين حرباً فعلاً؟

من المؤكد أنَّ كثيرين هنا سيتساءلون عما إذا كان الرئيس **حافظ الأسد** قد شارك في مؤامرة الحرب كما شارك في الحرب، أم لا.

إنَّ واقع الحرب، والأحداث اللاحقة حَتَّىٰ وفاة الرئيس **الأسد** تشير إلى أنَّ **الأسد** لم شريكاً في مؤامرة الحرب، وأنَّه لم يدر بها على الأقل حَتَّىٰ زاره **السَّادات** وأطلعه على نيته في تسوية الصراع، ورُبَّما، كما خمنا، أطلعه على أنَّ الحرب كانت مؤامرة. ولعَلَّ هٰذا ما زاد في استفزازه ودفعه إلى التفكير في اعتقاله. والذي يبدو أيضاً هو أنَّ **السَّادات** هو الذي خطط لهذه الحرب ودعا **الأسد** إلىٰ الاشتراك فيها، ومؤشر ذٰلكَ أنَّ **محمد حسنين هيكل** كان علىٰ اطلاع بالتخطيط للمعركة، وقد سأل **السَّادات** بعد اتصاله بالرئيس **الأسد** عما إذا كانت سوريا ستشارك في الحرب أم لا.

وبذلك أخفق **السَّادات** في جرِّ الفلسطينيين والسُّورين إلىٰ طاولة المفاوضات مع الكيان الصهيوني. وأغلب الظَّنِّ أنَّه لم يضمن في الأصل تحقق ذَلكَ بشكل مؤكد، وبقي في السَّاحة وحيداً.

لماذا تأخَّر في بدء التسوية ؟

لقد بدا من تصريحات **السَّادات** على لزوجته، أنَّه مستعجل علىٰ (ارتكاب السَّلام)، وكان من المفترض فيما بدا أن يبدأ هٰذا المشروع بعد سنة من الحرب، أو اثنتين على الأكثر، لأنَّه من النَّاحية الواقعية والمنطقيَّة، فيما لو كانت الحرب حرباً فعلاً، لا يوجد ما يضمن **للسادات** أن تثأر إسرائيل بسرعة كي تستعيد ثقة اليهود فيها علىٰ الأقل، ولأنَّها كما أثبت التَّاريخ لا تفوت ثأراً أبداً إن كانت قادرة عليه، بما يعني أنَّ فرصة السَّلام التي ينشدها ستضيع، هٰذا فيما لو لم يكن يخطط لها مع إسرائيل وأمريكا منذ ما قبل استلامه السُّلطَة.

الذي حدث أن بدء العمل في هٰذا المشروع رسميًّا لم يبدأ إلا في نيسان ١٩٧٧م من خلال لقاءيه مع **كارتر**، وتدولاته مع فريق العمل المكون من الملك **الحسن الثاني**، وشاه إيران، و**تشاوشيسيكو** الذي كان يلتقي **السَّادات** ويتبادل معه المعلومات علىٰ طريقة الجواسيس والعملاء في رحلة قطار، في حديقة!!! وكذَلكَ دخول رئيس المخابرات السُّعودية، غير المعروف الأبعاد، على الخط في بعض المراحل!!! فلماذا لم يبدأ هٰذا المشروع قبل عام ١٩٧٧م؟

الأمر ببساطة هو أنَّ الراعي الأمريكي لم يكن جاهزاً قبل ١٩٧٧م، وهنا سنجد دليلاً جديداً على أنَّ **السَّادات** قد خطط للحرب والسَّلام مع الأمريكان علىٰ الأقل منذ تسلمه السُّلطَة.

إنَّ فلسفة **ميخائيل چورباتشوف** التي أنهت الاتحاد السوفيتي تشبه تماماً فلسفة **أنور السَّادات** في التسوية، طبعاً إن كانت أياً منهما فلسفة. فقد كان كلاهما مقتنعاً تماماً، من دون أن يبين لماذا، أنَّ كلَّ الخيوط بيد الولايات المتحدة، وأنَّها هي صاحبة الحل والربط. وكلاهما تعامل مع السَّلام؛ سلام **چورباتشوف** العالمي، وسلام **السَّادات** مع إسرائيل، علىٰ أنَّه واجبٌ أو قدرٌ لا مفرَّ منه، ولا محيد عنه!!! ولٰكن إذا كان **چورباتشوف** قد بدأ مشروعه الإصلاحي الذي قضى علىٰ الاتحاد السوفيتي فور تسلمه السُّلطَة، واستطاع تحقيق السَّلام العالمي خلال ثلاث سنوات، فإنَّه كان من الصَّعب جدَّ علىٰ **السَّادات** أن يبدأ بالتسوية فور وصوله إلى السُّلطَة، وافتعل حرب التَّحرير كما بيَّن هو من أجل الدخول في المفاوضات. ولذٰلك لم يتأخر البدء بهٰذا المشروع إلىٰ ما بعد الحرب، أي إلىٰ ما بعد ١٩٧٣م.

ولٰكنَّ سوء حظِّ **السَّادات** أنَّه بمجرد انتهاء الحرب وتبعاتها بدأت فضيحة الرئيس الأمريكي **ريشارد نيكسون** المشتهرة بـ (ووترجيت)، وكان من المفترض أن يرعىٰ هو عمليَّة التَّسوية. وباستقالته تأخر المشروع بعض الشَّيء، ولأنَّ **فورد** هو الذي تابع الفترة الدستورية التي لم يبق منها ما يكفي، حسب التوقعات، لإكمال مشروع التسوية، وإنهاء الصراع، فقد اضطر **السَّادات** إلى تأجيل البدء بالمشروع إلى ما بعد الانتخابات الأمريكيَّة ومعرفة من الذي سينجح في الانتخابات.

وبالفعل فقد كانت مخاوف **السَّادات** في مكانها فقد نجح **جيمي كارتر** في الانتخابات وأخفق **جيرالد فورد**. وهنا تتضح الأمور وتتأكد

الحقيقة، فلم يمض نحو الشهرين على استلام **كارتر** رئاسة الولايات المتحدة حَتَّىٰ بدأ المشروع رسميًّا، وليس من الصَّعب أن نستنتج من ذَلكَ أنَّ التَّخطيط كان قبل **كارتر**، هٰذا الذي لم يفعل شيئاً سوى أن تابع ملفات أعطيت له من (السي أي إيه)...

صحيحٌ أنَّ هٰذه الفكرة الأخيرة محض قناعة، ولٰكنَّهَا مستندةٌ إلى قرائن... قد لا تكون حدثت تماماً كما حللنا، ولٰكنَّ تأخَّر **السَّادات** في بدء التَّسوية لا يبتعد أبداً عن الأسباب التي قدَّمناها.

وفي العشرين من تشرين الثاني عام ١٩٧٧م توجَّه الرئيس المؤمن الحاج **أنور السَّادات** إلى القدس في زيارته التي أذهلت العرب، أقصد الشعب العربي لا الحكام، والعالم. وقع اتفاقية كامب ديفيد بكلِّ ما فيها من ذلٍّ وهوانٍ وتنازلات ووضع حدٍّ للصِّراع العربيِّ الإسرائيلي منذ تلك اللحظة... الزيارة منذ لحظتها الأولىٰ صخباً سياسيًّا في العالم والعالم العربي علىٰ نحوٍ خاصٍّ، فعلىٰ الرَّغْمِ من أنَّها أدَّت في ظاهرها إلى إجماعٍ عربيٍّ، إلا أنَّها في حقيقة الأمر أحدثت الشَّرخ الأكبر في بنيان الأمَّة العربيَّة، وكانت مفتاح السُّقوط العربيِّ علىٰ مختلف الأصعدة والمستويات، لا علىٰ مستوىٰ واحدٍ. فقد كان الحكام العرب، كما أشار **كسينجر**، وهٰذه حقيقة، يؤيدون **السَّادات** في الباطن، ويشجبون ما فعله في الظَّاهر. وهٰذا يعني بدء الانفصال الذي لا رجعة فيه بَيْنَ مطامح الشَّعب العربيِّ وقناعاته ومصالحه، وغايات الحكُّام العرب وقناعاتهم ومصالحهم... والبقيَّة لا تحتاج إلى كثيرٍ من النَّباهة.

محطات في حياة السادات[٦٤]

مع بداية الأربعينات انخرط مع المخابرات النازية الألمانية في ما عرف بقضية العوامة (الراقصة حكمت فهمي). اعتقل علىٰ إثرها، ثمَّ أفرج عنه.

عبد الناصر وجد فيه ضالته بسبب علاقته مع حرس الملك الحديدي ودوائر قصره، ووجد أن فائدته تفوق ضرره... ولا ندري إن كان لهٰذا الإدراك هو سبب ما بعده من الثقة على الرَّغْمِ من تخلف **السَّادات** عن النهوض بالتكليف المنوط به ليلة الانقلاب من جهة، وعلىٰ الرَّغْمِ من أنَّ لهٰذه الحادثة كانت أهم أسباب أوَّل تمردٍ عسكريٍّ علىٰ الثورة من داخل صفوفها عندما هب سلاح المدفعية في كانون الثاني/يناير ١٩٥٣م محتجًّا علىٰ وجوده عضواً في مجلس الثورة، خاصَّةً وأنَّهُ شاع حينها حديث متواتر عن علاقة غير شرعية بَيْنَه وبَيْنَ **ناهد رشاد**... تم قمع التَّمرُّد وأبقىٰ **عبد الناصر السادات** عضواً في مجلس الثورة.

المنصب الأول الذي كلف به هو رئيس تحرير جريدة الجمهورية النَّاطقة الرسمية بلسان الثورة.

المنصب الثاني كان سكرتير المؤتمر الإسلامي وهو ذو طبيعة خارجيَّة.

المنصب الثالث عام ١٩٥٧م حَتَّى ١٩٥٩م عندما عُيِّنَ أميناً عامًّا للاتحاد القومي، التنظيم السياسي الجديد للثورة (بعد حلِّ هيئة التحرير).

كان المفوض والموقع علىٰ اتفاقية الوحدة مع سورية ١٩٥٨م.

---

(٦٤) . لدى إعداد الكتاب للطباعة في لهٰذا العام ٢٠١٤م، وجدت عرضاً موسعاً نسبياً لمحطات حياة السادات كتبه الدكتور كمال خلف الطويل تحت عنوان: أنور السادات. اقتطعنا منه مفردات لهٰذه الفقرة لتكون توضيحاً لما سبق وتأكيداً.

في عام ١٩٦٠م تمَّ تشكيل مجلس الأمة وقام **عبد الناصر** بتسمية **السادات** رئيساً له.

١٩٦١م وَقَعَ الانفصال وتمَّ حلُّ المجلس فكلفه **عبد الناصر** بأمانة سر لجنة إعادة تنظيم العمل السياسي، ثمَّ المؤتمر الوطني للقوىٰ الشعبية حَتَّىٰ صيف ١٩٦٢م.

في تلك الأثناء كان **السادات** ملكفاً بمهمة خاصَّةً من **عبد الناصر** وهي التواصل مع أمراء ومشايخ الخليج العربي.

يقال وهو أمرٌ خطيرٌ إنَّهُ في عام ١٩٦٢م شقَّ طريقه إلىٰ **كمال أدهم** مدير المخابرات السعودية لفترة طويلة طلباً لمعاش ثابتٍ مجزٍ مقابل صفة العميل النَّائم. وقيل إنَّ العلاقة بينهما بدأت عام ١٩٥٥م عندما التقيا في شقة **فريد الأطرش**. وأنا شخصيًّا أتحفظ علىٰ فكرة عميل براتب بهٰذه الطريقة السطحية.

وقع خبر تطوع **السادات** بالعمالة كشدو البلابل علىٰ مسامع **كمال أدهم** ... الذي وعده بالكتمان ... وبالمال ... وعبر قنوات يصعب الاشتباه بها.

في أيلول/ سبتمبر ١٩٦٢م ومع تشكيل مجلس الرئاسة، عين عضواً فيه.

في آذار/مارس ١٩٦٤م ومع استقالة **عبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين** من منصبي نائبي رئيس الجمهورية، قام **عبد الناصر** بتعيين **السادات** أحد نائبي رئيس الجمهورية.

ترك منصب نائب رئيس الجمهورية بعد فترةٍ قصيرةٍ من العام ذاته بسبب تسميته رئيساً لمجلس الأمة الجديد حَتَّىٰ نهاية ١٩٦٨م.

في صيف ٦٨ كان ملفتاً للنظر أنَّ **عبد الناصر** لم يصطحب معه من مساعديه الرئيسيين (**السادات والشافعي وعلي صبري**) إلا **أنور السادات** في رحلته الأولى إلىٰ موسكو بعد الهزيمة. مع أن مختص العلاقات السوفيتية المصرية كان **علي صبري** بلا منازع.

تولى **السادات** منصب أمين الشؤون السياسية بالاتحاد الاشتراكي بينما تولى **علي صبري** أمانة التنظيم، وأمضى سحابة ١٩٦٩م في هٰذا الإطار إلىٰ أن أصيب **عبد الناصر** بنوبة الاحتشاء القلبي الأولى في ١٩٦٩/١١/٩م فقام **عبد الناصر** بتشكيل لجنة سداسية لإدارة أمور البلاد برئاسة **أنور السادات** وعضويَّة **محمد حسنين هيكل وأمين هويدي وشعراوي جمعة ومحمود رياض وسامي شرف** (**محمد فوزي** أحيانا)، وقد خلت اللجنة من **علي صبري**، وخلت من **حسين الشافعي** نائب رئيس الجمهورية.

في خريف ١٩٦٩م أوفده **عبد الناصر** ممثلاً له في مؤتمر القمة الإسلامي في الرباط في تلك الفترة.

في شتاء ١٩٦٩م أوفده **عبد الناصر** ممثلاً إلى موسكو للتباحث مع القادة السوفييت على رأس وفد يضم **محمود رياض** وزير الخارجية و**محمد فوزي** وزير الحربية.

علىٰ رغم أنَّهُ أخفق في المهمة التي أوفد لها فقد أقدم **عبد الناصر** بعد فترة قصيرةٍ علىٰ اتخاذ قراره التاريخي في ١٩٦٩/١٢/٢٠م بعزل **حسين الشافعي** وتعيين **السادات** بديلاً ونائباً وحيداً لرئيس الجمهورية. ولا ندري ما صلة ذٰلكَ

بزيارة الملك **فيصل** للقاهرة في محاولة لإصلاح ذات البَيْنَ بَيْنَ **عبد الناصر** والأسرة المالكة السعودية.

بعد سنة تقريباً من تعيينه نائباً وحيداً لرئيس الجمهورية توفي رئيس الجمهورية واستلم السلطة، وعلىٰ الفور فتح قنوات التواصل السرية مع الولايات المتحدة عبر مدير المخابرات السعودية **كمال أدهم**... وكانت صولات وجولات وتوافقات، وفي أثنائها تصفيات لمن قد يقف في طريقه. وتم التخطيط لحرب تشرين/ رمضان ١٩٧٣م، علىٰ أساس ما بينا في تحليلنا وقراءتنا،

كان كل ما يبتغيه **السادات** كما يقول الدكتور **كمال الطويل**، وأقول المخطط من وجهة نظري، «هو عبور القنال واحتلال شريط ضيق من الأرض شرق القنال بعمق ١٠ أميال والتوقف عندها ليبدأ التفاوض مع الإسرائيليين برعاية الأمريكان تمهيدا للصفقة الكبرى التي ينوي إبرامها مع الولايات المتحدة وإسرائيل».

احتاج **السادات** خلال تخطيطه لحربه إلى حليف يخوضها معه، ولم يكن هناك سوى سوريا، ومن هنا فقد انفق الشهور الأولى من ١٩٧٣م في إقناع **حافظ الأسد** بمزايا المخاطرة المشتركة، وباعه وهم أن دوره في المعركة هو الوصول لمضائق سيناء، بينما هو في الحقيقة مكتف بشريط ال ١٠ أميال بكلِّ ما يعنيه ذَلكَ من أن عبء الحرب بعد إنجازه لذَلك الهدف سيقع على سوريا. كان **الأسد** مضطرًّا إلى ذَلكَ الخيار حيث شرعية النظام السوري برمتها تتوقف علىٰ ما هو فاعل تجاه احتلال حيِّزٍ من أرض الوطن تم خلال فترة توليه وزارة الدفاع.

كان يوم ٧ تشرن الثاني/نوفمبر ١٩٧٣م يوماً حاسماً في التَّاريخ العربي المعاصر... جلس اثنان بمفردهما في قصر القاهرة: **أنور السادات وهنري كيسنجر**، وأبرما صفقة العصر: انخراط مصر الكامل والشامل في فلك السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ـ العالم العربي ـ وأفريقيا.

خاتمة

ليس بدعاً من القول أن نذكر هنا أننا وقفاً عند ملمح من تاريخ **السادات** وليس عند تاريخ **السادات**. صحيحٌ أنَّ الفقرة الأخيرة كانت لمحطات من حياة **السادات** إلا أنَّها محطات مناصبه لا أكثر.

ثَمَّة الكثير بالتأكيد مما يصب في إطار البحث يستحقُّ الذِّكر والمناقشة. بدءاً من بداية سيرته إلى نهايتها. ومنها المحطة الأبرز والأكثر خطورة وهي اتفاقية كامب ديفيد وتفاصيلها الخطيرة، ونتائجها وما ترتب عليها.

لا نريد أن نطيل، ثَمَّة الكثير مما كتب في ذَلكَ بكلِّ تأكيد، ومن وجهات نظر مختلفة ومتعددة. ويمكن لمن أراد الاستزادة أن يجد الكثير مما يريد.

السُّؤال الذي سيبقى معلقاً: هل اختياره **لحسني مبارك** نائباً له امتداد سلسلة منتظمة أم أنَّ بنية النظام المصري قد استحكمت وصار اختيار **حسني مبارك** مثل اختيار أيِّ واحدٍ آخر، سيؤدِّي إلىٰ النتيجة ذاتها.

الفصل الثالث

محمد حسني مبارك

تعريب الخضوع لإسرائيل

ظلَّ العاكفون علىٰ الدفاع عن الرئيس **حسني مبارك** يرددون منذ تسلمه السلطة أنَّهُ لم يزر إسرائيل. وما زال كثيرون يردِّون هٰذه المأثرة العظيمة للرئيس العظيم **حسني مبارك**. وكأنَّهم يريدون أن يقولوا إنَّهُ قوميٌّ بالجملة والمفرق، وأنَّهُ حريص على العرب والعروبة ورُبَّما يكون نبي الله الموعود(٦٥).

خدعنا بعد اغتيال **السَّادات** واستلام **مبارك** السُّلطة بهٰذه التَّرويجات التَّهريجيَّة وأملنا كثيراً حينها في انقلاب **المبارك** علىٰ كامب ديفيد الانقلاب المبين، وزاد تفاؤلنا كثيراً عندما سمعنا أنَّهُ طَلَبَ من الدُّول العربيَّة التي تطالبه بفكِّ روابط مصر بكامب ديفيد أن تدفع له الدول العربيَّة الخميسن مليون دولار السَّنويَّة التي تدفعها الولايات المتحدة هِبَاتٍ سنويَّةً لمصر مقابل المحافظة علىٰ التزاماتها بمعاهدة (السلام) مع الكيان الصهيوني

(٦٥) . هٰذا الفصل ليس بحثاً على غرار الفصلين السابقين، وإنما هو مقالات وتعليقات كتبها في حين أحداثها ونشرت في الصحافة ومواقع الإنترنت، وأعيد بناؤها في هٰذا الفصل. بعض أجزاء هٰذا الفصل نشرت في بعض كتبي السابقة.

الذي بدا جليًّا لاحقاً أنَّ الدول العربيَّة معظمها كانت أكثر من مصر تمسُّكاً بكامب ديفيد ولذلك رفضت أن تدفع له هٰذا المبلغ السَّخيف الذي ينفقه أميران فقط في سهرةٍ حمراء أو صفراء فَقَطْ.

لن نطيل الحديث هنا فيما يعرفه الكثيرون لأنَّ هٰذا موضوع بحث آخر طويل، ولأنَّ الذي يعنيني هنا آخر أخبار تعريب الخضوع للكيان الصهيوني التي كان بطلها الرئيس **حسني مبارك**.

ينعقد في الأردن في هٰذه الأيام[٦٦] مؤتمر المنتدى الاقتصادي العالمي، وليس من غريب المصادفات أن ينعقد للمرة الثالثة في الأردن، بمشاركة رجال أعمال صهاينة كما هي العادة. وقد علَّق الأردنيون ذاتهم والمختصون عامَّة أنَّ الغرض من هٰذا المؤتمر المتكرر هو إدخال رجال الأعمال الصهاينة في البنية الاقتصادية العربية والتطبيع بَيْنَ العرب والصهاينة.

سوريا التي ما زالت تتحفظ علىٰ هٰذا التطبيع ومثل هٰذه العلاقات وجدت من يهمس في أذنها ناصحاً بضرورة التعامل مع الصهاينة. وأن تأتي هٰذه النصيحة من أمريكا أَو أوربا أَو الصين أَو اليابان أَو حَتَّىٰ بلاد الواق الواق هو أمرٌ مقبولٌ. ولٰكن أن يكون السيد الرئيس **حسني مبارك** هو الذي نصح الرئيس **بشار الأسد** ومارس ضغوطه عليه إقناعه بالسماح لرجال الأعمال السوريين بالتواصل مع الصهاينة فهٰذا ما لا يهضم بسهولةٍ.

---

(٦٦). هٰذه الأيام هي الثلث الأخير من أيار ٢٠٠٥م.

تداولت وسائل الإعلام اليوم الخميس ٢٠٠٥/٥/١٩م أنَّ الرئيس **حسني مبارك** قد مارس ضغوطاً على الرئيس السوري **بشار الأسد** من أجل رفع القيود عن رجال الأعمال السوريين المشاركين في مؤتمر دافوس والسَّماح لهم بالتَّواصل مع رجال الأعمال الصَّهاينة وعقد لقاءات مع المسؤولين الصَّهاينة المشاركين في المؤتمر.

ذريعته في هٰذه النصيحة والضغوط هي أنَّ مصلحة سوريا تكمن في أن توشج علاقاتها مع الكيان الصهيوني، وهٰذا ما لم نكن نعرفه في سوريا، لم نكن نعرف أنَّ مصلحتنا هي أن نوثق علاقاتنا مع إسرائيل...

ولذلك نجدنا مضطرين إلى شكر السيد الرئيس **حسني مبارك** علىٰ هٰذه النصيحة وهٰذه الضُّغوط، شكراً له لأنَّهُ جعلنا نعرف أنَّ بوابة مصالحنا هي الكيان الصهيوني وقد كنا نجهل ذٰلكَ سابقاً، ورُبَّما لولا نصيحة الرئيس **مبارك** المباركة لاحتجنا إلىٰ زمن طويل كي نعرف مصلحتنا.

حسناً. هٰذه نقطة انطلاق لا أكثر لتاريخ طويل ممتلئ حَتَّىٰ الحواف. أكثر ما سيثير الامتعاض هو تنطع بعض المصريين للقول؛ هٰذا رئيسنا ونحن أحرار. لا تتدخلوا في شؤوننا. عندما يتكلم مصريٌّ بأيِّ شأن يصفقون له ولفهمه بغضِّ النَّظر عن مستوى فهمه. لماذا؟ هٰذا في حقيقة الأمر هروب يلجأ إليه الضعفاء والمتنفذين والمنافقين، إنَّهُ اختباءٌ وراء الإصبع لا أكثر. أمَّا عقدة النقص والزعامة فتلك مسألة أُخرىٰ لا تختلف في المبدأ عن هٰذا الهروب من مواجهة الحقيقة.

حسني مبارك الذي ظلَّ أبواقه يبيضون علينا ربع قرن من الزمان من فترة حكمة بأنَّهُ شريفٌ لأنَّهُ لم يزر إسرائيل قدم لإسرائيل أكثر بكثير جدًّا من كل

الذين زاروها. إسرائيل أيها السادة هي محور بلاء الأمة ومعيار الخيانة والأمانة، ومعيار الانتماء للأمة ومعيار خيانتها، شاء من شاء وأبىٰ من أبىٰ.

صحيحٌ أنَّها ليست المحور الوحيد لهذه المعايير ولٰكنَّهَا محور المحاور، لأنَّ كل ما عداها من محاور مبني عليها ومرتبط بها؛ الديكتاورية، بناء الوطن، الفساد... كل ذٰلكَ مرتبط بإسرائيل بصيغة أو بأخرىٰ. فقط الديكتاتور الذي يحب وطنه بصدق سيكون الاستثناء لأنَّهُ سيبني وطنه ولن يكون خادماً لأعداء الوطن... وهٰذا الديكتاتور إن وجد فإن الغرب لن يسمح ببقائه أبداً.

حسني مبارك كما وضعنا في العنوان هو الذي حمل لواء تعريب التطبيع مع إسرائيل، هو الذي حمل لواء تعريب الخضوع لإسرائيل. وما المشكلة في ذٰلكَ؟ هكذا يسأل الكثيرون في هٰذه الأيام. يرون أنَّهُ لا مشكلة فإسرائيل دولة قائمة علىٰ الأرض، والاعتراف بها أو عدم الاعتراف بها لا يقدم ولا يؤخر. بل إن عدم الاعتراف بها سيؤدي إلى خسائر كثيرة، بينما الاعتراف بها سيؤدي إلىٰ مكاسب كثيرة!!!

تلك هي فلسفة بعض الناس، هؤلاء ينقسمون إلى قمسين: خونة بإدراك أو أغبياء بلا إدارك. **حسني مبارك**[٦٧] اعتنق هٰذه الفلسفة وبها راح يسوِّغ قيامه بوظيفة حصان طروادة لتطويع العرب والقيام بدور الوسيط لاعترافهم بإسرائيل وتطبيع العلاقات معها. الأمر بطبيعة الحال لن يتوقف هنا، عند هٰذه الصورة

(٦٧) . في العالم العربي، والإسلامي إلى حدٍّ كبير، عندما نقول النظام المصري (مثلاً) فإننا نقصد رئيس النظام، وعندما نقول حسني مبارك (مثلاً) فإننا نقصد النظام المصري والدولة المصرية، لأنه في العالم العربي فقط الرئيس هو النظام وهو الدولة... وكل ما عداه فهو تابع لا قيمة له ولا فعل ولا أثر.

السطحية الظاهرة، سينجم عنه الكثير من الممارسات الخطيرة بحقِّ الأمَّة وشرفاء الأمَّة، كما سنبين لاحقاً.

لنبدأ من هٰذا البريد الإلكتروني الذي وصلني اليوم(٦٨) أذكره كما ورد تماماً، باستثناء التَّصويبات اللغويَّة والمطبعيَّة.

«أفادت صحيفة هآرتس الإسرائيليَّة في عدد ٢٠٠٤/١٢/٨م، أنَّ الرئيس **مبارك** يحاول خلال زيارته الحالية للكويت إقناع الكويت بإقامة علاقات دبلوماسيَّة مع إسرائيل، وأن تقنع دولاً أخرى من مجلس التعاون الخليجي بذلك، من أجل دفع ما يسمِّيه عجلة السلام». وتقول هآرتس: «إنَّ الكويت أبدت ترحيبا بذٰلك». كما أفادت الصحيفة «أنَّ **مبارك** يحاول كذٰلك إقناع الكويت التي لها استثمارات كبيرة في سوريا بالعمل على إقناع سوريا باتخاذ خطواتٍ جادَّةٍ باتجاه السلام لن إسرائيل ترىٰ أنَّ سوريا غير جادة».

يتابع مرسل البريد متسائلاً: «هل هٰذا هو ثمن تصدير شوية كيلوتات وسوتيانات لأمريكا تحت اتفاقيَّة الكويز؟ وهل تستحق هٰذا الثمن؟ ما هو دورنا الإقليمي يا جماعة؟ قولوا لي كيف وصلوا إلى هٰذا الحد... أن ندفع الكويت لإقامة علاقات دبلوماسية مع **شارون** ونتعلل بأن ذٰلكَ من أجل السلام والفلسطينين. وألا يبدو ذٰلكَ علىٰ علاقة مباشرة بمخطَّط واضحٍ ومحكم لإنهاء القضية الفلسطينية تلعب فيه كلُّ الأنظمة العربية دوراً حقيراً وتلعب فيه قيادة فتح دوراً أحقر... لقد رتبوا كلَّ شيءٍ وهم يتفاوضون علىٰ أسلوب التنفيذ. لو سكتنا سنذهب في داهية. المسألة واضحة والأحدث تتسارع. الفيلم جاهز

(٦٨) . هٰذا اليوم هو الخميس ٢٠٠٤/١٢/٩م، وسترد مثل هٰذه العبارة كثيراً في هٰذا الفصل، وهي تدل على توقيت كتابة الفصل أو التعليق، أتركها كما هي للتذكير بأوقاتها كتابتها.

وسينجزونه في خلال أسابيع وليس سنوات. إن لم نوقف هٰذا الخراء سنباع في سوق النخاسة. وأحبُّ أن ألفت النظر إلىٰ أنَّ وسائل إعلامنا بدأت بالفعل تتحدث عن مبادرة مصرية للسلام!».

انتهى البريد الذي يعبر باختصار عن حقيقة **حسني مبارك**. يعبر باختصار لا بالتَّفاصيل، يعبر عن مأساة واحدة من المآسي التي فرضها **مبارك** علىٰ الشَّعب العربي. فمن أجل هٰذا الهدف لا بُدَّ من المرور بتفاصيل وممارسات كثيرة. تعالوا نقوم بمراجعة مختصرة وسريعة لأنَّ التَّفاصيل تحتاج إلى كتب.

مبارك يكمل جدار الفصل العنصري[٦٩]

جدار الفصل العنصري الذي ضجَّ العالم بسببه، حَتَّىٰ أعداء العرب وأعداء العروبة، وأنصار الكيان الصهيوني، بل حَتَّىٰ بعضٌ من الصهاينة أنفسهم لم يستطيعوا هضم فكرة جدار الفصل العنصري الذي عزم الكيان الصهيوني علىٰ إشادته حول الفلسطينيين، لذٰلك كثرت المظاهرات والاحتجاجات، بل حَتَّىٰ الجمعية العامة للأمم المتحدة لم تستطع الصمود أمام ضرورة الاحتجاج علىٰ هٰذا الجدار ومطالبة الكيان الصهيوني بالتَّوقُّف عن إشادته.

لم يأبه الكيان الصهيوني لذٰلك. وأن لا يأبه الكيان الصهيوني لذٰلك أمر ليس جديداً. هٰذا دأبه منذ اغتصب فلسطين، ودأب العالم الغربي في ذٰلكَ الموافقة والتصديق.

في يوم الخميس الواقع في السادس من آذار ٢٠٠٨م الموافق لـ الثامن والعشرين من صفر ١٤٢٩هـ، جاء في خبر لم يسمَّ خبراً عاجلاً، رُبَّما لأَنَّهُ كان

(٦٩) . هٰذه الفقرة أحد فصول كتابي: **العرب جثة تنهشها الكلاب** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

متوقعاً أو مدروساً، ولم يعرض بما يكفي في نشرات الأخبار، رُبَّما لأنَّه لم يُصدَّق، وإنَّمَا مرَّ علىٰ الشريط الإخباري للجزيرة وبعض الأقنية الفضائيَّة الأُخْرَىٰ هٰذا الخبر الذي يقول: «تنوي مصر إقامة جدار عازل علىٰ طول حدود قطاع غزة بارتفاع ثلاثة أمتار»، وفي التَّعليق الإخباري جاء أنَّ السبب هو أن تتحاشى الحكومة المصرية ما حدث علىٰ معبر رفح منذ فترة، عندما اقتحم الفلسطينيون المعبر ودخلوا إلىٰ مصر.

المصيبة الأولىٰ، وهي كبرىٰ، وكبرىٰ جدًّا، أن لا أحد في العالم لا يعرف لماذا اقتحم الفلسطينيون معبر رفح الذي يفصل قطاع غزة عن مصر. فغزَّة التي فيها نحو مليوني عربي فلسطيني محاصرة من جميع الجهات، وممنوع عنها الغذاء والماء والكهرباء والهواء، ومفروض عليها الجوع والشقاء، وبعد مناشدات لضمائر الشعوب والحكومات والحكام في العالم كله لم يفك الحصار، وزاد البؤس والشقاء، بل حَتَّىٰ المساعدات التي قدمتها الشعوب منع الصهاينة إدخالها إلىٰ غزة، وكذٰلكَ فعلت مصر الشقيقة.

لم يجد الفلسطينيون حلاً أبداً سوى اقتحام الحدود. هل يقتحمون الحدود باتجاه جيش الاحتلال أم يتَّجهون باتِّجاه من هم أشقاء؟!

اقتحم الفلسطينيون الحدود باتجاه مصر، لا ليسرقوا، ولا لينهبوا، ولا ليقتلوا، ولا ليخربوا... ولا لأيِّ فعلٍ سيء، اقتحموها فقط ليشتروا طعاماً وأدوية لأطفالهم، ليشتروا لا ليتسولوا، ولا ليسرقوا. وقد وقف الشَّعب المصريُّ معهم بنبل من غير شكٍّ، وأسقط في يد النظام المصري فلم يغلق المعبر علىٰ الفور، ولٰكنَّهُ أعطىٰ إنذاراً غيرَ مباشرٍ بالمغادرة، وأغلق المعبر بعد أيام.

المصيبة هنا هي أنَّ النظام المصري يطبق الحصار علىٰ الشَّعب الفلسطيني ويمنع عنهم الغذاء والدواء وهم أشقاء، مساعداً في ذَلكَ الحصار الصهيوني الذي يريد أن يميت الشَّعب الفلسطيني جوعاً أو ينقلب علىٰ نفسه ويرفض المقاومة ويتخلص من العزة، ويهرب من حقه...

هٰذا السُّلوك من النِّظام المصري عجيبٌ غريبٌ مهما كانت المسوغات والذرائع، فالفلسطينيون لم يريدوا أكثر من أن يشتروا بأموالهم طعاماً ودواءً، وهم بأمسِّ الحاجة إلى ذَلكَ بسبب الحصار الخانق الذي يفرضه الكيان الصهيوني، وبسبب الحال المأساوية التي وصل إليها حال الفلسطينيين في غزة، هٰذه الحال التي فرضت علىٰ كلِّ ذي ضمير في العالم أن يحتج على الكيان الصهيوني علىٰ هٰذا السلوك الوحشي الحاقد، ولٰكن ماذا نقول والسلوك نفسه ينطوي علىٰ رفض النظام المصري أن يفيد شعبه ذاته، يرفض دخلاً حلالاً صرفاً للشعب المصري؟

هٰذا يذكِّرنا بمأساة عودة الحجاج عن طريق مصر عندما رفض النظام المصريُّ إعادتهم إلا عن طريق قوات الاحتلال لتعقل منهم من تريد أن تعتقل، وظلَّ الحجاج، حجاج بيت الله الحرام، عالقين علىٰ الحدود حَتَّىٰ يقبلوا أن يعودوا إلى أرضهم عن طريق قوَّات الاحتلال حَتَّىٰ حلت الأزمة بالحرج من تحرك الشَّارع العربي.

ولٰكنَّ خطوة اليوم خطوة أكثر جرأةً من كلِّ ما سبق، وأكثر خطورةً، وأكثر مصيبةً. فأن ينهض النظام المصري لإكمال جدار الفصل العنصري حول الفلسطينيين من الجانب لمصري الذي يفترض فيه أن يكون المنفذ والمتنفس الوحيد للفلسطينيين، فهٰذا ما لا يمكن أن يصدق. جدار الفصل العنصري الذي

احتجَّ عليه العالم حَتَّىٰ بعض الصهاينة أنفسهم، يأتي النظام المصري ليكمل أسواره ولتتحول غزة فعلاً إلى أكبر سجن في العالم.

ولٰكن للحقِّ والتاريخ فإنَّ النظام المصري قد قَلَّل من ارتفاع هٰذا الجدار من الجانب المصري، ففي حين أنَّ الصهاينة جعلوا ارتفاع الجدار خمسة أمتار فإنَّ مصر ستجعله بارتفاع ثلاثة أمتار فقط، يعني أَنَّهُ سيترك للفلسطينيين فرصة للإطلال على الشَّمس أو رؤيتها. ولٰكن ما لا ندريه هو أنَّ النظام المصري قرَّر أن يقلل ارتفاع الجدار رأفة بالفلسطينيين أم من باب التوفير في التكلفة؟! يعني بخلاً مثلاً!!

لا شكَّ في أنَّ ثَمَّةَ ضغوط صهيونية وأمريكية وربَّما أوروبيَّة علىٰ مصر من أجل إحكام الحصار على الفلسطينيين. ولكنَّنا لا ندري إن كان هٰذا الجدار بأمر من الصهيونية أم بأمر من الولايات المتحدة الأمريكية. أشدُّ ما أخشاه أن يكون اختراعاً مصريًّا. ومهما يكن من أمر فإنَّ الصهاينة والولايات المتحدة لا يمكن أن يمولوا هٰذا الجدار لأنهم حَتَّى الآن لم يحاربوا إلا بأموالنا، حَتَّىٰ حروبهم ضدَّنا هي بأموالنا. ولذٰلك من الصَّعب الشكُّ في سرقة أموال الجدار وتقليل ارتفاعه.

مصر تحاصر غزة أكثر من إسرائيل(٧٠)

مصر أشد من إسرائيل حصاراً لقطاع غزة، تعبيرٌ ليس فيه من المبالغة شيءٌ علىٰ الإطلاق. بل إنَّهُ ربَّما أقلُّ تعبيراً عن حقيقة الأمر، فإنَّ النظام المصري؛ نظام **حسني باراك** منذ استلام حركة حماس السلطة وهو يحاصر الفلسطينيين، وعندما أقصيت عن السلطة وسيطرة علىٰ غزَّة كان الحصار المصري

(٧٠) . هٰذه الفقرة أحد فصول كتابي: **بشرية عمياء عرجاء** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

هو الأشد والأعنف من إسرائيل بعشرات المرات. هٰذه حقيقة تقرها إسرائيل ذاتها، ووجدنا عليها من النماذج الكثير جدًّا جدًّا... كيف لا وقد اضطر أهل غزة إلى حفر الأنفاق التي تصل إلى الكثير من الأميال من أجل تهريب موادهم الغذائية من مصر... مصر الشقيقة.

من المتعذر حقيقة الوقوف علىٰ كل حالات الحصار وأنواعها. لقد شاهدنا كيف كان سلوك النظام المصري مع غزة وكيف كان مع إسرائيل. وكيف أنَّهُ أعطى الضوء الأخضر لإسرائيل باجتياح غزة وارتكاب مجزرتها الشنيعة في القطاع. هٰذا ما ظهر، وما خفي بالتأكيد أعظم وأخطر.

سنقف عن بعض النماذج القليلة من الحصار وهي فقط منع الوفود التي تريد تقديم المساعدة لأهل القطاع من الدخول إلى القطاع. نبدأ بتقرير المركز الفلسطيني للإعلام ببروكسل بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٢٨م، الذي حمل عنوان مصر تمنع وفداً برلمانياً دولياً كبيراً من دخول غزة. جاء في التقرير:

«أدانت (الحملة الأوروبية لرفع الحصار عن غزة) بشدة قرار السلطات المصرية رفض السماح للوفد البرلماني الدولي، الذي يضم العشرات من النواب العرب والأجانب، من دخول قطاع غزة عبر معبر رفح الحدودي الفاصل بَيْنَ مصر وقطاع غزة في بدايات الشهر المقبل (تشرين ثاني/ نوفمبر)، معتبرة ذٰلكَ مشاركة في الحصار. واستهجن رئيس الوفد البرلماني الدولي اللورد **نظير أحمد** بشدَّةٍ رفض السلطات المصرية فتح معبر رفح أمام الوفد ليقوم بزيارة غزة، وقال في تصريح صحفي له: (نستغرب وندين بشدة قرار مصر برفض دخولنا إلى قطاع غزة، علىٰ رغم أن الهدف من هٰذه الزيارة هو إنساني)».

وأضاف اللورد **أحمد:** «نعتقد أنَّ من حق النواب الدوليين أن يطلعوا علىٰ الأوضاع المأساوية في قطاع غزة، وكنا ننتظر من مصر التي تدعي مساعدتها الشعب الفلسطيني في قطاع غزة رفض حصاره؛ بفتح معبر رفح أمام الوفد للاطلاع علىٰ الأوضاع المأساوية هناك».

بدوره؛ قال الدكتور **عرفات ماضي**، رئيس الحملة الأوروبية لرفع الحصار عن غزة، التي تنظّم الزيارة، في تصريح له من بروكسيل، ردًّا على القرار المصري: «إنَّنا نبدي استغرابنا واستهجاننا من قرار السلطات المصرية رفض السماح للوفد البرلماني الدولي المؤلَّف من ثلاثة وخمسين نائباً من مختلف أنحاء العالم، للاطلاع علىٰ الأوضاع الإنسانية المأساوية لمليون ونصف المليون إنسان فلسطيني محاصرين للسنة الثالثة علىٰ التوالي».

واعتبر الدكتور **ماضي** إلىٰ أنَّ القرار المصري هو بمنزلة «مشاركة فعلية في الحصار الخانق المفروض علىٰ قطاع غزة، والمشدد منذ ستة عشر شهراً، والذي أودىٰ بحياة أكثر من مائتين وخمسة وخمسين مريضاً فلسطينياً حَتَّىٰ الآن». وأضاف: «إذا كانت السلطات الإسرائيلية ستسمح في نهاية هٰذا الشَّهر لوفد من البرلماني الأوروبي بزيارة قطاع غزة المحاصر وفي المقابل تمنع مصر وفداً برلمانياً دولياً ضخماً؛ فإنَّ ذَلكَ يعني أنَّ مصر تشدِّد الخناق علىٰ الفلسطينيين أكثر مما تشدده السلطات الإسرائيلية».

لسنا وليس الوفد مضطرين لتأكيد أنَّ مهمة الوفد إنسانية خالصة بعيد كل البعد عن الأغراض السياسية والعسكرية. ومع ذَلكَ أكَّد رئيس الحملة في تصريحه أنَّ مهمة الوفد كانت إنسانيَّة بعيدةً كلَّ البعد عن أيِّ هدفٍ سياسيٍّ، وقال: «إنَّ الزيارة البرلمانية كان هدفها الوقوف على معاناة شعبٍ محاصرٍ في

أوضاع مأساوية، خاصَّةً في ظلِّ ارتفاع حالات وفاة المرضى جراء نفاد الأدوية ومنعهم من السَّفر لتلقي العلاج، إذ كان من المقرَّر أن يقوم الوفد بزيارة القطاعات الصحيَّة والتعليميَّة للاطلاع علىٰ آثار الحصار علىٰ مختلف نواحي الحياة هناك».

بقي أن نختم هنا أنَّ هٰذا الوفد البرلماني الدولي مكوَّن من ثلاثة وخمسين نائباً هم من بريطانيا وأيرلندا والسويد واليونان وإيطاليا وسويسرا واسكتلندا والبرلمان الأوروبي وغيرها وكذلكَ من دول شمال أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ومن الدول العربية كالسعودية والجزائر والكويت واليمن والأردن والسودان ومصر.

في ٢٠٠٩/٣/٩م، منعت السلطات المصرية ٨٥ بريطانياً وصلوا أول أمس جوا من بريطانيا، من الدخول إلىٰ ساحة معبر رفح، بينما سمحت.

في ١١/٥/ ٢٠٠٩م، استنكرت اللجنة الحكومية لكسر الحصار واستقبال الوفود الفلسطينية منع السلطات المصرية وفدًا طبيًّا بريطانيًّا من دخول قطاع غزة منذ خمسة أيام. علماً أنَّ هٰذا الوفد الطبي البريطانى موجود حاليًّا فى مدينة العريش على أمل السماح له بدخول قطاع غزة. وذكر البيان، أنَّ الوفد الطبي يضم اثني عشر طبيباً بريطاني الجنسيَّة ومن أصول متعددة، ويعدُّ الوفد الطبي الثاني من نوعه الذي تقوم المؤسسة العالمية للعون الطبي (بيما فلسطين) بإرساله إلىٰ قطاع غزة. وأشار إلىٰ أن الوفد الطبي الذي يضمُّ أطباء استشاريين في مجالات متعددة، يحمل معه عددًا من المعدات الطِّبيَّة الضَّروريَّة إلىٰ المشافي في قطاع غزة، إضافة إلىٰ كمية من الأدوية التى لمس وفدها الأول وجود حاجة ماسَّة إليها فى القطاع. وبيَّن أن الوفد الذي غادر بريطانيا يوم السبت الماضي ما زال حَتَّىٰ اللحظة يقف علىٰ بوابة معبر رفح من دون السَّماح له بالدخول، علىٰ رغم

التزامه بالإجراءات اللازمة كلها مع الجهات المختصة. ودعا البيان السلطات المصرية إلىٰ السماح للوفد بدخول قطاع غزة ليقدم خدماته الصحية والإنسانية إلىٰ المرضىٰ والمواطنين المحاصَرين منذ ثلاث سنوات.

في ٢٠٠٩/٥/٢٥م، قالت مصادر في اللجنة الحكومية لكسر الحصار في قطاع غزة اليوم الاثنين إن المشاركين في (قافلة الأمل) الأوروبية التضامنيَّة التي منعت السُّلطات المصرية دخولها قطاع غزة عبر معبر رفح البري قرروا الاعتصامَ والانتظارَ على المعبر حَتَّىٰ يسمح لهم بالمرور.

قبل هٰذه النماذج وبعد هٰذه النماذج الكثير جدًّا جدًّا من الإجراءات الحصاريَّة... هٰذهِ النماذج التي تعامل بها النظام المصري مع الأجانب الذين أرادوا مساعدة أهل غزة، فكيف تعامل مع الفلسطينيين أنفسهم أو المصرين الذين أرادوا فك الحصار؟؟؟ والذي ستتفتق به قريحته في قادم الأيام لخدمة أسياده الصهاينة؟

انتظروا فكل آت قريب.

وانتصر مبارك على شريان الحياة

وأخيراً انتصر النظام المصري علىٰ أرباب قافلة شريان الحياة وأخضعها لشروطه بالعودة والدوارن حول الأرض من مرَّةً ثانيةً من أجل إدخال المساعدات الإنسانيَّة إلىٰ المحاصرين في غزة من ميناء العريش الذي لا يوجد سواه تحت عرش الرحمن للوصول إلى غزة.

لم يعد أحد في الدنيا لا يعرف مسلسل حصار قافلة شريان الحياة ٣ من قبل السلطات المصرية الذي كاد يتجاوز الحصار الصهيوني والمصري علىٰ الشَّعب الفلسطيني في غزة، ولكنَّهُ تجاوزه في المفارقات المضحكة المبكية التي تنم

عن تخبُّطٍ عجيبٍ غريبٍ مريبٍ، ومع ذٰلك لا بُدَّ من استحضار التفاصيل والمفاصل التي مرت بها سيرورة قافلة شريان الحياة ٣ حَتَّىٰ الآن لمعرفة مدىٰ ما سأسميه تخبط السلطة المصرية وأترك لكم تسميته الأكثر دقة.

أدرك قادة قافلة شريان الحياة ٣ بعد التجربة السلطات المصرية ستمنعهم من الدخول إلىٰ غزة، ومصر هي المدخل الوحيد إلى غزة، فاشتروا المعونات كلها من مصر لدعم الاقتصاد المصري وكسر عين النظام المصري ليسمح لهم بالدخول إلى غزة فتم تسهيل الشراء، وعندما اكتمل الشراء وعزمت القافلة علىٰ التوجه غزة أنبأتهم السلطات المصرية بأنها لن تسمح لهم بالدخول.

توجهت القافلة بحراً إلى تركيا ومنها إلىٰ سوريا ومنها إلى الأردن لحشد الرَّأي العام وراحت تطلق صرخات الاستغاثة إلىٰ الرئيس **حسني مبارك** ليسمح لهم بالدخول منذ وصلوا إلى تركيا، وعندما وصلوا إلىٰ العقبة أخبرتهم السلطات المصرية أنَّها لن تسمح لهم بالدخول إلىٰ غزة، وأعلنت مصر أنها لن تقبل الوساطات ولن ترضخ للضغوط.

كان الأمر مضحكاً مبكياً ووجد النِّظام المصري نفسه مضطراً للتراجع شكليًّا فأعلن أنَّهُ لن يسمح بدخول القافلة إلا إذا دخلت عن طريق ميناء العريش.

الطَّلب ذاته مضحك، ويبدو أَنَّهُ تعجيزيٌّ لأنَّ فيه إرهاق كبير للحافلة وتكاليف هائلة، ولٰكنَّ النظام المصري فوجئ بأنَّ قادة القافة أعلنوا موافقتهم ولٰكن على السلطات المصريَّة أن تسمح لهم بعبور سيناء للوصول إلى ميناء العريش.

فوجئ النِّظام المصري بالموافقة ولم يعرف ماذا يفعل أمام هٰذا الحرج حَتَّىٰ خرج بتفتق جديد وهو أنه لن يسمح للقافلة بعبور سيناء، فإذا أرادت الوصول إلى ميناء العريش فعليها أن تعود وتلف الأرض من جديد عائدة إلىٰ الأردن ومن الأردن إلى سوريا ومن سوريا إلى تركيا ومن تركيا بحراً إلىٰ ميناء العريش، ثُمَّ سَمَحَ النظام المصريِّ بتجاوز تركيا والانطلاق من ميناء اللاذقية إلى ميناء العريش.

كان هٰذا الطَّلب علىٰ أمل أن يرفض قادة القافلة، والقافلة تحمل أغذية وأدوية، ولٰكنَّهُم فوجئوا أيضاً بأنَّ القافلة قبلت العرض وستعود وفق الطريق المطلوب، فخرج علينا وعلى القافلة الوزير **أبو الغيض** الناطق باسم النظام المصري ليعلن الخطوة الأولى في عرقلة دخول القافلة بأنَّهُ لن يسمح لأفراد القافلة كلهم بالدخول وإنَّما سيسمح بدخول ممثلين عنهم فقط.

ومع ذٰلك أضاف بأنَّهُ حسب توجيه الرئيس لن يسمح إلا بدخول الصادقين الذين يدعمون الشعب الفلسطيني علىٰ الطريقة المصرية!!!

لم يدرك **أبو الغيط** أنَّهُ لو كانت القافلة تؤمن بالطريقة المصرية في دعم الشَّعب الفلسطيني لأشادت سوراً فولاذيًّا حول غزة من جهة البحر استكمالاً للجدار الفولاذي المصري منجهة البر.

مصر تفتتح معبر رفح[٧١]

ظلَّت مصر تغلق المعابر علىٰ غزة... واليوم فتحت المعبر لتستقبل الجثث والجرحى. منذ صباح اليوم السبت ٢٧ كانون الأول ٢٠٠٨م باشرت القوات الصهيونيَّة مجزرة في غزة كانت تعد لها علناً، وعلىٰ علم العالم كلِّه، منذ أسابيع.

---

(٧١) . هٰذه الفقرة دمج واختصار لفصلين من كتابي: **بشرية عمياء عرجاء** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م. وهما: مصر تفتح معبر رفح، وأسطورة فتح معبر رفح.

منذ أسابيع وهي تعلن أنَّها ستجتاح غزة، أي إنَّها سترتكب مجزرةً كبيرةً ليست صغيرةً، أي إنَّها قصة مجزرةٍ معلنةٍ، ومع ذلكَ لم يتحرَّك أحدٌ في العالم، حتَّىٰ العرب، ولم يتخذ أحدٌ أيَّ إجراء، ولا تهديد ولا وعيد...

وفي يوم السبت ٢٠٠٩/١/١٧م، وهو اليوم الثاني والعشرين من ارتكاب المجزرة الصهيونية، هٰذا اليوم الذي أعلن فيه الكيان الصهيوني أنَّهُ عازم علىٰ إيقاف العمليات العسكرية الصهيونية من جانبٍ واحدٍ، ألقى الرئيس **حسني مبارك** خطاباً مختصراً أراد فيه أن يزعم أنَّ مصر تقف مع الشعب الفلسطيني، وأنَّ وأنَّ... وجاء في هٰذا الخطاب كلامٌ كرَّره أزلامه وعلىٰ رأسهم **أبو الغائط** قوله: «إنَّ مصر فتحت معبر رفح منذ بداية العدوان».

نعلم الكثير من أنواع الفجور والعهر ولكنَّنَا قط لم نعرف مثل هٰذا العهر والفجور. فعلىٰ من يكذب وعلىٰ من يضحك؟!

العالم كله كان علىٰ معبر رفح عند بدء العدوان الصهيوني علىٰ غزة، وكانت المظاهرات كلها تنديداً بمصر لا بإسرائيل لأنَّ مصر لم تفتح المعبر، ولم تسمح بدخول الأدوية ولم تسمح بخروج الجرحى...

عدة أيام مضت من دون أن تستجيب مصر لكلِّ الضُّغوط الشَّعبيَّة العربيَّة والعالميَّة، ولا للرجاءات الفلسطينية، ومع ذلكَ كنت أسمعت لو ناديت حيًّا، ولٰكن لا حياة لمن تنادي.

لم يفتح المعبر، وظَلَّ الضغط المصري والحصار المصري لمعبر رفح أشد من الحصار الذي فرضه الكيان الصهيوني. وعندما فتح المعبر فتح الباب ولم يسمح بدخول المساعدات لا الغذائيَّة ولا الدوائيَّة والعالم كله شهد على ذلكَ ونقله بالصوت الصورة: لقد نقل العالم كلُّه عودة طائرات التي أرسلتها قطر وليبيا

وإيران وغيرها إلى بلادها لعدم سماح المصريين لها بنقل حمولات المساعدة الغذائية والطبية إلى غزة.

لقد شهد العالم كله موت عدد من الجرحىٰ علىٰ معبر رفح لعدم سماح المصريين لهم بالدخول إلىٰ مصر للعلاج. ولقد شهد العالم كله احتجاجات الأطباء المصرين علىٰ الحكومة المصرية التي تمنعهم من الدخول إلىٰ فلسطين من أجل مساعدة الجرحى علىٰ الرَّغْمِ من أَنَّهُم وقعوا تعهدات بأنهم يدخلون إلىٰ غزة علىٰ مسؤوليتهم بعد أن زَعَمَ النظام المصري أَنَّهُ يمنعهم من الدخول خوفاً عليهم.

لقد شهد العالم كله كيف أنَّ المعبر المفتوح كان مفتوحاً شكليًّا لا فعليًّا لأنَّ الشاحنات التي تنقل الأدوية والأغذية كانت تقف عشرات الساعات علىٰ المعبر من دون أن يسمح لها بالدخول وعلىٰ رأسها المساعدات المصريَّة، المساعدات التي أرسلها الشعب المصري الأبي... لقد كانت تفرغ حمولات الشاحنات علبة علبة وتنقل إلى الطرف الفلسطيني علبة علبة بالأيدي في عملية عجيبة تنطوي علىٰ الإذلال الشديد للمتبرعين والناقلين والمنقول إليه.

إذا تركنا المحطات التلفزيونية التي نقلت كل ذَلكَ، وقلنا إنها تركب الصور، كما تفعل قناة العربيَّة ولٰكن لتشويه المقاومة، تعالوا نسمع ما قاله **مبارك** ذاته بلسانه وصوته وصورته وليس أحداً آخر.

عندما كثرت الاحتجاجات علىٰ السلوك المصري المشين خرج علينا الرئيس **مبارك** ووزيره العتيد **أبو الغيط** معاً ليعلنا إنها يطلبان من الدول التي ترسل طائرات المساعدة أن ترسلها إلىٰ مطار تل أبيب.

الله أكبر... الله أكبر... بكل الوقاحة والصفاقة يكون مثل هٰذا الطَّلب.

تخيلوا أنَّ مصر تريد من الدول التي ترسل مساعدات إلى أهل غزة أن ترسلها إلىٰ الكيان الصهيوني الذي يقوم بالمجزرة ضد أهل غزة، ويحتل فلسطين!!

كيف أمكن للنظام المصري أن يطلب مثل هٰذا الطَّلب؟

كيف تجرأ **حسني مبارك** أن يطلب من الدول التي تريد أن تساعد أهل غزَّة أن تذهب إلى الكيان الصهيوني الذي يبيد أهل غزة وهو يعلم أنَّ معظم المساعدات تأتي من دول لا تعترف بالكيان الصهيوني ولا تقيم علاقات معه، ناهيك عن أنَّهُ حَيَّ ولو كانت هٰذه الدول التي ترسل المساعدات تعترف بالكيان الصهيوني فإنَّ إرسال المساعدات إلىٰ أهل غزة عن طريق الكيان الصهيوني الذي يقوم بالمجزرة ضدَّ أهل غزة هو ذاته جريمة لا تقلُّ عن جريمة الكيان الصهيوني!!

الله أكبر... الله أكبر علىٰ من طغىٰ وتجبَّر.

كيف استقام ذٰلك معك يا **حسني مبارك** كيف استقام؟!!

كانت الذريعة عقيمة صفيقة ولذٰلك لاقت الكثير من الاستهجان فعاد إلينا **مبارك** ليوضح السَّبب ويا ليته لم يحاول تقديم العذر لأنَّهُ جاء بعذر أقبح من ذنب، بل أقبح من كلِّ الذنوب التي يمكن أن تخطر في بال بشر، لقد قال **حسني مبارك** بلسانه شخصيًّا وليس لسان أحد غيره: «نحن لا ندخل المساعدات لأنَّ غزة بلد محتل، ومن حقِّ المحتل أن يفتش المساعدات.. (جايز) يكون فيها أسلحة!!».

لا حول ولا قوَّة إلا بالله.

ما الذي يمكن أن نقوله في العذر الذي قدَّمه رئيس أكبر دولةٍ عربيَّة لعدم سماحه بدخول المساعدات الطِّبية إلى أبناء شعبه هو لا أبناء شعب آخر؟!

أسعفونا بوصف، أسعفونا بعبارة مناسبة؟

خرج الاحتلال من غزَّة خروجاً تامًّا منذ أكثر من عقد ونصف، ومع ذَلكَ لم يسمع **حسني مبارك** زعيم أكبر دولة عربيَّة، وزعيم الدَّولة الوحيدة المجاورة لغزة، أنَّ غزة ليست بلداً محتلاً. لم يعلم **حسني مبارك** بعد ثلاثين سنة من رئاسة مصر أم أهل غزة هم أبناء بلده وليسوا أبناء شوارع، وليسوا أبناء بلد آخر غريب.

وعلىٰ الرَّغْمِ من ذَلكَ سنفترض أنَّ غزة بلداً محتلاً. ألم يعلم **حسني مبارك** أنَّ مقاومة الاحتلال أبسط الحقوق المشروعة بل الواجبة على من وقع عليهم الاحتلال؟

هل يوجد أحمق أو عاقل في العالم ينكر حقِّ المقاومة، فمن أين أتىٰ بأنَّ من حقِّ الكيان الصهيوني الذي يحتل فلسطين أن يفتش المساعدات حَتَّىٰ لا يكون فيها أسلحة؟!

إنَّ المنطق الذي لا يحتاج إلى كثيرٍ بداهة يقول إنَّ واجب مصر الأول هو تقديم الأسلحة علناً لا سرًّا إلىٰ المقاومة من أجل الصمود ومقاومة الاحتلال. ومع ذَلكَ قبلنا ألا تقوم مصر بهٰذا الدور. أمَّا أن يدعو إسرائيل إلىٰ تفتيش المساعدات حَتَّىٰ تعرف ماذا يوجد فيها وتمنع دخول الأسلحة إلىٰ المقاومة فهٰذا ما لا أستطيع فهمه.

ومع ذَلكَ كلِّه يقول الرئيس العتيد إنَّ المعبر كان مفتوحاً طيلة العدوان. فمن يمكن أن يصدق ذلك يا ترىٰ؟ من ذا الذي سيصدقه وقد رأينا بأم أعيننا كل ما يدحض ذَلكَ ويكذبه؟ وهو ذاته يكذب نفسه فيما سنرىٰ فيما يلي.

ولٰكن لعَلَّه يقصد باب رفح المصري السيرلانكي، ففي حين تحاصر مصر غزة وتمنع عنها الغذاء والدواء وتمنع إسعاف الجرحىٰ، فقد فاجأتنا الصحف المصريَّة والمواقع الرسميَّة المصريَّة أنَّهُ «بناء علىٰ توجيهات الرئيس **حسني مبارك**، أصدر الدكتور **أحمد نظيف** رئيس مجلس الوزراء قراراً الأحد ٢٠٠٩/٥/٢٤م بإيفاد طائرة مساعدات مصرية إلىٰ سريلانكا التي تواجه بعض المشكلات الإنسانيَّة بسبب الاضطرابات الأخيرة». وقد صرَّح الدكتور **مجدى راضي** المتحدث الرسمي باسم مجلس الوزراء بأنَّهُ تقرر أن تقلع طائرة مساعدات مصرية من القاهرة إلىٰ العاصمة السريلانكيَّة كولومبو تحمل عشرة أطنان من الخيام والبطاطين والمواد الغذائية والأدوية». نظام وأمَّةٌ أعجب من العجب.

أوهام تكريس الانقسام[٧٢]

منذ بدأت المجزرة الصهيونية علىٰ أهلنا في غزة وبعض الأطراف تكرر تكرار الببغاء الأحمق قولاً عجيباً غريباً وهو: لا نريد تكريس الانقسام.

أوَّل من برز بهٰذه النغمة، التي يصير النشاز أمامها صواباً، هو الرئيس المصري **حسني مبارك** عندما أعلن أنَّهُ لن يفتح معبر رفح حرصاً على عدم تكريس الانقسام الفلسطيني. وما إن أدلىٰ الرئيس **حسني مبارك** بهٰذه الذريعة حَتَّىٰ صارت نغمةً مفضَّلة لدىٰ فريق الرفض؛ رفض دعم المقاومة، وراح يردِّدها ويغنيها كلَّما تعالت الدَّعوة لعقد قمَّةٍ عربيَّة أو ارتفعت دعوة لاتخاذ قرار يسهم في إيقاف لمجزرة.

---

(٧٢) . هٰذه الفقرة جزء من أحد فصول كتابي: **بشرية عمياء عرجاء** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

قبل أيُّ كلام علىٰ انقسامٍ عربيٍّ أو فلسطينيٍّ خرج علينا الرئيس **حسني مبارك** بأنَّهُ لن يفتح المعابر وأصرَّ علىٰ عدم فتح المعابر بقوله إنَّهُ لا يريد أن يقع في الفخ الإسرائيلي الذي يسعى إلىٰ إقامة دولتين فلسطينيتين واحدة في الضفة وواحدة في غزة. وقد تمتع الرئيس **حسني مبارك** بفطنةٍ ونباهةٍ كبيرةٍ مكَّنته من إدراك الفخ الصهيوني.

ولٰكن لا ندري من نصب فخ عقد القمَّة العربية حَتَّىٰ رفضت مصر بإصرارٍ شديدٍ عقد القمَّة العربية، وكانت الذريعة أيضاً هي الحرص علىٰ عدم تكريس الانقسام العربي، لقد رفضت مصر بشدَّة عقد القمة بذريعة عدم تكريس الانقسام العربي. وعندما أصر الأمير القطري علىٰ الدعوة لعقد القمَّة أصر المصريون ومعهم السعوديون علىٰ عدم عقد القمة حصراً علىٰ عدم تكريس الانقسام العربي مهما كلف الثمن، حَتَّىٰ ولو كان الثمن نهاية فلسطين والعرب!!

انعقدت القمَّة بمن حضر في قطر اليوم السادس عشر من كانون الأول ٢٠٠٨م، وقبلها كلما اقترب النصاب من الاكتمال انسحبت دولة لتكسر اكتمال النصاب، فيتم رجاء دولة أخرىٰ فتوافق فتنسب دولة أخرى؛ تونس، المغرب، اليمن، لبنان... وكأننا أمام أطفال صغار وحمقىٰ لا نكاد نرضي واحداً حَتَّىٰ يبكي آخر، ولا نكاد نسكت هٰذا حَتَّىٰ يصرخ ثالث.... وهكذا... وكلهم يتذرعون الذريعة ذاتها: لا نريد أن نكرس الانقسام العربي العربي.

متىٰ كان هؤلاء الأصدقاء للكيان الصهيوني أنفسهم حريصون علىٰ عدم الانقسام؟

مبادرة مصرية لإنقاذ إسرائيل[٧٣]

طالما أنَّنا في إطار الحصار والعدوان الصهيوني علىٰ غزة، لا بُدَّ من التعريج علىٰ مبادرة **حسني مبارك** لنسف المقاومة وإنقاذ إسرائيل.

ما زالت المجزرة المستمرَّة، واليوم السَّبت السَّادس عشر من كانون الثاني ٢٠٠٩م هو اليوم الحادي والعشرون من أيام المجزرة، وقد تواصل سفك دماء الفلسطينيين من دون توقف فوصل عد الشُّهداء إلى ١١٣٣ شهيداً، بينما تجاوز عدد الجرحى ٥٤٠٠ جريحاً بينهم الكثير من الحالات الخطيرة.

مع تواصل المجزرة وتوصل سفك الدماء والدمار الوحشي هناك شبه إصرار علىٰ المبادرة المصرية من قبل الأطراف الدوليَّة المختلفة إلا الفلسطينيين. والسؤال الذي يفرض ذاته لماذا هٰذا الإصرار علىٰ هٰذه المبادرة؟ ولماذا تمنع المبادرات الأخرىٰ؟ والسؤال الأكثر من كلِّ ذٰلكَ أهميَّة هو: لماذا يجب أن يكون هناك مبادرة واتفاقيَّة؟

السُّؤال الأخير هو الذي يجب أن نقف عنده أو هو ما نريد أن نقف عنده هنا لأنَّ الأسئلة الأخرى لها مكان آخر وقد وقفنا عندها وناقشها غيرنا كثيرٌ أيضاً.

إنَّ المبادرة المصرية إنقاذ للكيان لصهيوني وليست إيقافاً للعدوان، العدوان سينتهي شاء الكيان الصهيوني أم أبىٰ، لا يمكن للكيان الصهيوني أن يستمر في مجزرته وعدوانه إلى ما نهاية، وسيوقف عدوانه هذا ومجزرته هٰذه شاء أم أبىٰ، إن

---

(٧٣) . هٰذه الفقرة جزء من أحد فصول كتابي: **بشرية عمياء عرجاء** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

لم يكن اليوم فغداً. فلماذا الإصرار علىٰ إلزام الفلسطينيين بقبول المبادرة وتوقيع اتفاقية التنازل؟

يجب أن لا نقبل بأيِّ طريقةٍ أن ينتهي العدوان الصهيوني بمكافأة وتقدير لجهوده من قبل العرب أو غيرهم... إن هو إلا صبر يوم طويل أو أقل منه بقليل. وما أدت إليه هٰذه المجزرة من فضح وتعرية تامَّة للعملاء والخونة المتآمرين علىٰ الأمَّة ومصيرها إلا أول أبواب النصر بإذن الله.

أسطورة العصر حسني مبارك(٧٤)

علىٰ الرَّغْمِ مما بدا أنَّهُ توبة بصقها **حسني مبارك** في وجه العالم الذي هاجم سفاراته علىٰ مدار أيام العدوان الوحشي أيام العدوان الصهيوني الوحشي علىٰ غزة عندما دعا الكيان الصهيوني إلىٰ الوقف الفوري والمباشر لإطلاق النار.

وعلىٰ الرَّغْمِ من أن صديقه وشريكه **إيهود أولمرت** رئيس وزراء الكيان الصهيوني قد أخرج هزيمته ووقفه إطلاق النار من جانب واحد علىٰ أنَّهُ تلبيةٌ لدعوة صديقه وشريكه **حسني مبارك** وأهدىٰ له شخصيًّا وقف إطلاق النار هٰذا. وعلىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُ كان كاذباً كذباً صريحاً في دعوته هٰذه لوقف إطلاق النار التي حاول بها أن ينقذ نفسه، كما بدا، بعدما غرق وشبع غرقاً في الانكشاف والانفضاح الذي لا غفران له بعده، فقد ألقىٰ خطابه بعد يوم واحد من علمه بأن الكيان الصهيوني عازم علىٰ وقف إطلاق النار من جانب واحد.

وعلىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُ تلقىٰ ضربة قاصمة من أصدقائه وشركائه الصهاينة والأمريكان بنسف كل جهوده لإخضاع حماس وانتزاع الموافقة منها بأيِّ طريقة

(٧٤) . هٰذه الفقرة جزء من أحد فصول كتابي: **بشرية عمياء عرجاء** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

علىٰ إنهاء الصراع وعدم إطلاق الصواريخ إذ أعلن الكيان الصهيوني إيقاف العدوان من طرفٍ واحدٍ ضاربين بمبادرته التي ظلَّ متمسكاً بها عرض المزبلة.

علىٰ الرَّغْمِ من ذَلكَ كلِّه كلِّه... فقد عاد **حسني مبارك** إلى حقيقته وطبيعته خلال أقلٍّ من يومٍ واحدٍ. خلال أقل من يوم واحد من هٰذه الصفعة التي تعمي البصر التي تلقاها **حسني مبارك** من العدو الصهيوني عاد **حسني مبارك** ليبذل كرامته وكرامة الأمة أمام الكيان الصهيوني ويقدم له الخدمات المجانيَّة التي تفوق الخيال.

ففي حين أن الكيان الصهيوني أوقف الحرب/ العدوان من طرف واحدٍ ومن دون أن يستطيع الحصول عَلىٰ أيِّ ضمانة من حماس أو اتفاقية أو تعهد... بوقف المقاومة أو وقف إطلاق الصواريخ أو التسلح أو أي شيء من هٰذا القبيل. فقد عقد **حسني مبارك**، اليوم الأحد التاسع عشر من كانون الثاني ٢٠٠٩م، المؤتمر الذي دعا إليه أمس، وكان مؤتمراً حاشداً من الدول الأوروبية ويقود هٰذا المؤتمر إلىٰ مطالبة إسرائيل بوقف إطلاق النار، علماً أنَّهُ يعلم والعالم كلُّه يعلم، أنها أعلنت وقف إطلاق النار يوم أمس. وأضاف الأحمق بعد ذَلكَ ذَلكَ أنَّهُ طالب حماس بوقف إطلاق النار والصواريخ والقبول بمراقبة الممرات لمنع التسلح!!

إسرائيل أوقفت إطلاق النار من جانبها على نحو يشبه الإقرار بالهزيمة، ولم تستطع الحصول من حماس في ذروة الضغط والعدوان عليها وعلى الشعب الفلسطيني عَلىٰ أي تنازل عن حقها في المقاومة والدفاع عن النَّفس والتسلح... وقد توقف العدوان وانتهى... ومع ذٰلك يأتي مبارك ليدعوها إلىٰ وقف إطلاق

النار بعد وقف إطلاق النار، ويفرض علىٰ حماس بعد وقف إطلاق النار ما لم تقبل به في أثناء العدوان!!

أيعقل أنَّهُ لم يسمع بما حدث من وقف إطلاق النَّار أم أنَّهُ نوع من التَّخريف؟

أيعقل أنَّهُ لم يدرك أنَّ إسرائيل عجزت عن تحقيق ما يطالب حماس بتقديمه لإسرائيل؟

أيمكن أن يكون الرجل (بطل يجمع) مثلاً؟

ولٰكنَّ ما قصة هٰذا المؤتمر الذي أشرنا إليه؟

مبارك يعقد مؤتمراً(٧٥)

مع إعلان الكيان الصهيوني عزمه على إيقاف العمليات العسكريَّة، أي إيقاف عدوانه الغاشم الوحشي علىٰ أهلنا في غزة، في اليوم الثاني والعشرين من بدء المجزرة نهض الرئيس المصري **حسني مبارك** وأخذه الحماس وبدأ يغدق بالمشاريع والتَّصريحات.

في خطابه ظهيرة اليوم السبت السَّابع عشر من كانون الثاني ٢٠٠٩م أعلن أنَّهُ سيدعو لعقد مؤتمر للدول المانحة للنظر في إعمار غزة بعد انتهاء العدوان. وما هي إلا ساعات حَتَّىٰ وجهت الدعوات إلىٰ الدول الأوروبيَّة وشريكه **محمود عباس**، مع تغييب حماس والمقاومة للاجتماع في شرم الشيخ للنَّظر في تداعيات ما سمَّاه **مبارك** نهاية الأعمال العسكرية في غزة.

(٧٥) . هٰذه الفقرة جزء من أحد فصول كتابي: **بشرية عمياء عرجاء** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

بغضِّ النَّظر عن أنَّهُ لم يسمِّ ذَلكَ مجزرة، وعن أنَّهُ وإن استخدم لفظ العدوان فقد استخدمه علىٰ حياء وخجل، فإنَّ في دعوته هٰذه ما يدعو إلىٰ التساؤل والوقوف وقفة مطولة من التفكير والمناقشة، لأنها دعوة تنطوي علىٰ الكثير من الأفكار الخطيرة.

أوَّل ما يجب الوقوف عنده هو لماذا هٰذه النخوة بعدما كان ما كان من العدوان الذي قلَّ نظيرهُ في التَّاريخ؟

لماذا هٰذه النَّخوة والهمة التي علت فجأة، ولماذا صارت الدعوة إلى عقد قمَّة أمر ممكن وسهل؟

منذ اليوم الأول دعت سوريا وقطر إلىٰ عقد قمَّةٍ عربيَّةٍ طارئةٍ للنَّظر في المجزرة الصهيونية واتخاذ الإجراءات اللازمة لإيقاف هٰذه المجزرة، وقد وقف **حسني مبارك** بحزم وشدَّة أمام عقد هٰذه القمة، وحارب من يدعو إليها، وعدَّ عقدها خيانة، وخطراً، وداعياً للانقسام العربي العربي، وتكريساً للانقسام الفلسطيني الفلسطيني، وكلما اقترب عدد الموافقين من النصاب اللازم لعقد القمة تدخل **عمرو موسى**، وهٰذا الرجل يحتاج إلى وقفة خاصَّة، فكذَّب ومنع بعض الدول من حضور القمة بزعم أنَّ النِّصاب لم يكتمل.

واستمر العمل علىٰ عقد القمة حَتَّىٰ دعا الرئيس السوري إلىٰ عقد قمَّة بمن حضر، ومع ذَلكَ ظلَّ الرئيس **حسني مبارك** وطاقمه من أزلامه، بالتعاون مع السعودية، علىٰ منع عقد هٰذه القمة بأيِّ طريقة.

من أطرف ما كان من مزاعم لعدم عقد القمة دعوة مصر والسعودية إلىٰ أنَّ يكون هناك اجتماع تشاوري علىٰ هامش المؤتمر الاقتصادي العربي الذي سيعقد في الكويت...

أراد **مبارك** أن تناقش المجزرة الصهيونية علىٰ هامش مناقشة أسعار النفط والغاز وكأنَّ دماء الفلسطينيين المسفوكة في غزة نوع من عصير البندورة أو الجزر!! كان عقد من أجل مناقشة المجزرة الصهيونية أمر أكبر بكثير مما تستحقه الدماء الفلسطينية العربيَّة، ولذلك لا يجوز أن تناقش المجزرة إلا تشاوريًّا وعلىٰ هامش قمة اقتصادية مقررة منذ أكثر من سنة.

أمر غريب، ولٰكنَّ الغرابة لا تتوقف هنا. لأنَّ النظام المصري ظلَّ يتحفنا بالمفاجأة تلو المفاجأة. فما إن أحبطت القمة الطارئة تماماً، وكثر الضغط علىٰ القمة بمن حضر، حَتَّىٰ أعلن أمير قطر عن دعوة لحضور قمة في الدوحة لمناقشة المجزرة والإجراءات التي يمكن اتخاذها، وحدد الجمعة السادس عشر من كانون الثاني ٢٠٠٩م موعداً لها بغض النظر عن أي نصاب، من أراد أن يحضر يحضر. ومع ذٰلكَ ظلَّ الهجوم المصري العلني على القمة شديداً علىٰ كلِّ الجبهات، فيما كان الهجوم السعودي شبه سريٍّ في البداية.

كانت الذريعة التي كررها **مبارك وأبو الغيط** وأزلامهما لمنع عقد القمة، ولتسويغ عدم المشاركة في القمة أن القمة تحتاج إلى تخطيط ودراسة، وكأن سيجتمعون من أجل نقل القارة الأمريكية من أقصىٰ الأطلس إلى جوار عدن.

وتابع النظام المصري على لسان **أبو الغيط** خاصَّة بأن عقد هٰذه القمَّة سيؤثر سلباً على قمة الكويت التي رتب لها منذ عام.

لقد اجتمع القادة الأوروبيون بعد ثلاثة أيام من المجزرة من دون تخطيطٍ أو دراسةٍ أو تشاورٍ، وغزة لا تعني الأوروبيين بشيءٍ، علىٰ الأقل مقارنة مصر والعالم العربي كله... ومع ذٰلكَ لم يستطيعوا الانتظار للتَّشاور والمباحثة. أما مصر ومعها

السعوديَّة فهي لا تريد عقد قمة إلا بعد قتلها تشاوراً... وربَّمَا بعد قتل كل الشعب الفلسطيني.

لأنَّ قمة الدوحة جاءت بدعوة من سوريا وقطر اللتان تقفان في جانب الفلسطينيين فإنها قمَّة ستؤدِّي إلىٰ الشَّرخ والانقسام وتحتاج إلىٰ البحث والدراسة... أمَّا القمة الخليجية التي دعت إليها السُّعودية فجأة لتنعقد يوم الخميس، أي قبل قمة الدوحة بيومٍ واحد، وكانت الدَّعوة لعقدها يوم الأربعاء... فهي قمة لا تحتاج إلىٰ دراسة ولا إلى تخطيط، لأنَّها في الحقيقة معروفة النَّتائج والغايات مسبقاً.

لم يعلق النظام المصري علىٰ هٰذه القمة على الإطلاق، لماذا لم ير فيها عدم تخطيط، ولماذا لم ير أنها ستعيق قمة الكويت...؟

ويتحفنا **حسني مبارك** ونظامه بمفاجأة أخرىٰ جديدةٍ وهي دعوته المفاجئة لعقد قمَّة في شرم الشيخ يوم الأحد التاسع عشر من كانون الثاني ٢٠٠٩م، أي قبل يوم واحد من قمَّة الكويت!! ودعا لحضورها الدول الأوروبية و**محمود عباس** والعاهل الأردني الذي عجز عن الذهاب إلىٰ الدوحة ولا ندري لماذا.

هنا يؤكِّد **حسني مبارك** عبقريته، فهو يستطيع أن يعقد القمم من دون تخطيط، ومن دون تأثير في قمة الكويت التي ستعقد في اليوم التالي.

الحقيقة ليست هٰذا ولا ذاك. الحقيقة هي أنَّهُ ما إن تقرر عقد القمة بمن حضر لمن يدينون العدوان حَتَّىٰ جن جنون أصدقاء الكيان الصهيوني وراحوا يضعون العصي في العجلات ويسعون إلىٰ عرقتها بكلِّ ما أمكنهم من القدرات والطاقات والأساليب...

ولأنَّ قمَّة الدوحة حملت مقترحاتها إلى قمة الكويت المقررة أصلاً قبل أكثر من سنة، هب **حسني مبارك** ليضع ليعرقل وصول هٰذه القمة إلىٰ أي نتيجة وعقد القمة في شرم الشيخ ليس دعماً لغزة وإنما للإجهاز عليها بعد أن ينتهي الكيان الصهيوني من تدميرها. وقد أعلن **مبارك** ذٰلكَ في الخطاب ذاته إذ قال إِنَّهُ يريد تحقيق الأمن للفلسطينيين والإسرائيليين... يريد ضمان الأمن للإسرائيليين، وهو ما عجز عنه الصهاينة أنفسهم في عدوانهم هٰذا.

ما عجز عنه **أولمرت وباراك وليفني** من هٰذا العدوان والمجزرة يريد **حسني باراك** تحقيقه لهم بذاته...

الحكاية لا تنتهي هنا. الحكاية ستكون أكثر وضوحاً في الفجور والخيانة عندما نعلم أنَّ مصر شريك في العدوان علىٰ غزة شراكة عجيبة.

مصر شريك في العدوان على غزة(٧٦)

نقر سلفاً بأنَّهُ عنوانٌ صادمٌ لبعض الشعب المصري، وسيرى كثيرٌ من المصريين أنَّ هٰذا العنوان إساءة لهم. هٰذا شأن من يسيء الفهم والتَّقدير. فالحقيقة التي لا يمكن نكرانها، وقد كشفنا عنها في كثير من المجالات أنَّ النِّظام المصري أكبر شريك لإسرائيل في مجزرة غزة وفي حصار غزة، وفي تركيع غزة. ونحن إذن نقول مصر فإنَّ المقصود هو النظام، هو **حسني مبارك**، كما لو قلنا سوريا فإنَّنا نعني النِّظام السوري، وكذٰلكَ السعودي... ولا نعني الشَّعب بأيِّ حالٍ من الأحوال. وإن كانت الشعوب تحمل الكثير من الوزر في بقاء هٰذه الأنظمة الصريحة الخيانة.

---

(٧٦) . هٰذه الفقرة دمج واختصار لفصلين من كتابي: **بشرية عمياء عرجاء** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م. وهما: مصر شريك في العدوان على غزة، والعدوان على غزة بأوامر عربية.

لن نطيل الكلام، والكلام التالي ليس لنا، ولن نكثر من التحليل، سنسرد باختصار تقرير صحيفة الأسبوع المصرية بتاريخ ٢٠٠٩/١/٢٨م، التي كشفت عن شركات مصرية زودت الجيش الصهيوني بعشرات الأطنان من المواد الغذائية، قبل الحرب على غزة وفي أثناءها وبعدها، الذي حمل عنوان: «أسطول من الشاحنات المصرية لم يتوقف عن تزويد الجيش الصهيوني بعشرات الأطنان من المواد الغذائية في الوقت الذي منع نظام **كافور الإخشيدي** حَتَّىٰ الأطباء من دخول غزة».

جاء ذَلكَ كما يقول التقرير في الوقت الذي منع فيه النظام المصري حَتَّىٰ الأطباء من دخول قطاع غزة لمعالجة الجرحى، كما كشف الكثير من الأطباء النرويجيين والفرنسيين وغيرهم، الأمر الذي اضطر بعضهم، كما كشف الطبيب الفرنسي **كريستوف بيرلين**، إلىٰ التسلل عبر الأنفاق مع معداتهم الطبية للقيام بواجبهم الإنساني والمهني بعد أن باتوا ١٣ يوماً عند نقطة الحدود في رفح ويئسوا من الدخول بطريقة شرعية. أطباء أوروبيون من أصل أوروبي لم تحتمل ضمائرهم أن يعودوا من دون تقديم العون والمساعدة للمحاصرين في غزة، وغامروا بحياتهم من أجل أداء واجبهم الإنساني، في حين أنَّ النظام المصري يدفع الغالي والنفيس ليمنع وصول المساعدات الإنسانية إلىٰ غزة. وليس هٰذا فحسب بل سنجد أكثر من ذَلكَ بكثير مما تفيض منه العين أسى وقهراً.

يبدأ التقرير بما يشبه الاعتذار أو التوضيح للشعب المصري لا بأس من اختصاره، يقول: لا تجعل صدمة العنوان، تنسيك أن شعب مصر هو الذي قدم أروع أشكال التضامن مع أشقائه في غزة طوال أيام العدوان الصهيوني. ويتابع:

أخطر تجار الحروب، هم من يزود عدوه باحتياجاته الغذائيَّة والعسكرية خلال القتال، مفضلاً تحقيق ربحٍ ماديٍّ لنفسه علي حساب دماء أهله، ومستقبل أمته... وتدخل الفضيحة التي تنفرد (الأسبوع) بنشر تفاصيلها في إطار النوع الأخير من الاتجار بالحروب، فبينما كانت مصر كلها تنتفض حزنا علي ما يحدث لغزة، والدعاة والائمة والقساوسة يتوجهون لله بالدعوات لنصرة الأبرياء الجائعين في القطاع المحاصر، كان جنود العدو يتزودون بأغذية مصرية اسمها (لذة)، تنتجها شركة (الاتحاد الدولي للصناعات الغذائية المتكاملة) في مصانعها بالمنطقة الصناعية في مدينة **السادات**. أمَّا التَّفاصيل نفسها فتتضمن الكثير من الأسماء والأرقام والمستندات الصَّادمة لكلِّ ذي كرامة...

بينما كانت مصر الرسميَّة ترفض بعنادٍ فتح معبر رفح أمام المعونات الإغاثيَّة المقدمة لأهالي غزة خلال العدوان الصهيوني الأخير عليهم، كانت الشَّاحنات المحملة بمنتجات (الاتحاد الدولي) تمرُّ من معبر العوجة إلىٰ داخل دولة العدو بسلاسةٍ كي تفرغ حمولتها الضخمة من المواد الغذائية داخل معسكرات جيش الاحتلال.

تخيلوا، كانت غزة تحترق والدماء فيها بحور، بينما أسطول شاحنات مصري يتحرك ذهاباً وإياباً علىٰ الطريق الممتد من مدينة **السادات** حَتَّىٰ معبر العوجة أقصىٰ شرق مصر، ليسلم منتجات شركة (الاتحاد الدولي للصناعات الغذائية) إلىٰ شركة (تشانل فوود) الصهيونية لتقوم بتوريده إلىٰ جيش الاحتلال.

الطَّريف هو وضع منتجات الشركات المصرية في عبوات بلاستيكية مكتوبة بياناتها باللغة العبرية لتكون جاهزة للتوزيع المباشر بمجرد وصولها إلى داخل

الكيان. بناء على طلب من الشركة الصهيونية المستوردة حَتَّى تتمكن من توصيل المواد الغذائيَّة بسرعة إلى هدفها الأخير!!! جرأة فاقت الحدود(٧٧).

للحقيقة والتاريخ ليست مصر **حسني مبارك**. هٰذه المجزرة الإسرائيلية كانت بموافقة عربية، ومباركة عربية، وترتيب عربي... وبإمكانكم أن تضيفوا ما شئتم من هٰذا القبيل من العبارات والأحكام؟!

من المعروف والمسلم به أنَّ الدول، وإسرائيل خاصَّة، لا تفضح عملاءها مهما كلفها ذٰلكَ من ثمن، حَتَّى بعد موتهم، وتسكت عن التعليق علىٰ من يتم فضحهم بطريقةٍ أو بأخرىٰ. ولٰكنَّ إسرائيل اضطرت في الظرف الراهن إلىٰ فضح عملائها والكشف عن حقائق مذهلةٍ، وهي موافقة أنظمة عربيَّة بعينها علىٰ مجزرة غزة تحت ذريعة القضاء علىٰ سلطة حماس. اضطرت لذٰلك لأن المجزرة كانت أكبر من أن تحتمل، واحتاجت إسرائيل إلىٰ تبرئة ساحتها إلىٰ أي حدٍّ ممكن. بل إن إسرائيل أدركت منذ البداية أنَّها مقدمة علىٰ مأساة كبيرة ولذٰلك باشرت بتسريب بل فضح التآمر العربي مع إسرائيل علىٰ غزة منذ السَّاعات الأولى للعدوان. سنقف عند بعض نماذج أو شواهد هٰذه الفضائح التي نشر معظمها الأستاذ **فهمي هويدي** في صحيفة الدستور المصريه يوم الخميس ٤ المحرم ١٤٣٠ الموافق لـ ١ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٩م.

الشاهد الأول: في حديث للإذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية تم بثه صباح الأحد الماضي ٢٠٠٨/١٢/٢٨م، أي في اليوم الثاني من المجزرة، قال **يحئيل زيسمان** المعلق الاسرائيلي المعروف: «كان من الواضح أن إسرائيل ما كان لها

(٧٧) . لمزيد من التفاصيل في ذٰلكَ يمكن الرجوع إلى كتابي: **بشرية عمياء عرجاء** . م. س.

أن تقدم على عمليتها الكبيرة ضدَّ غزة لولا أنَّها حصلت علىٰ ضوءٍ أخضر من بعض الدول العربية، وتحديدا من مصر.

وتابع **زيسمان** موضحاً وشارحاً من خلال تحليله للموقف العربي:«إنَّ التَّصريحات التي أدلىٰ بها وزير الخارجيَّة المصري **أحمد أبو الغيط** يوم السبت تمثِّل أوضح صورةٍ لحال القبول العربي بالعملية. ذَلكَ أنَّهُ حين قال في تصريح صحافي معلن: إنَّ مصر حذَّرت حماس وإنَّ من لا يستمع إلى تحذيرها فلا يلومن إلاَّ نفسه». وهو مؤشرٌ واضح الدَّلالة علىٰ صدور الضَّوء الأخضر من القيادة المصريَّة.

الشاهد الثاني: يوم الاثنين ٢٠٠٨/١٢/٢٩م نشر موقع صحيفة (هاآرتس) علىٰ الإنترنت تقريراً لمراسل الصحيفة **زفاي باريل** تحت عنوان: «دول عربية رئيسية مهتمة بإضعاف حماس»، ذكر فيه «أن إغلاق مصر لمعبر رفح لإحكام الحصار الإسرائيلي المضروب علىٰ غزة أصبح أحد محاور السِّياسة المصريَّة، وأنَّ من يتابع البيانات الرسميَّة العربيَّة وهتافات المتظاهرين في العديد من العواصم العربية يخيل إليه أن الذي شنَّ الحرب ضدَّ غزَّة هو مصر وليس إسرائيل». أضاف **زفاي باريل** أنَّ «مصر والسعودية اللتين تعدان حماس حليفاً لطهران تفضِّلان التريث بعض الوقت أملاً في أن تنهي إسرائيل سيطرة حماس علىٰ القطاع. ولذلك فإنَّ القمة العربية المنتظرة لن تنجح في التوصُّل إلى شيءٍ إيجابيٍّ طالما بقيت الدولتان الكبيرتان».

المشهد الثالث: وفي يوم الخميس كشفت جريدة (معاريف) عن أنَّ مسؤولين عرباً كباراً طالبوا إسرائيل بتصفية قيادات حركة حماس السياسيين والعسكريين. وذكر كبير معلقي الجريدة **بن كاسبيت** أنَّ أحد المسؤولين العرب،

لم يسمِّه، اتصل بعدد من المسؤولين الإسرائيليين وقال لهم «اقطعوا رؤوسهم». وذكرت معاريف وهآرتس الإسرائيليتان أنَّ اللواء **عمر سليمان** مدير المخابرات المصرية أبلغ الجنرال **عاموس جلعاد** مدير الدائرة السِّياسيَّة والأمنية في وزارة الحرب الإسرائيلية أنَّ إسرائيل محقَّةٌ في أيِّ خطوةٍ تتخذها ضد حماس، محملاً الحركة المسؤولية عن انهيار التَّهدئة(٧٨).

من جدار الفصل إلى السد الواطي

استشهد اليوم الخميس ٢٠٠٩/١٢/٢٤م المواطن الفلسطيني **صلاح علوان** في أحد الأنفاق، بسبب المثاقب الضخمة التي تقوم القوات المصرية باستخدمها لردم الأنفاق وإشادة السد الواطي. نعم السَّد الواطي.

لم يكتف النظام المسري بإشادة جدار الفصل العنصري بَيْنَ مصر وغزة لاستكمال خنق الفلسطينيين، بل هو عازم علىٰ إشادة سدٍّ فولاذيٍّ تحت الأرض بعمق ثلاثين متراً للحيلولة دون العودة إلىٰ حفر الأنفاق من جديد.

يمتدُّ السد الواطي هذا من ساحل البحر المتوسط باتجاه الشَّرق بمحاذاة الحدود بَيْنَ مصر وغزة لمسافة ١٠ كلم. يتفرع من هٰذا الأنبوب إلىٰ باطن الأرض عددٌ كبير من الأنابيب بقطر ١٥ سم مثقوبة من كل الجهات، علىٰ عمق ٣٠ متراً في باطن الأرض.

الأمر مدروس بعناية وحنكة هندسية ودهاء إنشائي، فبهٰذه الطَّريقة تغدو التربة رخوة ولن يكون بالإمكان إعادة حفر أنفاق من جديد. وقد أعلن المركز

(٧٨) . لمزيد من التفاصيل في ذٰلكَ يمكن الرجوع إلى كتابي: **بشرية عمياء عرجاء** . م. س.

الفلسطيني للإعلام أن الجدار يتضمن تقنية جديدة لضخ مياه البحر عبر أنابيب خاصة تؤدِّي إلىٰ إغراق أي شخص يحاول حفر نفق.

ولا يقف أمر الحرص المصري علىٰ إسرائيل عند هٰذا الحد، فإلىٰ جانب هٰذه الأنابيب الضَّخمة سيتم دق أسافين ضخمة من حديد الفولاذ سمكها ١٥ سم وعرضها نصف متر وطولها ٢٢ متراً وهي متراصة علىٰ طول الحدود علىٰ طول ١٠كلم. جاءت هٰذه الأسافين خصيصاً من الولايات المتحدة لهٰذا الغرض (الإنساني)، وهي مصنعة من الفلاذ غير القابل للتفجير أو الاختراق، ولذٰلك سمِّي بالسَّد الفولاذي، ولأنَّهُ تحت الأرض سمِّيت بالسَّدِّ الواطي. وفي الوقت ذاته يتم إدخال كوابل كهربائية ضخمة مزودة بحساسات إلكترونية داخل المواسير قبل ضخ المياه للكشف عن أماكن وجود الأنفاق.

العمل يسير بوتائر سريعة ومتسارعة في سباق مع الزمن، علىٰ يد شركات مصرية يرأسها **أحمد عثمان**، وشركات فرنسية وأمريكية. وقالت المنظمة العربية لحقوق الإنسان من لندن «إن استخبارات أجنبية تشرف مباشرة على بناء الجدار المصري الفولاذي علىٰ الحدود مع قطاع غزة». هٰذه الاستخبارات الأجنبية هي الإسرائيلية لا غير، لأنه لو كانت فرنسية أو بريطانية أو أمريكية لتك الإعلان عنها... ومن غير المعقول أن تكون استخبارات الكونغو مثلاً أو جزر القمر هي التي تشرف علىٰ هٰذا المشروع.

رجل إسرائيل الرئيس الفلسطيني **محمود عباس** أيد هٰذا المشروع المصري، وقال بأدب جم: «إنَّ هٰذا الأمر يتعلق بسيادة مصر على أراضيها». وفي هٰذا التصريح ذاته الذي أدلىٰ به لصحيفة الأهرام المصرية هاجم الذين يهاجمون مصر لأنهها تغلق معبر رفح. لم يتوقع أحد أكثر من ذٰلكَ منه ولا من أي وزير من

وزرائه مثل وزير داخليته **فتحي حماد** الذي تفهم حرص مصر علىٰ أمنها. ولٰكنَّ أيًّا منهما لم يتساءل: لماذا تخاف مصر من غزة ولا تخاف من إسرائيل؟

الغريب الغريب أن يكون مصدر القلق المصري من غزة المحاصرة وليس من إسرائيل. علىٰ أي حال الافتراء علىٰ غزة هو الأداة الوحيدة للتَّضليل والقيام بمشروع من هٰذا القبيل لحماية إسرائيل وليس لحماية مصر. ولا أحد يجهل أنَّ النظام المصري منذ بدأ الحصار على غزة وهو يشن حملات سياسية وإعلامية لتشويه صورة المقاومة الفلسطينية.

هٰذا المشروع لقي انتقادات واحتجاجات كبيرة من مختلف المستويات السياسية والإعلامية والرسميَّة العربيَّة والدوليَّة، منها احتجاجات مصرية لم تتوقف. **عبد الحليم قنديل**، المنسق العام لحركة كفاية قال: «لا يمكن هدم جدار العار من دون هدم النظام الحاكم» وأكَّد «أنَّ النظام وافق على معادلة ذهبيَّة بخدمة الكيان الصهيوني لإرضاء أمريكا للبقاء علىٰ نظام **مبارك**، فكلَّما اقترب موعد الانتخابات الرئاسية يقوم نظام مبارك بتقديم المزيد من الخدمات للعدو الصهيوني، منها الإفراج عن الجاسوس **عزام عزام**، وإعادة السفير المصرى (لإسرائيل)، وتصدير الغاز، وإرسال السفير المصرى للعراق، ثُمَّ الجدار الفولاذى الذى وصفه بالقربان المصرى للصهاينة».

الدكتورة **كريمة الحفناوى** القيادية في حركة كفاية، قالت: «إن أمن مصر ليس بالجدار العازل بَيْنَ مصر وغزة، الجدار المصرى يساند الصهانية علىٰ حساب الأمن المصرى القومى».

بعد السيل العارم من الانتقادات والاحتجاجات خرج علينا **أبو الغيط** وزير خارجية **حسني مبارك** في ٢٠٠٩/١٢/٢٥م، خرج علينا، وانظروا لماذا،

«لينفي أنباء تحدثت عن احتمال توقف مصر عن استكمال تشييد الجدار الفولاذي تحت الأرض علىٰ حدود بلاده الشرقية مع قطاع غزة». وقال في حديث لبرنامج (حالة حوار) على التلفزيون المصري: «إن مصر ليست علىٰ استعداد لأن تتوقف عن حماية شعبها».

ليس عذراً أقبح من ذنب وحسب، بل فجور ما بعده فجور، وكذب ما بعده كذب. عزة التي تموت جوعاً من الحصار تهدد أمن مصر، أمن مصر مهدد من فلسطين وليس من إسرائيل. الحقيقة التي لا يمكن إخفاؤها هي أن مصر مثل إسرائيل تريد إحكام الحصار علىٰ غزة لتركيعها، ولا تريد السماح بوصول السلاح إليها لتكون لقمة سهلة لدىٰ أي عدوان.

بعضهم يحاول تسويق الحصار المصري لغزة بأنَّهُ بسبب انفراد حماس بالسُّلطة في غزَّة. والحقيقة ليست كذلكَ، كثيراً ما قرأنا عن تتبع المخابرات المصرية لمحاولات تهريب السِّلاح إلىٰ غزة، عكس ما يروج له بعضهم بأنَّ تهريب السِّلاح يتمُّ بعلم المخابرات المصريَّة. ٢٠٠٢/٥/٢٨م كما تناقلت مختلف وسائل الإعلام والأنباء «أحبطت السلطات المصرية عملية تهريب أسلحة إلىٰ الأراضي الفلسطينية عبر معبر رفح الحدودي»[٧٩].

الكويز شراكة إسرائيلية مصرية

في سابقة مأساوية، وما أكثر سوابق الأنظمة المصرية منذ **عبد الناصر**، عقدت مصري وإسرائيل وأمريكا اتفاقية[٨٠] سميت اختصاراً اتفاقية الكويز، أو

(**٧٩**) . الجزيرة نت: **السلطات المصرية تمنع تهريب أسلحة للأراضي الفلسطينية** . الثلاثاء ١٤٢٣/٣/١٦هـ الموافق ٢٠٠٢/٥/٢٨م. المصدر: قناة الجزيرة نقلاً عن وكالات.

(**٨٠**) . في ١٤ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٤م.

هي اتفاقية المناطق الصناعية المؤهلة. المؤهلة لماذا؟ المؤهلة للتداول بَيْنَ هٰذه الدول الثلاث ضمن شروط معينة تجعل إسرائيل وصيًّا على الاقتصاد المصري ومتحكماً به أيضاً، ولو كان الأمر جزئيًّا كما قد يوحي بعضهم.

تنص الاتفاقية كما نشرت الصحافة المصرية علىٰ «تحديد عدد من المناطق في القاهرة الكبرى والإسكندرية وبرج العرب والعامرية والمنطقة الصناعية في بور سعيد (بوصفها مرحلة أولىٰ) تُعفى من الجمارك صادرات مصانعها إلىٰ السوق الأمريكية، ولٰكن بشروط في مقدمتها اشتراك إسرائيل بنسبة لا تقلُّ عن ١١% من مكونات هٰذه السِّلع المراد تصديها. هٰذا الشرط الأول والأساس.

الاتفاقيَّة محصورةٌ بصناعات معينة، هٰذه الصناعات هي المنسوجات والملابس ومواد البناء والأثاث والجلود وربَّما صناعات غذائية أيضاً. هٰذا يعني كما ورد في البريد الإلكتروني المذكور سابقاً أن مصر ستتفرغ لتصنيع الكيلوتات والسوتيانات والأحذية للشَّعب الأمريكي، بينما الأمريكون سيبيعون مصر المصانع التي تنتج هٰذه الأشياء، وبلفظ آخر مثلما قال اقتصادي برازيلي في أوائل التِّسعينيات: إنَّ أمريكا تريدنا أن نغلق مصانع الأسلحة ونتفرغ لصنع أحذية للمارينز.

هٰذه أحسن الظنون الحسنة في الاتفاقية، ولٰكنَّ أقل الناس كفاءة في التحليل السياسي والاقتصادي يدرك أنَّ هٰذه الاتفاقية هي خدمة مجانية للكيان الصهيوني علىٰ حساب كرامة مصر والكرامة العربية، وتعزيز للوجود والحضور الإسرائيلي في العقل المصري والأكل المصري والدم المصري... ومن ثمَّ العربي. وليس هٰذا فحسب بل إنَّ هٰذه الاتفاقية بمرور الوقت ستخول إسرائيل التحكم

بالاقتصاد المصري والسَّيطرة عليه، فالاتفاقية مثلاً تسمح باستثمار رأس المال الأجنبي في شركات مشتركة يحق للجانب الإسرائيلي امتلاك ٣٥% من رأسمالها[٨١].

وهٰذا يعني، رويداً رويداً، وبحكم المافسة والضغوط والابتزاز... ستتحول شركات مصرية قائمة حالياً أو تنشأ مستقبلاً في هٰذه المناطق إلىٰ شركات إسرائيليَّة مصريَّة أمريكيَّة. وهٰذا يعني أيضاً أن نسبة (٧. ١١%) على الأقل من المكون الإسرائيلي الإجباري في المنتج يمكن أن تصل إلى ٥٠%. وهٰذا يعني أيضاً أنَّهُ يمكن أن تتحول مصر إلى وكيل لتسويق الصناعة الإسرائيلية...

المسألة أخطر من ذٰلكَ أيضاً. المسألة تتعلق بإدخال إسرائيل في العقل العربي علىٰ أنَّها دولة صديقة شقيقة أكثر مما تتعلق بعلاقات اقتصادية. إسرائيل ليست بحاجةٍ لترويج صناعتها عن طريق مصر، إسرائيل ليست بحاجة إلى أرباح اقتصادية... هي غنية عن ذٰلكَ كله. إسرائيل وأمريكا من ورائها تريد تكريس وجودها في العقل العربيِّ، والنِّظام المصريِّ يخدمها أكثر مما تخدم هي نفسها في ذٰلكَ.

فضيحة الغاز

في هٰذا الإطار الاقتصادي، لم تكن الكويز بداية الشراكة المصرية الإسرائيليَّة. أقول شراكة لأنها تتجاوز بكثير العلاقات الاقتصادية بَيْنَ أي دولتين صديقتين. من هٰذه الحميمية الاقتصادية بَيْنَ مصر وإسرائيل، الحميمية التي لا

(٨١). جريدة العربي – القاهرة – ١٩/١٢/٢٠٠٤م.

تمارسها مصر مع أي دولة عربية على الإطلاق، كانت فضيحة بيع الغاز المصري لإسرائيل.

في الاثنين ٢٠٠٣/٨/١٨م «أفادت وسائل إعلام إسرائيلية بأن إسرائيل ستشتري الغاز من مصر وليس من شركة بريتش غاز البريطانية العاملة لحساب السلطة الفلسطينية قبالة شاطئ غزة. وقد اتخذ رئيس الوزراء الإسرائيلي **آرييل شارون** لهذا القرار أمس الاثنين خلال اجتماع مع وزير البنية التحتية ومسؤولين من الشركة الإسرائيلية للكهرباء»[٨٢]...

لهذه المفاوضات علىٰ شراء الغاز المصري بدأت في ظل حكومة **بنيامين نتانياهو** (١٩٩٦- ١٩٩٩). ومع ذلكَ لم تعلن السلطات المصرية شيئاً عن لهذا الموضوع إلا بعد شهر من الإعلان الإسرائيلي، بعد أن لم يعد من الممكن إخفاء الموضوع، فقد «ذكرت نشرة ميدل إيست إيكونوميك سيرفي (ميس) في عددها أنَّ الشركة المصرية العامة للبترول استأنفت المفاوضات مع شركة الكهرباء الإسرائيلية لتزويدها بالغاز بعد ثلاث سنوات علىٰ تعليق لهذه المحادثات. ونقلت النشرة في عددها الذي يصدر بعد يوم الاثنين عن رسالة من رئيس الشركة المصرية **إبراهيم صالح** إلى الشركة الإسرائيليَّة أنَّ شركته مستعدة لتزويد الأخيرة بواسطة إيست ميديترانيان غاز كمبني بسبعة مليارات متر مكعب سنويا علىٰ مدىٰ ٢٠ عاما عَبْرَ خط أنابيبٍ بحريٍّ لنقل الغاز ينطلق من العريش»[٨٣].

(**٨٢**) . الجزيرة نت: **إسرائيل تقرر شراء الغاز من مصر بدل فلسطين** . الثلاثاء ١٤٢٤/٦/٢١هـ الموافق ٢٠٠٣/٨/١٩م. نقلا عن وكالة الأنباء الفرنسية.

(**٨٣**) . الجزيرة نت: **ميس؛ مصر تبحث تزويد إسرائيل بالغاز** . السبت ١٤٢٤/٨/١هـ الموافق ٢٠٠٣/٩/٢٧م. نقلا عن وكالة الأنباء الفرنسية.

الفضيحة علىٰ الرَّغْمِ من كلِّ ما في سبق من فضيحة ليست فيما سبق وإنما فيما لحق. فالاتفاقية التي وقعتها عمليًّا ونظريًّا الحكومة المصرية مع شركات إسرائيلية تقتضي بأن تصدِّر مصر إلىٰ إسرائيل ١,٧ مليار متر مكعب سنويًّا من الغاز الطبيعي لمدة عشرين سنة، والسعر أيها السادة يتراوح ما بَيْنَ ٧٠ سنتاً و١,٥ دولار للمليون وحدة حرارية، علىٰ الرَّغْمِ من أن كلفة استخراجها تزيد عن ٢,٦٥ دولاراً. أي بخسارة تتراوح بَيْنَ ٣٥٠% و١٠٠% تقريباً. هٰذه التجارة التي لم تعرفها البشرية من قبل. وليس هٰذا فحسب بل إن شركة الغاز الإسرائيلية حصلت علىٰ إعفاء ضريبي من الحكومة المصرية لمدة ثلاث سنوات لا ندري إن كانت فقط أم قابلة للتمديد.

النكتة أن القضاء الإداري المصري حكم بوقف هٰذه الاتفاقية، ولٰكنَّ **حسني مبارك** رفض هٰذا الحكم وألغاه عن طريق القضاء المصري ذاته، المحكمة الإدارية العليا.

النكتة، المفارقة، المهزلة، العجيبة الغريبة في إطار الغاز هٰذا ذاته ما نشره موقع اليوم السابع تحت عنوان: «فضيحة تكشفها صحيفة إسرائيليَّة وتحتاج ردًّا فوريًّا من الحكومة... مصر تشترى الغاز الطَّبيعى مرَّة أُخْرَىٰ من إسرائيل بعد تصديره لها بـ ٧ أضعاف ثمنه لمواجهة أزمة انقطاع الكهرباء»[٨٤].

في الإطار والموقع ذاته كتب **محمود محيى**: «فضيحة بكلِّ المقاييس لو ثبت صحة ما نشرته صحيفة معاريف الإسرائيليَّة اليوم الثلاثاء، من أنَّ الحكومة المصريَّة قرَّرت شراء الغاز الطَّبيعي الذى صدرته لإسرائيل بـ ٧ أضعاف ثمنه، إذ

(٨٤) . محمود محيي: **فضيحة تكشفها صحيفة إسرائيلية وتحتاج رداً فورياً من الحكومة**... . موقع/ صحيفة اليوم السابع . الثلاثاء، ٢٤ أغسطس ٢٠١٠م.

كانت اشترته إسرائيل بـ ٢ مليار دولار وستشتريه القاهرة مرَّةً أخرى بـ ١٤ مليار دولار... وذلكَ بسبب أزمة الطاقة الطَّاحنة التي تعاني منها مصر الأيام الجارية ونقص ضخ الغاز الطَّبيعي لمحطَّات توليد الكهرباء»[٨٥].

وفي خطوة مماثلة لصفقة الغز أقر **حسني مبارك** في ٢٠٠٥/٨/٢٠م مشروعاً بمليار دولار لإمداد إسرائيل بالكهرباء. فقد نشر موقع «المصريون» بتاريخ ٢٠٠٥/٨/٢١م عن صحيفة هآرتس الإسرائيلية «أن رجل الأعمال المصري **حسين سالم** وشريكه الإسرائيلي **يوسي ميمان** يخططان لإنشاء مشروع مشترك في العريش بتكلفة مليار دولار لتزويد إسرائيل بالكهرباء». وذكرت الصحيفة «أنَّ الغرض من المشروع هو إنشاء محطة لتوليد الكهرباء بطاقة ١٢٠٠ ميجا واط، أي ما يعادل ١٠ في المائة من الطاقة الإنتاجية لشركة الكهرباء الإسرائيليَّة، التي ستستغل المشروع الجديد في تكوين احتياطات من الكهرباء».

وقد أكَّدت الصَّحيفة «أنَّ المشروع حظي بموافقة **عمر سليمان** مدير عام المخابرات المصرية... وأنَّ الرئيس **حسني مبارك** شخصيًّا ناقش المشروع مع رئيس الوزراء الإسرائيلي **آرئيل شارون** خلال قمتهما في شرم الشيخ».

الكلام في العلاقات بل في الشَّراكة الاقتصاديَّة المصريَّة الإسرائيليَّة مسألةٌ طويلةٌ، وفيها الكثير من التَّفاصيل الخطيرة، ولٰكن من طريف ما نختم به أن نجد خبراء إسرائيليين يعلمون المصريين أصول الزراعة. تحت عنوان «إسرائيل تعلن تدريب خمسة آلاف خريج من شباب مشروع **مبارك**» كتب **صلاح بديوي** في

---

(٨٥) . تذكر معاريف أن اتفاقية بيع الغاز المصري وقعها من الجانب المصرى وزير البترول سامح فهمى، ومن الجانب الإسرائيلى وزير البنية التحتية بنيامين بن إليعازر، حيث نص الاتفاق على أن مصر تصدر لإسرائيل ١,٧ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعى مقابل ٢,٥ مليار دولار أسبوعيًّا.

موقع (المصريون)، بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٧م قائلاً: « أعلن مركز موشاف للتعاون الدولي التابع للخارجيَّة الإسرائيلية أوَّل أمس أنَّ المركز قام بتدريب خمسة آلاف خريج مصري بمشروع **مبارك** الزراعي سواء في مركز ماريوت أو في إسرائيل وقال المركز إنَّ من بَيْنَ المتدربين مزارعات من السيدات فقط ذهبن في وفود لهٰذا الغرض إلىٰ إسرائيل وقد ذهب آخر وفد منهن إلى تل أبيب عام ٢٠٠٢م عندما أوقفت مصر التعاون مع تل أبيب».

وتابع: «تفيد تقارير سياديَّة أنَّهُ خلال العقدين الماضيين وخلال وجود الدكتور **يوسف والي** علىٰ رأس وزارة الزراعة قامت الوزارة بتسفير ما يزيد عن ١٥ ألف فلاحاً متفوقاً ومسئولاً مركزياً ومحليًّا وباحثاً بوزارته وبمعاهدها العلمية إلىٰ تل أبيب وواشنطن، بدعم مالي من الولايات المتحدة وصل إلىٰ مليار دولار تحت ستار التدريب والتطبيع والبعثات العلميَّة وتطوير هياكل وزارة الزراعة»

طبعاً، بغضِّ النَّظر عن مستوى الكفاءة، وعن فاجعيَّة السلوك بحدِّ ذاته، فإنَّ حاجة إسرائيل الماسة، افتراضاً، لاستقطاب المصريين والعرب وزرع جسور التواصل والثقة، تقتضي منها أن تقدِّم تضحيات كثيرة وكبيرة من أجل ذٰلكَ، ولكنَّهَا تفعل العكس، وتؤكد أنَّها لا يمكن أن تكون صديقاً، ولا يمكن الوثوق بها، فكما يتابع **بديوي**: «والذي أثبتت الأيام أنَّهُ كان تخريباً قضىٰ علىٰ مركز البحوث الزراعية ومعاهده وتمَّ السَّطو على السلالات المصرية وجمع كمٍّ هائلٍ من البحوث حول أدق أسرار المجتمع الزراعي المصري إلىٰ جانب إعلان حربٍ بيولوجيَّةٍ وكيماويَّةٍ عليه عبر المبيدات والهرمونات المحرمة».

مصر خط الدفاع الإسرائيلي الأول

بعد كلِّ ما سبق، لم يعد من الصعب القول إنَّ **حسني مبارك** جعل مصر خط الدفاع الإسرائيلي الأول والأهم. وأنه قائد حملة تعريب الصلح مع إسرائيل، وإخضاع العرب إسرائيل وأمريكا. أي علىٰ نحو مباشر بقاء الأمة في حالة ضعف وذلٍّ وهوان وخضوع لأعدائها.

يتوقف الموضوع هنا في حقيقة الأمر، فإنجازات **مبارك** على هٰذا الصعيد أكثر من أن تعد أو تحصى. الشواهد أكثر من كثيرة.

١ . مصر الوكيل الحصري لإسرائيل: ففي يوم الثلاثاء ٢٠٠٥/٤/١٢م نشرت وكالات الأنباء نقلاً عن مصادر إسرائيلية أنَّ «إسرائيل تطلب من مصر أن تضع خارطة طريق تساعد العرب على تطبيع علاقاتها مع إسرائيل»، مصر صارت رسمياً الوكيل الشرعي لإسرائيل. وقد تحدثنا في مثل ذٰلكَ.

٢ . عد الصهاينة أشقاء: علىٰ هٰذا الصعيد نحن أمام أمثلة كثيرة، لا بُدَّ من التعريج على بعضها ولو مروراً سريعاً. ففي أواسط أيار ٢٠٠٧م انتشرت فضيحة نواب حزب **حسني مبارك** الذين طالبوا البرلمان بتشريع قوانين تعفي الصهاينة من رسوم المغادرة، أسوة بالأشقاء العرب!!! لاحظوا الذريعة القانونية: معاملة أعداء الأمة وأعداء مصر علىٰ أساس أشقاء!! الطلب جاء من الحكومة وسانده نواب حزب **مبارك**. رئيس البرلمان **فتحي سرور** لم يأبه للاعتراضات، وقال: «لن أدفع للتعطيل، والقانون تمت الموافقة عليه».

٣ . رفض التحريض على إسرائيل: في ٢٠٠٦/٨/٢٢م نشر موقع الوطن/ القاهرة أنَّ هيئة الرقابة علىٰ المصنفات الفنية رفض فيلماً عن الأمين العام

لحزب الله **حسن نصر الله**، وأرجعت الرقابة السبب إلىٰ أنَّ الفيلم يساعد علىٰ التحريض ضدَّ إسرائيل ويساعد علىٰ زيادة الاحتقان والغضب الشعبي العارم في مصر، وهو ما لا يصب في مصلحة الأمن القومي للدولة ولا يخدم المصالح العليا لها. لأن الأمن القومي المصري عند **مبارك** هو أمن إسرائيل.

٤ . اعتقال من كل ن يريد مهاجمة إسرائيل: في ظلِّ اشتعال الانتفاضة ووحشية الصهاينة في التعامل معها، وحاجة الفلسطينيين إلىٰ التَّعاطف علىٰ الأقل، نجد نظام **حسني مبارك** يعتقل من يتعاطف مع الفلسطينيين. تحت عنوان: «اعتقال ثامن مصري يسعى لمساندة الانتفاضة» كتب موقع الجزيرة نت يوم الجمعة ٢٠٠٢/٥/٣م، «أوقفت الشرطة المصرية شابا كان يحاول التسلل إلىٰ قطاع غزة عبر مركز رفح الحدودي للالتحاق بالمقاتلين الفلسطينيين وتنفيذ عملية فدائية ضد الإسرائيليين. ويعد هٰذا الشاب ثامن مواطن مصري يحاول الالتحاق بالانتفاضة الفلسطينية خلال الأسبوعين الماضيين»[٨٦].

٥ . مبارك يتعهد بمنع وصول الأموال للمقامة الفلسطينية: في ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٦م نشرت مدونة المصريون قول **ماريا تيليريا** المتحدثة باسم المراقبين الأوربيين المسئولين عن الإشراف على معبر رفح الحدودي مساء الخميس الماضي أنَّ الدكتور **صائب عريقات** أبلغ لجنة التنسيق في معبر رفح «أنَّ الرئيس **حسني مبارك** قدَّم التزاماً للرئيس **أبو مازن** بمنع تدفق (وصول) أي أموال من الجانب

(٨٦) . الشاب المصري محمد عزب (٢٠ عاما) اعترف ببراءة في أثناء استجوابه بأنه يريد «التوجه إلى غزة للقتال إلى جانب الفلسطينيين». إنه يحسن الظن بنظام الحكم، وتابع ببراءة أيضاً: «تأثر بما يراه من الاعتداءات الوحشية الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني»، وأنه حاول عبور الحدود إلى قطاع غزة لتنفيذ عملية استشهادية ضد اليهود.

المصري إلىٰ حركة حماس، وأنَّ مصر ستمنع مسئولي حكومة وحركة حماس من استخدام الحدود المصرية لجلب أموال إلىٰ الأراضي الفلسطينية». وتابعت **ماريا تيليريا** «أنَّ مصر قد وعدت بإيداع أيِّ أموال قد تكون مع مسئولين من حكومة حماس فى البنوك المصرية إذا حاولوا المرور بها من معبر رفح الحدودي، مؤكِّدة أنَّ ما قاله الرئيس **مبارك** هو التزام وليس اتفاقاً». الجدير بالذكر هنا أن السلطة الفلسطينية لم تسلم حماس السلطة التي فازت بالانتخابات بقوة، سلمته دولة خالية من أي دولار، ولم تسلمها أي سلطة، وطالبتها بتأمين مالية للدولة فدار قادة حماس يجمعون التبرعات من العالم، ولكنَّ مصر صادرت كل هٰذه الأموال أولها منع **إسماعيل هنية** رئيس الحكومة الفلسطينية من اجتياز معبر رفح وبحوزته مبلغ ٣٥ مليون دولار، كان قد حصل عليها خلال جولته لعدد من الدول العربية والإسلامية التي استمرت أسبوعين.

٦ . ويستمر اعتقال الأحرار: علىٰ الرَّغْمِ من كل المناشدات، وعلىٰ الرَّغْمِ من وجوب تكريم المعتقلين بدل اعتقالهم، فقد استمر اعتقال الكثيرين بتهمة مساعدة الانتفاضة، بتهمة مقاومة الأعداء. في ٢٠٠٤/٥/٣١م وإثر نقل هؤلاء المعتقلين إلىٰ جهة مجهولة تقدمت أكثر من جهة ومنها جمعية حقوق الإنسان، بعريضة إلىٰ النائب العام للإفراج عنهم. وماذا يفعل النائب العام والخاص في بلد عربي وهو سيف الحاكم عدو الشعب؟

٧ . تنقيح خطب الجمعة من العداء لأمريكا وإسرائيل: ويصل الأمر **بمبارك** إلىٰ فرض رقابة على خطب الجمعة لمنع أي إساءة أو إدانة أو هجوم... علىٰ أمريكا وإسرائيل بالضَّرورة. نشرت صحيفة الزَّمان تحت عنوان: تنقيح

خطب الجمعة من التَّحريض على أمريكا، أنَّ الرئيس **محمد حسني مبارك** أصدر تعليمات مشددة تلزم أئمة المساجد بعدم إثارة الشَّارع المصري ضد الولايات المتحدة، فيما لو حدثت الحرب ضد العراق والالتزام بالهدوء. وأضافت المصادر لـ(الزمان) أنَّ الرئيس **مبارك** أبلغ قراره شيخ الأزهر في أثناء استقباله له مؤخراً وأوصاه بتدارس القرار مع شيوخ الأزهر والالتزام به خاصَّة في خطب أيام الجمع. وذكرت المصادر أن «هٰذا القرار استجابة للاحتجاج الأمريكي لدىٰ القاهرة مؤخراً علي قيام بعض شيوخ الأزهر وشخصياته بمهاجمة الولايات المتحدة في خطب الجمعة والأحاديث العامة»(٨٧).

٨ . رفع آيات قرآنية: في ٢٠٠٥/٩/١٢م تدوالت مواقع الإنترنت سابقة خطيرة في التاريخ المصري والعربي وهي الأوامر العليا التي وجهت لمديرية التربية والتعليم بالإسكندرية بنزع كل الآيات القرآنية التي كانت موجودة بمدرسة أم القرى التي زارتها **لورا بوش** الأسبوع الماضي. كما تم تحويل زاوية الصلاة بالمدرسة إلى قاعة للموسيقى خشية أن تقع أعين سيدة البيت الأبيض أو أي من أفراد المخابرات الأمريكية لمرافقين علىٰ هٰذه الآيات. بل تَمَّ خلال زيارة **لورا بوش** للإسكندرية استبدال طاقم المدرسة بالكامل من مدرسين وإداريين وتلاميذ بطاقم آخر، من إحدى مدارس اللغات. وقد سوَّغت **كاميليا حجازي** وكيلة وزارة التربية والتعليم بالإسكندرية ذٰلك يقولها: «إنَّ طاقم المدرسة الأصلي، معظمه سيدات محجبات ومدرسين ملتحين، وهٰذا ما يتعارض مع المفهوم الأمريكي لتطوير التعليم المطبق في ٣٦ مدرسة ابتدائية بالإسكندرية، في إطار ما

(٨٧) . جريدة الزمان: **تنقيح خطب الجمعة من العداء لأمريكا** . العدد ١٤٢٨ . تاريخ ٢٠٠٣/١/٣م.

يسمى مشروع تطوير التعليم بالإسكندرية!!». الذي ترعاه الولايات المتحدة الأمريكية. الولايات المتحدة التي تصنع ديننا الجديد. ومن يفعل ذَلكَ لن يصعب عليه حذف آيات من القرآن ذاته. ترقبوا وكلُّ آت قريب.

٩ . تجفيف منابع الإسلام ليست جديدة: ما كان في الفقرة السابقة ليس إلا تفريعة صغيرة من المشروع الأمريكيَّة لوضع إسلام جديد، ومحاصرة الإسلام الذي بدأ الترويج له عقب أحداث الحادي عشر من أيلول. وكان **حسني مبارك** الأكثر استجابة لهٰذا المشروع وأول من استجاب له. تحت هٰذا العنوان المركب: «مصر تضيق على المدارس الإسلاميَّة»، «شبح ١١ أيلول يظهر في كتب دراسية جديدة»، «مصر: العام الدراسي الجديد يبدأ بالتضييق علىٰ المدارس الإسلامية»[٨٨]. كتب **محمد جمال عرفة** مقالاً غير مطول في كون مصر البيدق الأبرز في تنفيذ المشروع الأمريكي لتجفيف منابع الإسلام. يقول: بدأ العام الدراسي «بوقوع حملة اعتقالات بحقِّ طلاب ينتمون إلىٰ التيار الإسلامي، وتشديد التَّضييق الأمني علىٰ جمعيات تدير مدارس إسلاميَّة». «تمَّ اعتقال عدد من طلاب الجامعات من التيار الإسلامي تحسبا لقيامهم بأنشطة بَيْنَ الطلاب الجدد، وسعيهم لتنظيم مظاهرات ضد العدوان الإسرائيلي علىٰ الفلسطينيين ومخطط غزو العراق». وقد أصدر عدد من مجالس إدارات جمعيات إسلامية بياناً قال فيه: «إنَّ الأمر ليس بعيداً عن الضغوط الأمريكية لتغيير مناهج التعليم في المدارس الإسلامية». وقال البيان «إنَّ قرارات تجفيف منابع الإسلام من خلال هدم مؤسساته متمثلة في أضعاف الأزهر الشريف، وتقليص

---

(٨٨) . محمد جمال عرفة: **مصر تضيق على المدارس الإسلامية** . القاهرة . خدمة قدس برس . ٢٠٠٢/٩/٢٢م.

مناهجه الإسلامية... وقد امتدت لتشمل المدارس الإسلامية الخاصة». بل إنَّ وزارة التربية قررت فرض مقرر «القيم الأخلاقية والوطنية» بدل التربية الإسلامية[٨٩]، التزماً بالخطة الأمريكية. كما أن وزارة الأوقاف قامت «بوضع نظامٍ جديدٍ لتدريب الدعاة وخطباء المساجد يتضمن التركيز علىٰ المناهج الأخلاقيَّة، الفلسفة، ويقلص الكثير من علوم الفقه. أكرر ختاماً، المشروع أمريكي إسرائيلي يخططون لفرضه فرضاً علىٰ العالم العربي والإسلامي كله، وليس مصر، ولٰكنَّ الشجاع المؤمن **حسني مبارك** خير من يبدأ التجريب والتطبيق.

١٠ . أمريكا تغلق مدارس دينية في مصر: ويصل الأمر بالتفريط بالسيادة الوطنية أن تكون أمريكا صاحبة القرار الفعلي في مصر، فالسفير الأمريكي هو الذي يحدد ما يجب فعله، وعلى سبيل المثال، كما نشرت مدونة المصريون بتاريخ ٢٠٠٥/٨/٢٧م قامت السلطات المصرية بهدم مدرسة الجزيرة، المملوكة لأحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بمحافظة الإسكندرية، بالبلدزورات بناء علىٰ قرار السفارة الأمريكية بالقاهرة، علىٰ رغم سلامة جميع إجراءات المدرسة وتراخيصها.

١١ . ومن يحتج على أمريكا يتم ترحيله: وفي أواخر عام ٢٠٠٤م أثارت صور تعرض النساء العراقيات لعمليات اغتصاب من قبل القوات الأمريكية غضب الشعوب العربية التي شعت بالقهر أمام

---

(٨٩) . من الطبيعي أن ينفي المسؤولون في وزارة التربية والتعليم أن يكون هٰذا المنهج الأخلاقي الجديد بديلاً عن كتيب التربية الدينية الإسلامية، وقالوا إنه سيتم تدريسه بجانب التربية الدينية في المرحلة الابتدائية بشكل تجريبي، تمهيدًا لتقييم التجربة في المراحل الأخرى لاحقاً... ولٰكنَّ المؤكد أنَّهُ سيكون بديلاً للتربية الإسلامية، هٰذا هو المرسوم في المخطط الأمريكي الذي لم يعد سرًّا ولا مستوراً.

عجزها عن الثأر بسبب الأنظمة العربية القمعية العميلة لأمريكا... ثارت ثائرة الناس، وفى أول رد فعل ملموس لهذه الصور حاول شاب مصريٌ اقتحام مقر السفارة الأمريكية المدججة بالسِّلاح والحراسة تعبيراً عن غضبه لاغتصاب شقيقاته العراقيات. فتمَّ القبض عليه علىٰ الفور وعلى الفور أصدرت النيابة العامة قراراً بإيداعه مستشفى الأمراض العقلية. صار من يغضب لشرفه مجنون في عرف نظام **مبارك**.

استبدادية قهرية هستيرية

منذ عام ٢٠٠٥م بدأت تفوح روائح الشذوذ في سلوكات بعض الوزراء وخاصة وزير الثقافة **فاروق حسني**. وعندما أعفيت الوزارة وكانت مصر تنتظر الوزارة الجديدة توقع المصريون كلهم، والعرب المتابعون كلهم، أن كل الوزراء يمكن أن يعودوا إلى الوزارة الجديدة إلا **فاروق حسني** من شدة وكثرة الفضائح التي نشرت عنه. **حسني مبارك** أراد أن يقول للجميع: ألستم كلكم لا تريدونه؟ أنا أريده لأنكم لا تريدونه. هو الوحيد الذي تم التجديد له. قصة **فاروق حسني** طويلة قصة طويلة ومعقدة. نلقي عليها ضوءاً صغيراً. في ٢٠٠٧/٩/١٩م نشر **مجدي أحمد حسين** مقالاً صارخاً بعنوان: «في مصر **مبارك** الوزير الشاذ أقوى من مؤسسات النظام والمجتمع». بدأه بقوله: «أشعر بالمهانة عندما أكتب ضدَّ وزير ثقافة مصر، أشعر أنني هبطت إلىٰ الدرك الأسفل لمناقشة موضوع هٰذا الشيء الذي ظهر في مسرحية سكة السلامة، ولكنَّني أشعر بذات المهانة عندما أكتب معارضاً حاكم البلاد، فهٰذا الشخص بلا مواهب ولا قدرات من أيِّ نوع يحكم مصر منذ ٣١ عامًا نائباً للرئيس ٦ سنوات ورئيساً ٢٥ عاماً... يجب أن

نجرؤ جميعاً علىٰ النظر فى المرآة. وكيف أوصلنا حكم **مبارك** إلىٰ هٰذه الحالة المشينة».

يتابع **مجدي**: «نحن أمام وزير شاذ مفروض علينا منذ عشرين سنة. عندما جاء صرخ شيخ المثقفين **عبد الرحمن الشرقاوى** علىٰ جثتي أن يأتي هٰذا الشاذ وزيراً للثقافة فى بلد اسمها مصر. ولٰكنَّ **الشرقاوى** مات وبقي **حسنى** حَتَّى الآن فى موقعه! رئيس الوزراء **عاطف صدقى** تبرأ منه وقال: لقد تقدمت لرئيس الجمهورية بأربع ترشيحات لوزارة الثقافة وكان ترتيب **فاروق حسنى** الرابع ولكن **مبارك** اختاره!! سمعة **فاروق حسني** كانت تسبقه دائماً... عندما جاء إلىٰ الوزارة كان من أهم تصريحاته أنه جاء لمحاربة الغيبيات أي الدين. وطوال عشرين عاماً لم يضيع **فاروق حسني** وقتاً فقد نشر الفجور وتسويغ الشذوذ... هبات تلو هبات، ولٰكنَّ الوزير الشَّاذ كان يخرج منتصراً دائماً وأقوى، مهما كانت جرائمه في مجال الآثار، أو الانحرافات المالية أو الكتب الفاضحة... أو التطاول علىٰ الذات الإلٰهيَّة، أو القرآن الكريم أو الرسول عليه الصلاة والسلام أو عيسى عليه السلام، وفي العيد الألفى تمكن من إقامة حفلة فجور فى سفح الهرم علىٰ أنغام اليهودى الشاذ **ميشيل جار**... ثبت أن **فاروق حسني** أقوى من وزراء الداخلية، ورُبَّما أقوى من **مبارك** نفسه. ويقال إن **فاروق حسني** هو وزير الست، والست هي التي تحميه، وهو من ضمن كوتة الوزراء التابعة لها».

يتابع **مجدي**: «وهو بالتبعية أصبح وزير البيك الصغير. وبالتالي فهو رئيس وزراء المستقبل بعد التوريث. منذ سنوات طويلة أصدر الشعب المصرى بطريقته في المعارضة السلبية بالنكات منشوراً خاصاً تقول النكتة: إنَّ أحد

المسئولين سأل الرئيس لماذا تعين أربع وزراء شواذ مرةً واحدةً. قال الرئيس: هي تجربة وإذا نجحت سوف نعممها. ولٰكنَّ النكتة تحولت إلى حقيقة، ولٰكنَّ بمعنى آخر، إن الشواذ أصبحوا هم الجناح الأقوى في السلطة!!

إن **فاروق حسني** لم يتوقف عن الاستهزاء بالدين بنفسه أو من خلال الشواذ والملحدين الذين جمعهم حوله وأغدق عليهم من أموال الشعب. حَتَّىٰ إنَّ المناضلين اليساريين المتقاعدين رضوا أن يتحولوا إلى خدمٍ عنده، بعد أن لم يبق لديهم من اليسار إلا الالحاد. وهم يؤمنون أن الشذوذ حرية شخصية لا علاقة للمجتمع بها. فى حين أن الشذوذ يسبب مشاكل للوزراء في الغرب حَتَّىٰ الآن... هجوم **فاروق حسني** علىٰ الحجاب ليس هو القضية وحدها إنها آخر سفالاته ضد الله سبحانه وتعالى. فنحن نعلم موقع الحجاب جيداً فى المنظومة الدينية والأخلاقية من دون تهوين أو تهويل. ولكنَّنا هنا أمام استهزاء متعمد بالقرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة. ويثور مجلس الشعب لهٰذه المرة وطني وإخوان، ويتحدث ضده **زكريا عزمي** رئيس البلاط الجمهورى **وفتحي سرور** رئيس مجلس الشعب. ويبدأ الحديث الجدي لأول مرَّة في تاريخ المجلس في سحب الثقة من وزير. ولٰكن كلُّ هؤلاء وقبلهم الشعب المصري لا قيمة لهم عند **مبارك** أو **جمال** أو **سوزان** منفردين أو مجتمعين، فلا ندري من يتخذ القرار في كل مرة».

في القصة ما هو مدهش أكثر. يتابع **مجدي** في تصوير مسلسل ماحدث: «وذهب الشاذ ليعتكف فى بيته، ولهٰذه ليست المرة الأولى، فهو قدم استقالته عندما لم يعجبه الانتقاد الذي تعرض له بسبب محرقة مسرح بني سويف. ولٰكنَّ **مبارك** رفض استقالة الشاذ وتمسك به. وفي هٰذه المرة اعتكف في بيته، والجملة غير متسقة، فمصطلح الاعتكاف يستخدم عادة مع كبار

الزعماء **كالمهاتما غاندى**، أو المرجعيات الدينية الكبرىٰ، وأول مرة نسمع عن اعتكاف شاذ».

ولا تنتهي المهزلة هنا، يتابع **مجدي**: «كان علىٰ الأمة أن تتحرك، كما كانت تتحرك أمة الهند عندما يعتكف **غاندى**، فذهبت وفود المثقفين، علىٰ رأسهم بعض الشَّواذ المعروفين، وكبار الممثلين، وممثلي النقابات الفنيَّة، وتحول بيت **فاروق حسنى** إلىٰ محج لرموز الثقافة، وأصدر مثقفون بيانات الانحياز والتضامن معه... وتضامنت الأحزاب وصحفها وكان للأهالي فضل السبق... وكما تراجع **عبد الناصر** عن التَّنحي، كان لا بُدَّ **لفاروق حسنى** أن يستجيب لرغبات الأمة ممثلة فى الفنان الفلاني والفنانة الفلانيَّة. ولا شكَّ في أنَّ الرئيس المنتخب والمحبوب من ٧٢ مليون مصري قد اتصل به ليأخذ بخاطره، وهو باعتباره يمثل ٧٢ مليون مصري في انتخابات حرة نزيهة وفقاً لشهادة وزارة الداخلية من دون باقي العالمين، فكأنَّ الشعب المصرى كله ثار من أجل الوزير الشاذ».

عاد الوزير وبقيت مشكلة الاعتذار، والحرج الذي وقع به نواب الحزب الوطني الذين وضعوا الاعتذار في كفَّةٍ والاستقالة في الكفَّة الأخرى. يقول **مجدي**: «كانت لعبة الشد والجذب قد وصلت إلىٰ التالي: حلف نواب الوطني بالطلاق والاستقالة إذا لم يعتذر **فاروق حسنى** أن يسحبوا منه الثقة أو يستقيلوا من الحزب الوطنى. وأصر **فاروق حسني** علىٰ أنَّهُ لن يعتذر بل ينتظر الاعتذار من المجلس. وهٰكذا دبر **فتحى سرور** قعدة عرب (أسموها لجنة) حَتَّى لا يعرضوا سمو الوزير الشَّاذ لجلسة المجلس... لم يعتذر **فاروق حسنى**... وانحنى مجلس

الشعب. وعاد **فاروق حسنى** لممارسة مهامه في الوزارة وصوره تملأ كل الصحف في مختلف الصفحات. وقد ثبت الآن أن الوزير الشاذ أقوى من رئيس ديوان الرئاسة ومجلس الشعب ومجلس الوزراء. وستثبت الأيام أقوى من من أيضاً؟!... وعندما انعقد مجلس الوزراء حيث يكون الجلوس بالأقدمية كان علىٰ يمين **نظيف** **يوسف بطرس غالي** وعلى يساره **فاروق حسنى** وكانت صورة معبرة لحالة مصر قبل أن تكون لحالة النظام».

خاتمة

كل ما ذكرنا ليس إلا لمحات من سياسة **حسني مبارك** على مدار سنوات حكمه. ولن نحسب عليه شيئاً قبل سنوات حكمة. ولٰكنَّهُ منطقيًّا الامتداد الطبيعي والتَّاريخي لسياسة **محمد أنور السادات** مثلما كان **السادات** امتداداً لسياسة **جمال عبد الناصر** بالضرورة كما أبنا في الفصلين الخاصين بالأولين.

حسني مبارك عراب الخضوع لإسرائيل هو العنوان الذي قر قراري عليه عندما خطر في بالي أن أكتب عنه منذ أكثر من خمس عشرة سنة، ومع توالي الأيام كان هٰذا خير ما يوصف به. بمثل عنواننا وجدت مقالاً كتبه **حسن غريب** **خليل** من لبنان في عام ٢٠٠٥م، بعد وفي أثناء كتابة معظم مقالات هٰذا الفصل. مقاله حمل عنوان: «**حسني مبارك** كاسحة ألغام عربية أمام المشروع الأميركي»، وعندما نقول المشروع الأمريكي فإسرائيل حاضرة في تصميم المشروع بكل تأكيد. ليس من الضروري أن تشارك هي في التصميم، ولٰكنَّ الضروري أن يكون استمرار بقائها في فلسطين جوهر المشروع الأمريكي.

بدأ **حسن خليل** المقال بقوله: «إنَّ **حسني مبارك** وريثٌ شرعيٌّ وأمينٌ لنظام **أنور السادات**. لقد بدأ الأخير خطوة الألف ميل في مسيرة الاستسلام للمشروع الصهيوني بتدريب وتوجيه وتخطيط عزيزه **هنري كيسنجر**. وتابع **حسني مبارك** تلك الخطوات باتجاه كسح الألغام من أمام مشاريع أعزائه الكثيرين من رؤساء الإدارة الأميركية. وكان أكثرهم خطورة المشروع الذي ينفِّذه **جورج بوش الابن** العزيز الأهم **لحسني مبارك**. فإذا كانت الخطوة التي اتخذها **السادات** في فصل مصر عن الجسم القومي من خلال اتفاقية كامب ديفيد خطيرة، إلاَّ أنَّ الأكثر خطورةً هو الدور الذي لعبه، ويلعبه، **حسني مبارك**».

لن نطيل أكثر من ذَلكَ، فلقد أطلنا بما يكفي، ولكننا أغفلنا الكثير، وفاتنا الكثير. حسبنا أنَّ ما ذكرنا يعطي صورة رُبَّما تكون وافيةً لحاكم حكم بلداً بل أكبر بلد عربي ثلاثين عاماً من خلال هٰذه القناعات والسياسات.

الفصل الرابع

من مرسي إلى السيسي

خنق الأمل في أول الطريق

من الصُّعوبة بمكان القول إنَّ الثَّورة المصريَّة اندلعت بدافع أو حماسة من نجاح الانتفاضة التونسية التي أطاحت بالرئيس التونسي **زين العابدين بن علي** بسرعة يقول بعضهم إنها قياسيَّة(٩٠). المصريون مثل غيرهم من شعوب البلدان العربية في حالة غليان منذ سنوات غير قليلة بسبب سياسة الأنظمة العربية التي راحت تنفضح رويداً رويداً. لهذا يعني أنَّ استعداد الشَّعب المصري للثورة كامن بقوَّة، خاصَّة وأنَّ نظام **حسني مبارك** حمل عَلىٰ كاهله عبء الانكشاف أكثر من غيره من الأنظمة العربية لأسباب جغرافية عَلىٰ نحو خاص. نظام **حسني مبارك** لأكثر من سبب دفع فاتورة استمرار تغطية الأنظمة العربية. ولذلك شهدت مصر ظهور معارضة مبكرة من جهة، وصريحة ومباشرة من جهة ثانية، تمثلت أخيراً بحركة كفاية التي يمكن القول إنها كانت مفتاح الشحن الثوري.

(٩٠) . لا نريد أن نتبسط هنا في توصيف ما حدث في تونس وحتى مصر إن كان ثورة أم انتفاضة، فتلك مسألة تستحق وقفة خاصة وربما مطولة، قد نعود إليها في غير هذا المكان.

الشَّرارة كانت تونس، ولٰكنَّ الشَّحن موجودٌ في مصر وفي الدول العربيَّة كلِّها، ورُبَّما من دون استثناء. اندلعت الثورة المصرية ضدَّ **حسني مبارك** في ٢٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠١١م. وعَلىٰ نحوٍ غير متوقَّع سقط نظام **حسني مبارك** خلال ثمانية عشر يوماً. لم يصدق المصريون ذٰلكَ، وكثيرون لم يصدقوا هٰذا السُّقوط السَّريع لأبرز أعمدة أمريكا وإسرائيل في المنطقة. وتعالت صيحات المصريين بأنَّ ثورتهم أعظم ثورة. لم يدركوا ما حِيك لهم في ليل مبهم. وعاشوا مخدوعين فيما حيك لهم، وأصروا عَلىٰ أن يظلوا مخدوعين عَلىٰ رغم وضوح الحقيقة.

سقط **حسني مبارك**، فيما يفترض، وحدثت انتخابات، خمس استحقاقات انتخابية فاز بها الأخوان المسلمون كلها. وصار رئيس الجمهورية من الأخوان المسلمين هو الرئيس **محمد مرسي**. ولٰكنَّ **مرسي** لم يصمد. تم الانقلاب عليه وعزله واعتقاله وحبسه ومحاكمته عَلىٰ مسلسل اتهامات بدأ ولن ينتهي.

لماذا تَمَّ الانقلاب عليه وعزله؟

قبل الدخول في تحليل الحدث، سأبدأ من بداهاتٍ مليئةٍ بالسُّخرية تداولتها صفحات التواصل الاجتماعي تحت عنوان:

«رئيس غير صالح للرئاسة»

وتحت عنوان: «مثل هٰذا الرئيس لا يناسب عالمنا العربي يجب عزله وقد تَمَّ عزله». أمَّا لماذا فلأنَّهُ:

أوَّلُ رئيسٍ مصريٍّ وعربيٍّ منتخبٌ انتخاباً فعليًّا.

أوَّلُ رئيسٍ مصريٍّ مدنيٍّ.

أوَّلُ رئيسٍ مصريٍّ دكتوراه.

أوَّلُ رئيسٍ مصريٍّ موكبه لا يعطِّل حركة المشاة والمرور.

أوَّلُ رئيسٍ مصريٍّ يمنع نصب الطُّرق الصُّوفيَّة.

أوَّلُ رئيسٍ مصريٍّ يسمح بظهور مذيعة أخبار «محجبة» في التلفزيون الرَّسميِّ منذ ٥٢ سنة.

أوَّلُ رئيسٍ ابنه يحصل عَلىٰ أقلِّ من ٩٠ بالمئة في نتائج الثانوية العامة.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يأتي بنسبة أقل من ٩٥ بالمئة.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ مدنيٍّ ينقلب عَلىٰ العسكر.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ حافظ للقرآن.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ ينتمي إلى تيَّارٍ إسلاميٍّ.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ تزوَّر كلمته. (كما حصل في طهران).

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ حاصل عَلىٰ شهادة دراسيَّة عليا حقيقيَّة من الخارج.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يسمح لوسائل الإعلام المختلفة بانتقاده، وقد كان الإعلاميون الذي انتقدوه عَلىٰ درجة أوقح من الوقاحة وقلة الأدب.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يرفع قضايا نظاميَّة ضدَّ خصومه ولا يدكُّ بهم في السجون من دون تحقيق أو تهمة.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يسلِّم عَلىٰ الضابط الذي سجنه ولا يعاقبه.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يرسب في عهده ابن مدير الكليَّة الحربيَّة في اختبار تقديم الضباط.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يخطب بَيْنَ الثوار.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يمنع تعليق صوره في مؤسسات الدولة.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يصلي كلَّ جمعة في مسجد جامع(٩١).

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ لا تتعطَّل حركة السَّير من أجل أن يصلِّي في الجامع(٩٢).

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يسكن في شقة إيجار في عمارة سكنية.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يسافر أهله عَلىٰ نفقته بالدرجة السياحية(٩٣).

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يرفض علاج أخته بالخارج عَلىٰ نفقة الدولة.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يشتغل ابنه بالخارج مثل أي مواطن(٩٤).

لذَلك كله، كما يعلق بعضهم ساخراً، لم يصمد **محمد مرسي** أمام حركة الجماهير التي لم تستطع الانسجام معه، ولم تستطع تقبله. وخلال أيَّام إن لم يكن ساعات انقلب الرأي العام عليه وعَلىٰ كلِّ من نظر إليه باحترام. وكان الانقلاب الذي سموه لفترة ثورةً ثانيةً، وسموه استكمالاً للثورة... ثمَّ لم تعد ثورة، ولم تكن في مصر قبلها ثورة وإنما كان حركة دنيئة ومؤامرة من الأخوان أطاحت بالدَّولة التي كان يرأسها **حسني مبارك، والسيسي** أعاد الأمور إلى نصابها.

(**٩١**) . قادة العرب كلهم من دون استثناء لا يعرفون من الصلوات إلا صلاة العيدين.

(**٩٢**) . من شاهد موكب حسني مبارك الذي يبلغ آلاف السيارات لدى تنقله يدرك معى هذا الكلام. عندما كان يصلي مبارك صلاة الجمعة كان أكثر من ثلاثة ملايين مصري يفقدون القدرة عَلىٰ صلاة الجمعة بسبب قطع الطرقات ومنع الحركة، من يتذكر ذَلكَ يدرك معنى هٰذا الكلام، وكذَلكَ شأن مواكب قادة العرب كلهم تقريباً.

(**٩٣**) . عَلىٰ الرغم من ذلك فإن وسائل الإعلام المصرية قلبت هذه الحقيقة زعمت أن مرسي حجز طائرة كاملة عَلىٰ حساب الدولة من أجل سفر عائلته إلى الغردقة، وأنه حجز فندقاً كاملاً من أجلهم عَلىٰ حساب الدولة وهٰذا كذب أيضاً... وأن الموسم السياحي قد تأثر بسبب هٰذه الرحلة الاستجمامية لمدة أيام.... عَلىٰ أساس أن مبارك لم يكن يحجز كل أسطول الطيران وكل الفنادق المحيطة بمكان إقامته.

(**٩٤**) . ابنه طبيب يعمل في السعودية، وظل يعمل فيها ولم يعد مصر ليستثمر كون أبيه صار رئيساً.

من قبل أن يتَّهمَ أحدٌ الفريق **عبد الفتاح السيسي** بالتَّخطيط مع قوى خارجيَّة للانقلاب عَلىٰ فوز الأخوان الشرعي أعلن في ثاني خطابٍ له فيما أذكر قائلاً: «لم نتلق تعليمات من أيِّ أحد، لم ننسق مع أيِّ أحد، لحماية بلدنا»، هٰذا الخطاب الذي تكرره محطَّات التلفزة الفضائيَّة كثيراً.

لا نريد القول إنَّهُ خطابٌ استباقيٌّ لوضع حدٍّ لما قد يتمُّ اكتشافه أو استنتاجه من وجودة قوى خارجيَّةٍ مخطِّطةٍ ومدبرةٍ وداعمةٍ للانقلاب، حسبنا أنَّ ثلاث دول عربيَّة في السَّاعات الأولى من الانقلاب تبرَّعت له باثني عشر مليار دولار دعماً واضحاً صريحاً للانقلاب. لا أحد يجهل أنَّ هٰذه الدول هي السعودية والإمارات والكويت. وحسبنا أنَّ زعماء دولٍ زاروا مصر وباركوا الانقلاب وكانوا مقاطعين لمصر منذ انتصار الثورة، ولا أحد يجهل أنَّ ملك الأردن **ومحمود عباس** عَلىٰ رأسهم وأسرعهم في ذٰلكَ... أي إنَّهم باركوا إسقاط حكم الأخوان.

تنحي مبارك وسقطت الثورة

حسناً سنسير مع **السيسي** عَلىٰ أساس أنَّهُ لم يتلقَّ تعليماتٍ من أيِّ أحدٍ، ولم ينسق مع أيِّ أحدٍ لإسقاط حكم الأخوان، أو لحماية مصر عَلىٰ حدِّ قوله، أي لحماية مصر، ولٰكن، في حقيقة الأمر، لحماية مصر والأنظمة العربية من نجاح حكم الأخوان في السلطة.

يرى الكثيرون وهماً أنَّ الانقلاب عَلىٰ حكم الأخوان، وإسقاط حكم الأخوان كانت نتيجة لإخفاقهم في السلطة، أو لكذبهم في وعودهم، أو لأنَّ **محمد مرسي** وعد بما سُمِّيَ خطة المئة يوم ولم ينجح فيها، أو بسبب الإعلان الدستوري، وقيل بسبب أخونة الدولة... كلُّ ذٰلكَ لا أساس له من الصِّحة، وما

ذَلكَ كلُّه إلا الأدوات الظاهرة للحقيقة المضمرة الجاهزة سابقاً قبل نجاح الأخوان فيما لو نجح الأخوان في الوصول إلى السلطة.

قال **السيسي** غير مرَّة، وكرَّر أبواق الانقلاب أكثر من مرَّةٍ: «الأخوان استخدموا الديمقراطية للوصول إلىٰ الحكم».

غريب!! الديقراطية بالعادة تستخدم لتقشير الثوم والحفر عَلىٰ الخشب، فلماذا هٰذا الغباء من الأخوان؟ أيجعلون الديمقراطية أداة للوصول إلى الحكم؟

يا عيب (الشوم)؟

هل يوجد أكثر من هٰذا العبط والهبل والغباء؟

هل يوجد أكثر من ذَلكَ اعتداءً عَلىٰ الديمقراطيَّة؟

الأخوان الإرهابيون استخدموا الديمقراطيَّة للوصول للحكم. أمَّا **السيسي** الوطني الحر فقد استخدم الدبابة والرصاص الحيَّ ضدَّ العزَّل ليصل إلىٰ الحكم!!!!

إنَّ الانقلاب انقلابٌ عَلىٰ حكم الأخوان لا عَلىٰ شخص **محمد مرسي**. هٰذا الانقلاب عَلىٰ حكم الأخوان سابقٌ عَلىٰ فوزهم وليس لاحقاً عليه. هٰذا ما حدث بالضَّبط. والدَّليل عَلىٰ ذَلكَ أنَّ الثَّورة المصريَّة خُطِفَتْ وهي في ذروة تصاعدها خوفاً من وصول الإسلام السياسي إلىٰ السلطة وصولاً ثوريًّا بشرعيَّةٍ ثوريَّةٍ تجعل من المتعذَّر أو الصَّعب عَلىٰ الأقلِّ التعامل معها إلا من خلال شرعيتها الثوريَّة.

لن نتحدث عن زيارة رئيس المخابرات العسكرية اللواء **عبد الفتاح السيسي** إلىٰ أمريكا قبل تنحِّي **مبارك** بنحو الأسبوع وعودته قبل التَّنحي بليلةٍ واحدةٍ. ولن نتكهن بما دار من محادثات فليس لدينا أيُّ دليل عليها. وسنفترض

تسليماً أنَّهُ لا علاقة لهٰذه الزِّيارة بشيء مما حدث بعد ذٰلكَ، وأنَّ زيارته كانت استجماميَّة فقط. كل ذٰلكَ لن يغيِّر في حقيقة ما حدث.

عندما أدرك نظام **حسني مبارك**، بارتباطاته التي لا يجهلها كثيرون، أنَّ الثَّورة آخذة في التَّصاعد، وأنَّ احتمالات انتصارها غير قليلةٍ، سيَّما وأنَّ الربيع العربي في أوله ولم تُعرف بعد آفاق تطوره. كان القرار الآتي: تنحي **حسني مبارك**، بضمانات أو بغير ضمانات لا يعنينا ذٰلكَ. وبقاء النِّظام ببنيته كاملة لخطف الثورة والسيطرة عَلىٰ الوضع لدى أيِّ انحرافٍ عن المسار. استلم المجلس العسكري السُّلطة بصلاحيات تشريعيَّة. مطمط المجلس في انتقال السلطة إلىٰ الثورة رويداً رويداً من أجل برود الروح الثورية، ضبط إيقاع المرحلة التالية بهدوء وبرود، من خلال مراقبة أيِّ تحول وانعاكاسته، ودراسة الإجراءات اللازمة قبل فوات الأوان.

هل كانت أمريكا وإسرائيل حاضرتان في هٰذا المخطط؟

لا نستطيع تأكيد ذٰلكَ ولٰكنَّ لا يستطيع أحد أن يدحضه. ولٰكنَّ بعض الدول العربية كانت حاضرةً بقوَّةٍ في هٰذا المخطَّط، والدَّليل عَلىٰ ذٰلكَ، إذا لم يكن لدينا أيُّ دليلٍ، هو طريقة حضورها في المشهد المصري بعد فوز الأخوان. ولٰكنَّ الحقيقة التي كشف عنها وزير الدِّفاع الأمريكي **روبرت چيتس** هي أنَّهُ «تلقى مكالماتٍ شخصيَّة من عدد من زعماء دولٍ خليجيَّةٍ، وضغوطهم المبكرة لمنع الإطاحة بنظام **مبارك**، والحيلولة دون وصول الإسلاميين للحكم»(٩٥).

(٩٥) . مفكرة الإسلام: **تفاصيل الضغوط الخليجية لمنع سقوط نظام مبارك تخوفًا من الإسلاميين** . موقع مفكرة الإسلام . السبت ١٨ يناير ٢٠١٤م.

هنا ينهض التَّصور الذي أعلنا عنه غير مرَّةٍ من أنَّ مخاوف الأنظمة العربيَّة من وصول الإسلام إلى السلطة رُبَّما تفوق مخاوف الغربيين. وهٰذا **چيتس** يعلن ذٰلكَ بصيغة من الصيغ. وتابع **چيتس** موضحاً أكثر، رُبَّما لتلميع صورة الولايات المتحدة وتبرئتها من معادة الإسلام وإظهار حقيقة أنَّ من ينفخ في نار محاربة الإسلام والإسلاميين هم القادة العرب، قال: «إنَّ حكَّام الدول الخليجيَّة عبَّروا عن قلقهم من موقف واشنطن من الرئيس المخلوع **حسني مبارك**، وعدم دعمها له بما يكفي. وحذَّر مسؤولو الخليج من تحول مصر إلى نسخةٍ سنيَّة من إيران إذا ما سقط نظام **حسني مبارك** ووصل الإخوان المسلمون لسدة الحكم»(٩٦).

من غير المتوقع أبداً أن لا تكون إسرائيل حاضرةً عَلىٰ الخطِّ السَّاخن من أجل الغرض ذاته، فقد أضاف **چيتس** في كتابه: الواجب، أنَّهُ «تواصلت رنَّات تليفونات البيت الأبيض من تل أبيب طالبةً من الرئيس الأمريكي التَّمهل والوقوف بجانب حاكم مصر». ويقول إنَّ **نتنياهو** قال لأحد مستشاري **أوباما**: «لا أعتقد أنَّ الرئيس **أوباما** يعرف ما ينتظره»، وأكَّد **نتنياهو لأوباما** «ضرورة الوقوف مع **مبارك** مهما حدث»(٩٧).

هٰذا يعني أنَّ أنظمة عربيَّة وإسرائيل وأمريكا كانوا حاضرين في مشهد خطف الثَّورة المصريَّة والانقضاض عليها والتَّربص المناسب لأيِّ تداعيات غير مقبولة، وعَلىٰ رأس هٰذه التَّداعيات ورُبَّما وحدها هو فوز الإسلاميين بالسلطة وفي مصر الأخوان تحديداً كونهم القوة الإسلامية الأبرز. وأكرِّر هنا ليس الخوف

(٩٦) . المصدر السابق . ذاته.

(٩٧) . المصدر السابق . ذاته.

من الإسلاميين كونهم عنصريين أو فاشيين أو إقصائيين أو ما إلىٰ هناك من اتهامات وادعاءات وإنَّما خوفاً من نجاحهم شبه المؤكَّد إن لم يكن مؤكَّداً.

عَلىٰ هٰذا الأساس كان الانسحاب الهادئ **لحسني مبارك**، وتمَّت ترتيبات الانتقال الامتصاصي للثورة. ولذلك لم يعد من المستغرب أن نجد أكثر المرشحين للرئاسة كانوا من رجال نظام **حسني مبارك**، بل كان بعضهم كبار القادة في نظامه:

. اللواء **عمر سليمان** نائب رئيس الجمهورية، رئيس المخابرات.

. الفريق **أحمد شفيق** رئيس الوزراء الأخير في نظام **مبارك** المتهم بالكثير من تهم الفساد.

. **عمرو موسى** وزير خارجية **حسني مبارك** سنوات كثيرة، وأمين الجامعة العربية.

إنَّ وجود هٰؤلاء وحدهم بَيْنَ المرشحين يعطي مؤشراً خطيراً عَلىٰ مأساة الثورة المصرية، أيُّ ثورة هٰذه وهٰؤلاء هم مرشحو الرئاسة بعد انتصار الثورة؟ هٰذا السُّؤال سيبقى مهما بلغ هؤلاء من الأمانة والنزاهة. والذي يزيد الأمور تعقيداً هو فوز **أحمد شفيق** مناصفةً مع **محمد مرسي** في الدور الأول، الأمر الذي استدعى إعادة الانتخابات في جولةٍ ثانيةٍ يفوز فيها **محمد مرسي** بفارق ضئيل عن **أحمد شفيق!!!**

الأمر أمر المصريين كما سيقول الكثير وخاصَّة من المصريين. هٰذا صحيح، ولٰكنَّ المنطق هو الذي يأبىٰ تقبل هٰذا التَّناقض الصَّارخ وليس الانتماء ولا الدين.

عَلىٰ أيِّ حال، هنا صار من السَّهل أن نفهم السَّبب الذي اقتيد الأخوان المسلمون به إلى التَّصريح بعدم الترشح للرئاسة إذا فازوا بالبرلمان. لا أطيل في ذَلكَ ولٰكنَّ لا بُدَّ من توضيح في هٰذه المسألة. عندما أثارات بعض الأطراف التي لا أتهمها بشيءٍ إلا بأَنَّهَا لا علاقة لها بالديمقراطيَّة(٩٨)، مسألة التخوف من فوز الأخوان بالبرلمان والرئاسة... هنا قدَّم الأخوان بادرة حسن نية بأنَّهم لن يترشحوا للرئاسة إذا فازوا في البرلمان إتاحة لمشاركة الجميع في السلطة، وهٰذا غباء غير مسوَّغٍ. ولٰكن كان ذَلكَ عَلىٰ أساس أن لا يترشح رموز النِّظام السَّابق للرئاسة. هٰذه النقطة التي تجاهلها المنتقدون جميعهم. ولٰكن عندما ترشح أبرز رموز النِّظام السَّابق للرئاسة قدموا مرشحهم. والسؤال الذي يجب أن يفرض ذاته كيف لثورة أن تسمح لكلِّ رموز النظام الذي ثارت عليهم بأنهم يرشحوا أنفسهم للرئاسة، ومكانهم الطَّبيعي هو الاعتقال والمحاكمة الثورية لا العادية؟! إذا كانت كل هٰذه الرموز طليقة حرة فلماذا قامت الثورة إذن؟ هل الفساد والخلل فقط في شخص **حسني مبارك**؟ هٰذا وحده يسقط عن ما كان في مصر أي صلة بالثورة.

الدوله كلها ضد الرئيس مرسي

الخيوط كلها كانت محبوكة بدقَّةٍ بالغةٍ في نظري. والذين يظنون أنَّ إدارة **أوباما** كانت مُحْرَجَةً أو لا تعرف ماذا تفعل في وقوفها مع الثورة مخطئون. لقد ذكر **روبرت چيتس**(٩٩) في كتابه أنَّ «**أوباما** لم يرغب في إهانة حليفٍ رئيسٍ وتاريخيٍّ للولايات المتحدة؛ لما في هٰذه الخطوة من رسالةٍ سلبيةٍ لحلفاء واشنطن»،

---

(٩٨) . أي ديمقراطية هذه التي تشترط عَلىٰ الحزب أن لا يترشح هنا إذا نجح هنا؟

(٩٩) . مفكرة الإسلام: **تفاصيل الضغوط الخليجية لمنع سقوط نظام مبارك تخوفًا من الإسلاميين** . موقع مفكرة الإسلام . السبت ١٨ يناير ٢٠١٤م.

وعنىٰ بذٰلكَ **حسني مبارك**. وهو لم يقصر في حمايته وضمان سلامته من خلال الإجراءات التي سبق الكلام فيها. وفوق ذٰلكَ فإنَّ الولايات المتحدة والغرب لا يمانع من الاطلاع الحقيقي عَلىٰ رأي المجتمع العربي والإسلامي وموقفه من خلال تجربةٍ ديمقراطيَّةٍ حرَّةٍ فعلاً، ولذٰلك كان سحب رأس النظام المصري وترك الأمر للتجربة مع المحافظة عَلىٰ الإمساك بالخيوط.

نجح حزب الحرية والعدالة في الانتخابات البرلمانيَّة والانتخابات الرئاسيَّة. ولٰكنَّ مفاصل السُّلطة كلها كانت بيد نظام **حسني مبارك**. ذهب **حسني مبارك** وبقي كلُّ شيءٍ كما هو. هنا تسقط كلمة ثورة عما حدث في مصر، ولا يجوز لأحد أن يسميها ثورة. ولذٰلك لم ينجح أبداً **محمد مرسي** في إدارة شؤون الدولة، لأنَّهُ لم يكن يتحكَّم بشيءٍ أبداً من أمور الدولة. لقد أعلن أحد ضيوف الاتجاه المعاكس في منتصف عام ٢٠١٣م تقريباً أنَّ **محمد مرسي** لم يكن يتحكَّم بأكثر من حرسه الشَّخصي. وبعد الانقلاب بنحو ثلاثة أشهر صرَّح وزير الداخليَّة في حكومته وحكومة **السيسي** أنَّهُ رفض أوامر **محمد مرسي** بتأمين الحماية للمحافظين. ولا نعدُّ ولا نحصي لأنَّهُ بالكاد يمكن أن تجد مؤسسة أو إدارة متعاونة مع رئاسة **محمد مرسي**، في حين كانت جماعة الأخوان تسعىٰ بأيديها وأرجلها في المدن والقرى والمحافظات لإنجاح السلطة... لقد كان واضحاً بعد أقلِّ من شهرين أنَّ هناك مساعٍ مخطَّطةٍ مبرمجةٍ لإسقاط حكم **محمد مرسي** تتصاعد رويداً رويداً...

لا نريد أن نطيل في التَّعليق والتَّوضيح، ولٰكنَّ الذي لا يمكن إلا قوله إنَّهُ لا يمكن في أيِّ بلدٍ من العالم أن يحاسب الحزب الحاكم أو الرئيس عَلىٰ وعوده الانتخابيَّة بعد شهرين أو ربع سنة أو نصف سنة من فوزه في الانتخابات!

النِّظام المصري الذي خطف الثورة قبل أن تنتصر وحافظ عَلىٰ كينونته وتمترس بها حَتَّىٰ ينقلب عَلىٰ الأخوان إذا فازوا بالسلطة بدأ حربه بعد أقلٍّ من شهرين عَلىٰ استلام السلطة؛ بدأت الحرب بذريعة عدم النجاح في خطة المئة يوم الأولى التي وعد بها **مرسي** إذا فاز في الانتخابات رئيساً لمصر. «تعهد **مرسي** فيها بحلِّ خمس مشاكل يوميَّة في حياة المواطن المصري وهى إعادة الأمن والاستقرار، ضبط المرور، توفير الوقود، تحسين رغيف العيش، وحل مشكلة القمامة وتكوين مؤسسة الرئاسة من نواب ومساعدين ومستشارين عَلىٰ أن تشمل القوى الوطنية كافة... وزيادة معاش الضمان الاجتماعي ومضاعفة المستفيدين... وتخفيف أعباء الأسرة المصرية في نفقات التعليم وتطوير التعليم والبحث العلمي وتحسين أوضاع المعلمين وأستاذة المعاهد والجامعات...وتعهد بعدم المساس بحرية الإعلام وأنه لن يقصف قلماً أو يمنع رأياً أو يغلق قناة أو صحيفة في عهده مع مراعاة القانون وميثاق شرف المهنة فيما بَيْنَ الإعلاميين...»[١٠٠].

كانت كلُّ مؤسَّسات الدَّولة تقف عائقاً أمام النَّجاح في أيِّ بندٍ من بنود الخطة، ناهيكم عن أنَّها تحتاج فترةً رئاسيَّة كاملةً في أقل تقدير[١٠١]. إلىٰ جانب الاعترفات الصَّريحة فيما بعد، لدينا عَلىٰ أرض الواقع الشَّواهد الفعليَّة عَلىٰ ذَلكَ. ومن الاعترفات الصريحة بأنَّ الدَّولة كلَّها كانت تقف ضدَّ **مرسي**، وتعمل عَلىٰ إخفاقه، وعدم السماح له بالنجاح اعتراف اللواء **ثروت جودة**؛ وكيل جهاز المخابرات العامة السَّابق، بأنَّ الجهاز لم يمد الرئيس **محمد مرسي** بأيِّ معلومةٍ

---

(١٠٠) . مصطفى الرماح: **خطة الـ١٠٠ يوم للدكتور محمد مرسى عقب توليه الرئاسة** . ضمن صحيفة صدى البلد . الأحد ٢٠١٢/٦/٢٤م.

(١٠١) . لقد ورث الرئيس مرسي تركة ستين عاماً من الفساد وتأصيل الفساد واستشرائه في كل بنى الدولة.

واحدةٍ صحيحةٍ طوال فترة حكمه. وتابع كيل المخابرات السَّابق في حوار مع الوطن قائلاً: «المخابرات العامة المصرية لم تعط شيئًا حقيقيًّا **لمرسي** قولًا واحدًا فاصلًا»(١٠٢).

وكان قبله وزير الداخلية المصري اللواء **محمد إبراهيم** صرح بمثل ذَلكَ وأخطر أكثر من مرَّة، منها مثلاً قوله، في آذار ٢٠١٤م، في لقاء تلفزيونيٍّ بأنَّ **مرسي** طلب اعتقال الإعلاميين، عَلىٰ حد زعمه إعلاميين من دون تحديد، وقال ولٰكنَّني رفضت، وأمرت بحماية كلَّ من يحمل بطاقة تمرد(١٠٣)!!! ما هٰذا؟ وماذا يعني ذَلكَ؟

وصرح أيضاً بوضوح أنَّ وزارة الداخلية رفضت تنفيذ تعليمات **مرسي** بالمطلق، وضرب مثالاً بأنَّ الرَّئيس **مرسي** طلب تأمين استلام المحافظين الجدد لمهامهم ولٰكنَّه رفض تأمينهم... وحدثت فتنة الموجهات ضد دخول بعض المحافظين إلى مكاتبهم.

وغير ذَلكَ كثيرٌ مما يصعب إحصاؤه من الممارسات التي قامت بها السلطات العسكرية والأمنية والإعلامية والسياسي... عَلىٰ أيِّ حال، في ٢٠١٤/١٠/٢٩م حكم القضاء العسكري بالسجن لمدة سنة عَلىٰ اللواء **ثروت جودة** بتهمة نشر أخبار تمسُّ الأمن القومي عَلىٰ خلفيَّة تصريحه بأنَّ جهاز المخابرات لم يمدَّ الرئيس **محمد مرسي** بمعلومة صحيحة في أثناء تولِّيه

---

(١٠٢) . نقلاً عن مفكرة الإسلام: **وكيل المخابرات السابق: هكذا تآمرنا عَلىٰ مرسي لإسقاطه** . الأربعاء الأربعاء ١٧ أيلول / سبتمبر ٢٠١٤م.

(١٠٣) . قال ذَلكَ في لقاء أجراه معه الصحافي مصطفى بكري في برنامج حقائق وأسرار يوم الجمعة ١٤ آذار/ مارس ٢٠١٤م.

الرئاسة[١٠٤]. ولٰكن لم ندر لماذا كوفئ اللواء **محمد إبراهيم** عَلىٰ تصريحات أشد خطورة من هٰذا التصريح؟!

وقد كان واضحاً أن هناك أشياء في الخفاء دفعت بعضهم للتَّصريح بذٰلكَ كما فعل الدكتور **حمدى حسن** الذي وصف: «اعتراض بعض المتظاهرين عَلىٰ دخول المحافظين الجدد لمقارٍّ عملهم بالمحافظات بأنَّهُ جريمةٌ يعاقب عليها القانون»[١٠٥]، واستنكر تخاذل قوات الأمن فى توفير الحماية للمحافظين والسماح لهم بتأدية عملهم. وأضاف في تصريحات خاصة لـ(اليوم السابع) تعليقاً عَلىٰ تدخل أعضاء من الجماعة لتمكين المحافظين من الدخول لمقرِّ محافظاتهم والاشتباك مع المعارضين الذين أعلنوا اعتصامهم أمام تلك المقرات بأنَّ «هناك من يعطى غطاءً سياسيًّا وإعلاميًّا للبلطجيَّة الذين يعترضون عمل المحافظين». وقال: «سياسة الإخوان حَتَّى الآن تعدُّ أنَّ الحكومة مسؤولة فى حالة حدوث أيِّ تعدِّي، وتخاذلها سيدفع الأحداث لغير ذٰلكَ»[١٠٦].

ثمَّ جاءت أزمة الإعلان الدستوري التي أقامت الدُّنيا ولم تقعدها. هنا نحن أمام مهزلة حقيقة، أمام فجور فاضح، وعهر واضح. الإعلان الدستوري الذي أصدره **مرسي** صدر من رئيس منتخب وَفْقَ الدستور، وضمن الحقِّ الدستوري له، وليس فيه ما يسيء... ومع ذٰلكَ قامت الدُّنيا ولم تقعد بسببه. في حين أنَّ قائد انقلاب، ورئيس انتقالي يصدران إعلانات دستورية تخرق وتخترق الدساتير

---

(١٠٤) . نقلا عن الجزيرة مباشر . الأربعاء ٢٩ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٤م.

(١٠٥) . راجع: اليوم السابع . ٢١ حزيران/ يونيو ٢٠١٣م.

(١٠٦) . راجع: اليوم السابع . ٢١ حزيران/ يونيو ٢٠١٣م.

والديمقراطية تهلل لها وسائل إعلام النِّظام المصري نفسه التي كانت تهاجم الرئيس المنتخب!!!

وعندما تراجع عن الإعلان الدستوري افْتُلعت أزمة القضاء؛ القضاء الذي برَّأ الرَّئيس المصري المخلوع **حسني مبارك** ورموز نظامه ويُحاكم الرئيس **مرسي** بتهمة التَّخابر مع حماس!!!! التَّواصل الحميم **لمبارك** مع إسرائيل وطنيَّةٌ وتواصل **مرسي** مع حماس خيانةٌ للوطن!! هل هناك أعجب من ذَلكَ؟ وفي ظلِّ ذَلكَ كلِّه كان افتعال أزمة سيناء؛ الأنفاق... وأخيراً كان الانقلاب باسم تلبية مطالب الجماهير. وكان اعتقال كل أعلام الأخوان وأنصار الأخوان وأنصار أنصار الأخوان، وإغلاق كل المحطات التلفزيونية التي يمكن أن تتعاطف مع الأخوان في السَّاعة الأولى من الانقلاب... ثمَّ حملة شيطنة الأخوان إلى حدِّ عدهم شعباً آخر، بل وصل الأمر ببعضهم إلى عدهم أجانب، دخلاء عَلىٰ الوطن!!

كلُّ ذَلكَ كان وفق مخطَّطٍ مدروسٍ مبرمجٍ، ليس أبداً تطوراً طبيعيًّا للأحداث كما يوحي الكثيرين أن يصوروا. تسلسل الأحداث وطبيعتها من دون أيِّ أدلة أو قرائن أخرى يوحي بذَلكَ بل يؤكِّده. وما ذكرنا ليس إلا مقتضى السياق لأنَّ الحقائق التي تستحقَّ الذِّكر كثيرة جدًّا، وتستغرق الكثير من الجهد، يمكن تتبعها في أكثر من مكان ومن أكثر من مصدر، حسبنا الاستقراء المنطقي للأخبار التي تتداولها كلُّ وسائل الإعلام لا وسيلة متحيزة للأخوان أو ضدَّ حكم العسكر. ولذَلك لا عجب أبداً في أن يعلن أمين الجامعة العربية **نبيل العربي** في مطالع عام ٢٠١٤م بكلِّ صراحةٍ ووضوحٍ لا يفترق عن الوقاحة قائلاً: «إن حركة ثلاثين حزيران/يونيو (أي الانقلاب) ضربت في الصَّميم المشروع

الإسلامي»[١٠٧]، وكي يغطِّي محاربة الإسلام والمشروع الإسلامي بورقة التوت أضاف: «المشروع الإسلامي الذي تقوده تركيا»، وكأنَّهُ يوحي بأَنَّهُ لو كان مشروعاً إسلاميًّا بقيادة غير تركيَّةٍ لبقي الأخوان في السلطة عَلىٰ سبيل المثال، ولٰكن المثال التهكمي.

الولايات المتحدة يمنع دستورها وقوانينها دعم أو الوقوف مع الانقلابات العسكريَّة، والإدارة الأمريكيَّة لم تستطع تغيير الدستور والقوانين ولٰكنَّهَا غيَّرت وصف الانقلاب إلىٰ ثورة، ولقد عانت الإدارة الأمريكيَّة كثيراً، كما صورا لنا، لتجاوز هٰذه المعضلة، ولٰكنَّهَا تجاوزتها، تجاوزتها لأنها شريكٌ في المخطط بطريقة أو بأخرى؛ مخطط عدم السماح بنجاح الحركات والأحزاب الإسلاميَّة، بل عدم وصولهم إلىٰ السُّلطة لما لذٰلك من مخاطر كثيرةٍ انجلى بعضها من خلال نجاح حزب العدالة والتَّنمية التركي في قيادة الدولة التركية عَلىٰ مختلف الأصعدة.

قام **عبد الفتاح السيسي** وحده بالانقلاب بعد سلسلة مفضوحةٍ من الإجراءات والتحريض والتخطيط. المأساة أنَّها مفضوحة بطريقة فجة؛ من حشود وهمية مفبركة بيد المخرج السينمائي **خالد يوسف**، إلىٰ الأعداد الوهمية، إلىٰ المطالب الوهمية، والمشكلات الوهمية... ولأنَّ كلَّ شيء كان مفضوحاً بفجاجة، والباطل عار دائماً كان لا بُدَّ من مسلسل من التناقضات والأخطاء الفاضحة أكثر فأكثر.

---

(١٠٧) . جاء هٰذا الكلام في لقاء تلفزيوني منشور عَلىٰ اليوتيوب نشرات كثيرة عنوانها الأغلب: نبيل العربي يعترف ٣٠ يونيو ضرب المشروع الإسلامي بالصميم، أول نشر في ٢٠١٣٤/١/٤م.

نحن في حقيقة الأمر أمام الانعطافة السيسية في تاريخ السياسة اللاسياسية، كما سَمَّيْتُ ذَلكَ في هٰذا المقال(١٠٨) الذي كتبته في ٢٠١٣/١٢/٢٦م. الانقلاب **السيسي** انعطافة في التاريخ المصري والمنطقة. فالانقلاب **السيسي** عَلىٰ أقل تقدير يفعل ما تخشى إسرائيل فعله.

لقد اعتبر النظام الانقلابي المصري الأخوان تنظيماً إرهابياً.

الأمر لله. ولم لا. كل الانقلابات تفعل ذَلكَ.

وسيكون إراهبيًّا كلُّ من ينتمي إلىٰ الأخوان المسلمين.

أيضاً سنعد ذَلكَ مقبولاً ولو عَلىٰ مضض. ولٰكن أن يكون إراهبيًّا كلُّ من يمدح الأخوان أو يدافع عن الأخوان أو يروج للأخوان أو يحمل أفكار الأخوان فهٰذا تمادٍ في الاستبداد غير معقول، لم يعرفه نظام قمعي من قبل في التاريخ كله.

والتَّمادي الأكبر من ذَلكَ حَتَّىٰ الشَّطط المثير للاشمئزاز فهو أنَّ سلطة الانقلاب ستطلب من كلِّ دول العالم تسليمها أي مصري يشعر بالتعاطف مع الأخوان... حَتَّىٰ الذين يظهرون عَلىٰ تلفزيون الجزيرة ستطالب بهم السلطة الانقلابيَّة، وستمارس ضغوطها عَلىٰ المجتمع الدولي لمحاصرة قطر اقتصاديًّا إذا لم تسلمها ضيوف قناة الجزيرة الذين يمدحون الأخوان. أي إن المفكرين والإعلاميين والأدباء هم موضوع الاتهام بالإرهاب؛ المفكر الذي سيكون له موقف إيجابي من الأخوان سيكون إرهابيًّا.

الخلاصة: لا يجوز لأحد بعد اليوم أن يتعاطف مع الأخوان تحت أي ظرف شعوري أو لا شعوري... ورُبَّما حَتَّىٰ في المنام.

---

(١٠٨) . بدءاً من هٰذه الفقرة وصولاً إلى نهاية الموضوع وبداية الموضوع الجديد.

عجائب انقلابية

ولا نحتاج إلىٰ كثير بداهة لنكتشف أنَّ أيَّ تظاهر في مصر بعد اليوم هو إرهاب لأنَّهُ تعاطفٌ مع ما يريده الأخوان. وكلنا يعلم اليوم كيف أنَّ الانقلاب يتهم كل المتظاهرين بأنهم أخوان عَلىٰ الرَّغْمِ من أنَّ بينهم المسيحيون والعلمانيون، وقد حكم منذ أيام عَلىٰ عدد من الأشخاص هم ضد الأخوان، ولٰكن لأنهم يتظاهرون بالتزامن مع الأخوان حكموا بالسجن ثلاث سنوات.

وهٰكذا يستطيع **السيسي** أن يمرِّر الدستور، ويمرر قداسته في الدستور، ويمرر ترشيح نفسه للرئاسة، ورُبَّما نجاحة في الرئاسة كما يطالب أبواقه بلا حياءٍ ولا خجلٍ، وسيستمر في محاصرة غزة بكلِّ الطرق التي يريد، بل وسيسطيع محاربة أيِّ فلسطينيٍّ يريد محاربة إسرائيل، وأيِّ سوريٍّ يريد الحرية... وهو يفعل ذٰلكَ عمليًّا بلا أدنىٰ حياء أو خجل منذ صبيحة الانقلاب عَلىٰ الشَّرعيَّة بل عَلىٰ النِّظام السابق مهما كانت صفته. واستمر في هٰذه الممارسات الدنيئة بحق الفلسطينيين والسوريين وسط صمت مريب بل مشاركة مخجلة من المصريين أنفسهم ومن المجتمع الدولي الذي لا أريد منه شيئاً لأني لا أترقب منه شيئاً أصلاً.

أتخيل أنَّهُ سيكتب كلمة حرية وينشرها في كل الشَّوارع، وكل من ينظر إليها سيتم اعتقاله بتهمة الإرهاب.

بل الأدهى من ذٰلكَ وأشد إدهاشاً وإغراقاً في الديكتاتورية أنَّهُ بعد فترة من كتابة هٰذا المقال كانت حملة منع الصلاة عَلىٰ النبي التي يفترض أنَّها أثارت ضجَّةً، ولٰكنَّهَا في المحصلة لم تفعل شيئاً، وظلَّ الانقلاب مانعاً للصلاة عَلىٰ النبي. وفي الفترة ذاتها تقريباً أعلن وزير أوقاف **السيسي** في ٢٠١٤/٦/٢٥م قائلاً: «سنعيد النَّظر في قواعد إقامة صلاة الجمعة». وهو أوَّل قرار من هٰذا

النوع منذ ظهور الإسلام. ماذا يعني يا ترى؟ هل تقديمها إلىٰ يوم الخميس مثلاً؟ أم إلغاء الخطبة منها؟ أم جعلها عَلىٰ الهوية؟ ولا يقف الأمر عند هٰذا الحد بعد نحو أسبوع، في ٢٠١٤/٧/٣م صدرت قرارات وإفتاءات وتعليمات بمنع الدعاء عَلىٰ الظالمين في الصَّلاة، وعدم تلاوة آيات تتحدث عن الظلم والظالمين!!! وتوج ذٰلكَ قبل افتتاح العام الدراسي الجديد بإلغاء التربية الإسلامية من المدارس واستبدالها بالتربية الأخراقية. ولم يبقى أمام **السيسي** سوى أن يصدر طبعات منقحة ومعدلة من القرآن الكريم.

عَلىٰ أيِّ حال، الطريف المضحك المبكي الذي لا أعرف كيف أصفه أنَّ الناطق باسم الجيش المصري سوَّغ نشر عشرات آلاف المقاتلين في الشوارع إلىٰ جانب آلاف الشرطة بأنه من أجل إشعار الموطن بالأمن(١٠٩). عجيب غريب بطريقة عجيبة غريبة. كل البشرية تشعر بالهلع من انتشار الجيش إلا المصريين فإنهم لا يشعرون بالأمان إلا بانتشار الجيش!!

ومع ذٰلكَ كل يوم يومين يصدر بيان عن الداخلية المصرية يقول:

. مقتل شخص، ثلاث أشخاص...

ودائماً كليشة الخبر تتابع: في اشتباكات بَيْنَ الأخوان والأهالي.

ودائما يبحان الله، يكون القتلى من الأخوان.

الأخوان هم الإرهابيون، وهم الذين يهددون أمن المجتمع، وهم الذين يشنون الهجمات المسلحة عَلىٰ الأهالي العزَّل، وهم الذين يتم قتلهم عَلىٰ أيدي الأهالي العزل من السلاح!!! تعجز

(١٠٩). كان هٰذا التصريح في ٢٠١٣/١١/١٦م.

السينما الهندية عن تخيل مثل هٰذه السيناريوهات التي لا تستقيم مع منطق، نحن أمام حدث غير منطقي يتكرر منذ مجزرتي النهضة ورابعة عَلىٰ الأقل. حَتَّىٰ مجزرة رابعة والنهضة بنيت عَلىٰ هٰذه المفارقة التي لا تستقيم مع منطق أبداً. المعتصمون مسلحون بكل أنواع الأسلحة، ويطلقون النار من كل الأسلحة عَلىٰ الجيش والشرطة والأهالي الذين جميعهم حَتَّىٰ لا يدافعون عن نفسهم، والنَّتيجة مقتل نحو خمسة آلاف من المعتصمين في ميداني رابعة والنهضة كلهم من الأخوان وأنصار الشَّرعيَّة، بينما لم يقتل شرطيٌّ ولا عسكريٌّ ولا مواطن من الأهالي الذي كان المعتصمون يطلقون النَّار عليهم!!! مرَّةً أخرى تعجز السِّينما الهندية عن تخيُّل مثل هٰذا السيناريو.

أنا شخصيًّا لا أحب الأخوان، ولم أحببهم يوماً، ولكنِّي أجدهم أشرف من **السيسي** ومن كلِّ من يقف مع **السيسي**، ومن كلِّ من يدعم **السيسي**... هٰذا تفرضه علينا سلوكات الانقلاب عَلىٰ مختلف المستويات والأصعدة، والتصريحات والأقوال التي يطلقونها مما يتجاوز كلَّ حدود المنطق والاستغفال والاستحمار والاستجحاش للبشر.

الأخوان أخطأوا، نعم أو رُبَّما أو لا... ولٰكنَّ حملة التَّحريض عليهم تتجاوز كلَّ ما يمكن أن يكونوا قد ارتكبوه من أخطاء بألف الف ألف مرَّةٍ. والممارسات التي ارتكبت بحقِّهم من قبل السلطة السيسية الانقلابيَّة تتجاوز كلَّ حدود المقبول والمعقول. وتجاوز كل ذٰلكَ إلى محاربةٍ سفيهةٍ للسُّوريين والفلسطيين بحجة أو ذريعة تعاطفهم مع الأخوان.

السيسي أعاد حصار غزة أكثر بألف مرَّةٍ مما كان أيام **حسني باراك** تحت ذريعة تعاطفهم مع الأخوان، لا شكَّ في أنَّهُ يريد أن يقدِّم لإسرائيل الخدمات التي تعطيهم الطمأنية من جانبه، ويؤمن أمن إسرائيل أكثر مما تحلم به إسرائيل.

السيسي ارتكب عدَّة جرائم وتفجيرات في مصر لينسبها إلى الأخوان، كما تفعل الأنظمة العربيَّة عادةً لتخويف المواطنين ولملمتهم حوله، وعَلىٰ الرَّغْمِ من كون بعض هٰذه التفجيرات أو الجرائم مفضوحاً إلى حدٍّ بعيدٍ فإنَّ النِّظام لا يتورع عن توجيه الاتهام مع ثواني التَّفجير الأولى إلى الخصم الموجود في الساحة؛ وهو الأخوان في الحالة المصرية... كلُّ ذٰلكَ من أجل أن يبقى في السُّلطة ويحمي إسرائيل ولا أفصل بينهما أبداً. فقد أثبت الواقع العربي اليوم بما لا يقبل الشكَّ أنَّ الحاكم العربي الذي يريد أن يدعم جلوسه عَلىٰ الكرسي يجب أن ينكب عَلىٰ حذاء إسرائيل تقبيلاً وتقديساً كي يستطيع الصمود أمام شعبه الذي يرفضه، وكي يقتل شعبه بأيِّ طريقةٍ شاء من دون أن يهتز جفن أو ضمير الشَّرعيَّة الدوليَّة، إذا كان هناك أصلاً شرعية دوليَّة(١١٠).

السيسي اعتقل كلَّ المسؤولين الذي كانوا في عهد **مرسي** من وزير إلىٰ محافظٍ وكذٰلكَ رئيس وزراء ورئيس مجلس الشعب ونائب رئيس مجلس الشعب وأعضاء مجلس الشَّعب ومستشاري **مرسي** ومعاونيه وأصدقائه وكلَّ أنواع قيادات الأخوان ومن يتعاطف مع الأخوان... وهٰذا ما لم يفعله انقلابٌ عبر التاريخ ولا حَتَّىٰ ثورة في التاريخ وصلت إلىٰ هٰذا التَّمادي والمبالغة في اعتقال شخصيات النظام السابق... لقد تجاوز الانقلابات والثورات في محاربة النظام السابق تجاوزاً غير

(**١١٠**) . في عام ١٩٩٣م صدر كتابي الأمم المتحدة بَيْنَ الاستقلال والاستقالة والترميم الى أنعى في الشرعية الدولية. ولست أول من فعل ذٰلكَ، فلا شرعية دولية أصلاً.

مسبوق، ورُبَّما غير ملحوق. لقد اتسم في هٰذا الجانب بجرأة وقحة لا تصدق أبداً، ولا ندري عَلىٰ أيِّ أرضيةٍ يستند حَتَّىٰ يتصرف بهٰذه الوثوقية المغرورة العمياء. لا أخفيكم أني ألقي عَلىٰ الشعب المصري كبير اللوم في منحه هٰذه الحرية في الجبروت، فهم بالكاد خرجوا من أجواء ثورتهم عَلىٰ **حسني باراك**... ولا أطيل في هٰذا الوجع فإنه مرٌّ أكثر مما يحتمل.

السيسي انعطافةٌ كبرى في تاريخ السياسة؛ الانعطافة السيسية. سيتحدَّث التاريخ عن سلوكات **السيسي** التي لم يسبق لها نظير من أشد الديكتاتوريات في التاريخ. الديكتاتورية ليست قتل الناس فقط. قتل الناس وحشية، الديكتاتورية هي الاستبداد والتفرد في السلطة، **والسيسي** يتفرَّد بها الآن عَلىٰ نحو رُبَّما لا أقول إنه غير مسبوق ولٰكنَّ أقول فجٌّ بطريقة مثيرة ومرعبة... وإذا كانت هٰذه البوادر فالقادم أعظم...

سينجح **السيسي** في تدمير القيم والأخلاق أكثر مما نجح السابقون. وسينجح في محاربة الإسلام والمسلمين أكثر مما فعل الكافرون. وسينجح في حماية إسرائيل أكثر مما فعل الإسرائيليون. هٰذا إذا استمر **السيسي** في الحكم، وليس ذٰلكَ بمستبعد أبداً، فإنَّ العالم يقف معه مثلما وقف مع النظام السوري، ورُبَّما سيقف أكثر وأشد نظراً لحجم مصر السكاني وموقعها الجغرافي أيضاً.

والذين يقولون إنَّنا لا نعلم، أو لم نعلم غير معذورين أبداً أبداً أبداً... فليس مثل اليوم إمكان للوصول إلىٰ معرفة الحقيقة. فإنَّهُ بالكاد يوجد إنسان ليس لديه أكثر من طريقة للوصول إلىٰ كل أنواع المعلومات التي يريد؛ التلفزيون، الهاتف، النت... ولا يوجد حَجْرٌ عَلىٰ شيء، فما لا تستطيع الحصول عليه من هنا تحصل

عليه من هناك... بل يكفي أن يعمل المرء تفكيره قليلاً في وسائل إعلام النظام ذاته ليدرك حقيقة ما يحدث... لإعلام النظام ذاته يدين ذاته بفجوره وتناقضاته.

هٰذه مشاهد إلماحية لحقائق واقعة بكثرة. أكرر: يصعب إحصاؤها لكثرتها.

مهزلة الدستور

لنقف عند شاهد لجنة صياغة الدستور **السيسي** الذي لم يعرف كيف يحصِّن **السيسي** نفسه فيه. إن حصن وزير الدفاع وصار هو الرئيس ابتلي بحصانة وزير الدفاع، وإن يحصن نفسه ولم ينجح في الرئاسة فوضعه خطير، ولذلك كانت المطمطة والإطالة لضمان كل شيء مئة بالمئة، ضمن الرئاسة، ومع ذَلكَ حصن وزير الدفاع، وضع صهره بدلاً عنه وزير دفاع.

في ٢٠١٣/١١/٦م كتبت ما يلي عن سفسطات الانقلابيين فيما يخص لدنة صياغة الدستور:

حدد الإعلان الدستوري للجنة الخمسين الانقلابية ستين يوماً لإنهاء عملها. المدة ستنتهي خلال أيَّام واللجنة لم تنجز شيئاً، بما يعني أنها ستكون ملغاة وكل عملها باطلٌ أو لا قيمة له...!!!

خرج أبواق الانقلاب بالفتاوى السفسطائية واللف والدوران، قالوا: ستين يوم عملٍ، يعني أيام الجمع لا تحسب، وأيام السبت لا تحسب، ووقفة العيد وعطلة العيد وعيد العطلة لا يحسب...

وإذا لم تكف المدة سيقولون: يجب حسم ساعات الليل لأنها لا تحسب من أيام العمل...

وإذا لم تكف سيقولون: يجب استقطاع أوقات الطعام والتدخين ومدة السير في الطريق...

وإذا لم تكف سيقولون: لا يجوز احتساب كلِّ الوقت، فقط أوقات الاجتماعات وساعاتها...

يعني ذَلكَ أنَّ أمام اللجنة قرن كاملٌ عَلىٰ الأقل، فلماذا لعجلة(١١١)؟

وقد تم التمديد، وسُلق الدستور سلقاً عَلىٰ أعين الجميع. هل حدث ذَلكَ مع لجنة الدستور التي أعدت دستور ٢٠١٢م؟ إطلاقاً، فبعد عمل أشهر تم فيها إنجاز كل شيء تقريباً أتت التَّعليمات من الانقلابيين للانقلابيين بالانسحاب لإسقاط الشرعية عن اللجنة، وانسحبوا بطريقة فاضحة مشينة دلَّت عَلىٰ أنَّ ثَمَّة ما يحاك، بل أكدت أن ثَمَّة ما يحاك(١١٢).

تَمَّ الانتهاء من الدستور، وتم الاستفتاء عَلىٰ الدستور، وفاز الدستور في بروفة استفتائيَّة لتزوير انتخابات الرئاسة القادمة. وكان ضمن حمله هزلية تدعو إلىٰ التقيؤ من التخوف والتحريض عَلىٰ من سيرفض الدستور. كان المطلوب وضع أي خطوة لتأسيس شرعية جديدة عَلىٰ أنقاض الشرعية التي تم الانقلاب عليها.

---

(١١١) .كتب لهذا التعليق في ٢٠١٣/١١/٦م إثر تلك الفتاوى السفسطائية للتمديد للجنة صياغة الدستور.

(١١٢) . من وجهة نظر حيادية كان دستور ٢٠١٢م نقلة نوعية في الوعي الديمقراطي، ليست الأفضل عالميًا ولَكنَّها نقلة نوعية متميزة عَلىٰ طريق ترسيخ الديمقراطية ودولة القانون والمؤسسات، أما دستور السيسي ٢٠١٤م فقد كان أسوأ بكثير من كل دساتير العالم الثالث بالإطلاق، يمكن للمهتمين عقد المقارنات أو الرجوع إلى ما كتب في ذَلكَ، ومع ذَلكَ يبعبع أبواق الانقلاب بأنه أفضل من الدستور الأمريكي.

مهازل المحاكمات

في هٰذه الأثناء كانت محاكم القضاء المصري الذي كان أكبر طعنة في صدر الشَّرعية، ورأس حربة الانقلاب الأساسية، وأداة الانقلاب الكبرى... في هٰذه الأثناء كان هٰذا القضاء يبرئ **حسني مبارك** ورموز نظامه رويداً رويداً حَتَّى حصلت البراءات التامة للجميع مؤخراً، وفي الوقت ذاته كان القضاء يتفنن في تلفيق الاتهامات إلىٰ **محمد مرسي** وقادة الأخوان والمسؤولين في سنة حكم **محمد مرسي**.

يهود أمريكا والعراق وإسرائيل احتاروا في محاكمة **صدام حسين**. كان متهماً قبل الاحتلال بعشرات المجازر وأشكال ألوان من الاتهام، وعندما حوكم حوكم في قضية تبيَّن مما عُرض عَلىٰ الهواء مباشرة من المحاكمات أَنَّهُ يستحق المكافأة عليها لا العقوبة... شهود زور، شهود لم يكونوا قد ولدوا أيام القضية، قتلىٰ أحياء، تعويض المتضررين كلهم أضعاف ما يستحقون... ومع ذٰلكَ حكم بهذه التهمة بالإعدام وأعدم بدل أن يكافئ عليها!!!!

يهود مصر اليوم أشدُّ شناعةً من يهود العراق وأمريكا وإسرائيل، احتاروا بماذا يحاكمون **مرسي**، كل كم يوم يخرجون بتهمة أسخف من السخافة. اليوم[١١٣] بدأت محاكمة رئيس جمهورية بتهمة التَّواصل مع دولة قطر وقناة الجزيرة!!!

تخيلوا يا راعكم الله أن يحاكم رئيس جمهورية بتهمة التواصل مع دولة أخرى، وهي دولة شقيقة صديقة، والتواصل مع محطة تلفزيونية لأَنَّهُ أجرت معه

(**١١٣**) .كتب هٰذا التعليق الخاص بالمحاكمة في ٢٠١٤/٩/٦م.

لقاءً تلفزيونيًّا!!!! بالكاد تجد عبر التاريخ وقاحة بمثل هٰذه الوقاحة وسخافة بمثل هٰذه السخافة.

والأطرف من ذٰلكَ بل الأكثر فجوراً هي التهم السَّابقة كلها من دون استثناء. أوَّلها تهمة الهروب من السجن عَلىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُ جرىٰ اتصال مع الجزيرة يوم تحطيم أسوار السجن، وقال يومها: «نحن هنا لا نريد أن نغادر، تبحث عن ضابط شرطة لنسلم أنفسنا...»، هٰذا عَلىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُ معتقل اعتقال سياسي تعسفي من دون تهمة، موقوف اعتقالاً لا بتهمة.

ومنها تهمة مجزرة الاتحادية التي قتل فيها عشرة، ثمانية منهم أنصاره، ومن الأخوان المسلمين... ومع ذٰلكَ حكم بالإعدام بسبب الاثنين الذين قتلتهم قوات الأمن عمداً لا بتهمة قتل الثمانية الذين قتلتهم قوات الأمن أيضاً. وفي هٰذا الوقت ذاته فإن الذي قتل مئات الناس، والذي ارتكب مجازر بالآلاف يكافئ ولا يعاقب!!!...

والأطرف من ذٰلكَ عَلىٰ الإطلاق محاكمته بتهمة التخابر مع حماس. التخابر مع حماس تهمة، في حين يكافئ من يتخابر مع الموساد وإسرائيل!!!

الطريف الطريف أنَّ كلَّ ذٰلكَ يتمُّ علناً علناً وليس في الخفاء. يعني الافتخار بالتواصل مع إسرائيل علناً، والقول بأنَّ التواصل مع المقاومة الفلسطينية خيانة. علناً علناً بات كلُّ شيءٍ علناً.

من نقطة العلن هٰذه؛ الوقاحة في الصَّراحة، ننتقل إلىٰ نقطة أُخْرَىٰ هي انتخاب **السيسي** رئيساً للجمهورية(١١٤).

(١١٤) .كتب هٰذا التعليق الخاص بانتخابات الرئاسة في ٢٠١٤/٥/٩م.

فضائح الترشح والانتخابات

في بيان الانقلاب والخطاب والثاني والثالث **للسيسي** أقسم هٰذا الرجل بالله أنَّهُ لا يريد السلطة، لا يريد أن يكون رئيساً، لا طمع له بالسلطة... وأن شرفه بخدمة مصر عسكريًّا في موقع أعز وأشرف من حكمة مصر... وأردف بعد الحلفان بالله: «وبكره ح تشوفو». تأكيداً لأَنَّهُ لن يترشح للرئاسة، ولا يريد أن يكون رئيساً.

لم يكن لدى أحد شكٌّ في أن ما حدث انقلاب. لا أدري إن كان الأبواق المصريون يجهلون ذٰلكَ فعلاً أم يتجاهلون. ولٰكن لم يكن لأحد أن يشكَّ في أن **السيسي** انقلب عَلىٰ السلطة الشرعية عَلىٰ الرَّغْمِ من الأيمان التي حَلَفَهَا. علَّقَ الدكتور **محمود الجوادي** في لقاء تلفزيوني عَلىٰ سيل الادعاءات بأنَّ **السيسي** لا يريد السلطة قائلاً: «وهل هناك من يقوم بانقلاب مقاولة؟ (متعهد انقلابات لصالح الآخرين)».

الأمر لا يحتاج إلىٰ ذكاء ليدرك، ومع ذٰلكَ كان سيل تنزيه **السيسي** عَلىٰ الإعلام المصري وبعض الإعلام العربي مدهشاً. وبدأت جملة التوسل **للسيسي** كي يترشح للرئاسة، ووصلت الأمور إلىٰ المطالبة بجعله رئيساً من دون انتخابات. من المؤكد أنَّ هٰذا الاحتمال كان في حسبان **السيسي**. كان يخشى أن يتعرض لامتحان الانتخاب. ولٰكنَّهُ وجد نفسه مرغماً عَلىٰ خوض انتخابات.

من أجل أن يخوض **السيسي** الانتخابات كان يجب أن يتنافس مع ذاته فقط، إنَّهُ لا يريد أن يترك أيَّ مجال لأيِّ احتمال في المنافسة. أقصىٰ كل المنافسين من دون استثناء، لم يترشح أحد؛ كيف؟ ولماذا؟ المخابرات المصرية

وحدها والمرشحين لديهم الجواب. رُبَّما شعورهم جميعاً بأن المسألة محسومة هوو الذي دفعهم إلى عدم الترشح، ورُبَّما خوفهم من التهديد أو تعرضهم الفعلي للتهديد، ورُبَّما خوفهم من أشياء أخرى وهم الخبراء في ذَلكَ هو الذي حال دون ترشحهم. كاد **السيسي** يكون وحيداً لولا أن أنقذه **حمدين صباحي** وترشح منافساً.

في اليوم الأوَّل من الانتخابات المصريَّة لم يذهب أحد. رُبَّما لم يذهب أحد عَلىٰ الإطلاق. جُنَّ جنون الانقلابيين وصاروا يتوسلون الناس. وبعض الإعلاميين صار يشتم المصريين عَلىٰ الهواء مباشرةً.

تَمَّ تمديد الانتخاب ومُنح النَّاس مكافأةً سلفاً عطلة رسميَّة حَتَّىٰ لا يتذرعوا بالعمل. ومع ذَلكَ لم يذهب أحد أيضاً إلى الانتخاب في اليوم التالي.

زاد جنون الانقلابيين... وزادت الشَّتائم الوقحة والسافلة للشَّعب المصري. ووصل الأمر بقاضي قضاة مصر إلى أن يقول: «من لم يذهب إلىٰ الانتخاب فهو خائن لا يستحقُّ العيش في مصر».

لذَلك تَمَّ التَّمديد ليومٍ ثالثٍ بسبب عدم الإقبال. علماً أنَّ التَّمديد يكون لكثرة الإقبال وليس العكس. عند العرب فقط تنقلب القيم والموازيين عندما يتعلق الأمر بالسلطة.

ومع ذَلكَ لم يحضر الناس أيضا وسط شديد غضب الانقلابيين وهجومهم عَلىٰ المواطنين بالاتهامات والإساءات والتخوين التي صدرت عن أبطال الدِّيمقراطية مثل **مصطفى بكري**.

وفجأة، ومن دون سابق إنذار أو تمهيد، يعلن التلفزيون المصري أنَّ أكثر من عشرين مليون شاركوا في الانتخابات. ثمَّ في تصريح مفوضة لجنة الانتخابات

جاء أنَّ نسبة المشاركة زادت عن ٥٢%. يعني أكثر من الذين شاركوا في انتخابات **مرسي** تلك التي شارك فيها الجميع بحشود كبيرة وتشجيع منقطع النظير من جميع أطياف المجتمع وأحزابه.

كلمة هزلت لا تكفي.

كان المصريون يظنون أنَّهم سيسقطون **السيسي** بهٰذه الطريقة. رُبَّما كانوا يظنون أنهم سيستردون الشرعية بمقاطعة الانتخابات. قلت في لقاء تلفزيوني منذ أكثر من شهر(١١٥): «لا قيمة للنَّاخب العربي عند الأنظمة العربيَّة... حَتَّىٰ لو لم يذهب مواطنٌ واحدٌ للانتخاب فالنَّتيجة هي ذاتها... لا قيمة للإنسان العربيِّ عند أيِّ حاكمٍ عربيٍّ».

وحَتَّى يكتمل العرس الدِّيمقراطي جاء مرشح الغفلة **حمدين صباحي** ليقلد الديمقراطيات الراسخة، ليعترف بهزيمته أمام **السيسي** مثلما يعترف المهزومون في منافسات الرِّئاسة الأمريكيَّة. وكأنَّهُ يقول: إنَّ ما حدث في مصر انتخابات!! لا ندري إن كان مرشح الغفلة يريد أن يقنعنا أم يريد أن يقنع نفسه بأنَّ ما كان انتخابات.

إذا كان لا يعرف أنَّهُ ديكور إسباغ شرعيَّة عَلىٰ مسرحيَّة تشبه الانتخابات فتلك مصيبة. وإذا كان يعرف فالمصيبة أعظم. وحَتَّىٰ يكتمل سواد وجهه وخزيه فإنَّ عدد الأصوات التي أُعلنت له أقل من عدد الذين وقعوا وثيقة ترشيحه بناء عَلىٰ شروط الدستور. وليس هٰذا فحسب بل عَلىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُ **والسيسي** الوحيدان المرشحان فقد كان ترتيب **صباحي** الثالث، لأنَّ **السيسي** حصل عَلىٰ

(**١١٥**) .كان هٰذا اللقاء في ٢٠١٤/٥/٤م عَلىٰ قناة التغيير في الانتخابات الرئاسية السورية.

المركز الأول بنسبة ٩٩% تقريباً، والمركز الثاني للأوراق البيضاء، والمركز الثالث **لصباحي!!!**

كلُّ محتملي الترشح للانتخابات الرئاسيَّة في مصر رفضوا الترشح أو أكرهوا عَلىٰ عدم الترشح. لم يبق إلا **حمدين صباحي!!**

لماذا بقي **صباحي؟**

قال إعلامي مصري عَلىٰ التلفزيون المصري ثاني أيام الانتخاب: «نحن نشكره لأنَّهُ لولاه لكانت الانتخابات مهزلة».

لا أصدق أنَّهُ لم يكن يعلم أنَّهُ يمثِّل دور مرشح للرئاسة وليس مرشحاً أبداً. وإذا كان يظنُّ ذَلكَ فنحن أمام واحدةٍ من أكبر فضائح العصر: مرشح لرئاسة دولة لا يفقه من السياسة ولا من الواقع ما لا يجهله طفلٌ صغيرٌ!!

ومع ذَلكَ، في الطرف المقابل، نجد أنصار **السيسي** يحتفلون احتفالاً مدهشاً، ويعبرون عن فرحتهم بفوز **السيسي** بطريقة توحي بأنهم حققوا المستحيل... وكأنها كانت المنافسات صعبة، صعبةً جدًّا، وكأنَّهُ ما كان أحد يتوقع فوز **السيسي**، فعبَّروا لذَلك عن فرحتهم بجنون أو ما يشبه الجنون، ووصل الأمر إلىٰ الاغتصاب العلني والجماعي للفتيات المحجَّبات. سُجِّلَتْ عشر حالات اغتصاب في ساعات الاحتفال المسائيَّة. ولا ندري إلا كان ثَمَّة غيرها مما لم يسجل، كل ذَلكَ تحت رعاية قوى الأمن المصرية!!

وفاز **السيسي**. حسناً. وما هو مشروع **السيسي**؟ وما سياسة **السيسي**؟

لقد وقفنا عَلىٰ بعض الملامح فيما قد سبق الكلام فيه. ولٰكنَّ سياسة **السيسي** سياسة ومشروعه تدور في فلكين، أو تسير عَلىٰ خطين؛ خط الخلط والغموض، وخط الصراحة والوضوح.

عَلىٰ الرَّغْمِ من حسم أمر أن **السيسي** هو رئيس مصر القادم مهما كلف ذٰلكَ مصر والمنطقة من ثمن فإنَّ **السيسي** ظلَّ يماطل في إعلان ترشحه حَتَّىٰ اللحظة الأخيرة من نهاية موعد الترشيح. فعل ذٰلكَ لأسباب كثيرة. فهو لا يريد أن تكون المساحة الزمنية بَيْنَ الانتخابات وتركه قيادة الجيش مساحة كبيرة تتيح اللعب بالأوراق من قبل أحد تحت أي احتمال. وفعل ذٰلكَ حَتَّىٰ لا يترك قيادة الجيش إلا وقد رتَّب الأمور بطريقة حاسمة مئة بالمئة.

ومع ذٰلكَ فإنَّ العجب العجاب جاء في مشروعه الانتخابي. مشروع لم يكن مثله في التَّاريخ السابق، ولن يكون مثله في التاريخ اللاحق. مشروعه هو اللامشروع. تخيلوا أنَّ مشروع **السيسي** الانتخابي هو: «لا مشروع عندي، ولا أعدكم بشيء». وتخيلوا أنَّ أبواق الانقلاب عدوا ذٰلكَ نقلةً حضاريَّةً، وأنَّ هٰذا أقوى مشروع انتخابي في التاريخ!!!

كان هٰذا مشروعه حَتَّىٰ يكون جوابه عَلىٰ أي تقصير أو خلل بقوله أو قول أبواقه: «أنا لم أعدكم بشيء، أن لم أقل إني سأفعل أي شيء».

كان مشروعه هٰذا من دلائل ضعف شخصيته واهتزازها وتردده وخوفه(١١٦). لم يريد أن يقع في ورطة **مرسي** في مشروع المئة يوم. مع الفرق الهائل بينهما. ومع ذٰلكَ اكتشفنا أن شخصيته أضعف مما يمكن أن يتوقع أحد.

---

(١١٦) . ضعف شخصيته واهتزازها وتردده مسألة واضحة للمحللين النفسيين تبدو جلية في طريقة كلامه وخطابه، ومن كثرة الانتقادات التي وصلته اضطر إلى تفسيرها بنظرية الفلاتر، التي أكدت صحة التحليل.

إسرائيل أولاً

هٰذا هو خط الغموض والضبابية في مشروع **السيسي** وسياسته؛ لا مخطط، لا مشروع، لا عمل، ما عندي شيء... ولٰكنَّ خطَّ العدمية هٰذا مع الشَّعب المصري حصراً، مع الشعب المصري الذي عليه أن يدفع فاتورة كل شيء، حَتَّى سياسته الواضحة الصريحة في إرضاء إسرائيل واسترضاءها عَلىٰ حساب كرامة مصر وشرفها.

لم يرسل **السيسي** رسالة تطمين إلى أحد أبداً، اللهم إلا إسرائيل وأمريكا والسعودية. في حين كان يحاكم **مرسي** بتهمة التخابر مع حماس، واعتبار ذٰلكَ خيانة للوطن، كان **السيسي** قد دفع ملايين الدولارات لمؤسسات إسرائيلية كي تُحَسِّنَ صورته في الأوساط الأمريكية.

السيسي بديل **حسني مبارك** مع تنازلات وخدمات أكثر لإسرائيل. الأمثلة كثيرة، لنقف عند الأنفاق. بسبب الحصار المفروض عَلىٰ غزة قام الغزاويون بحفر أنفاق تصلهم بمصر من أجل تأمين طعامهم ودواءهم، يشترونها باموالهم ولا يسرقونها ولا يأخذونها صدقات. منذ تَمَّ الكشف عن هٰذه الأنفاق ولا هم للنِّظام المصري إلا ردم الأنفاق ومنع دخول أيِّ إغاثة إلىٰ الشَّعب الفلسطيني المحاصر. حَتَّىٰ وصل الأمر **بحسني مبارك** إلىٰ إقامة سدٍّ تحت الأرض عَلىٰ طول الحدود المصرية مع غزة... مع غزة، أكرر مع غزة.

سقط **مبارك** ولم يسقط النِّظام المصري. كذَّبت المخابرات المصرية عَلىٰ **مرسي** واستغلته تحت شعارات مخالفة للاستمرار في تدمير الأنفاق... ونسبوا ذٰلكَ إلىٰ **مرسي** الذي ظنَّ أنَّهُ طالما أنَّهُ سيفتح المعبر

فـلا حاجـة للأنفـاق، وتحـت هٰـذا الشِّـعار اسـتمرت المخـابرات المصـريَّة في هدم الأنفاق حَتَّىٰ لم يبق نفق.

جاء **السيسي** ولا أنفاق بَيْنَ غزة مصر. لا أنفاق يؤمن الغزاويون منها لقمة أو علبة دواء. ولٰكنَّ غزة ما زالت تتنفس الهواء وتعيش، فتجاوز الأنفاق إلى ترحيل سكان الحدود مع غزة عَلىٰ عمق ٢كم وجعلها منطقة عسكريَّة فاصلة بَيْنَ مصر وغزة، بَيْنَ مصر وغزة، أكرر بَيْنَ مصر وغزة[١١٧].

أكرر، وكررت، لينتبه من لم ينتبه إلى أنَّ النِّظام المصري يشعر بالأمان المطلق من ناحية إسرائيل... ويشعر بالخطر من ناحية غزة!!! وفي هٰذا الشُّعور وحده ما يكفي للدَّلالة عَلىٰ مدى التَّوازن النَّفسي والانفعالي للنِّظام المصري. للدَّلالة عَلىٰ هوية النِّظام المصري.

المسألة في حقيقة لا تتوقف عند هٰذه النقطة، المسألة أخطر من ذٰلكَ بكثير. الواضح منها أنَّ النظام **السيسي** يريد، خدمة لإسرائيل، منع وصول أي نوع من المدد العسكري إلىٰ غزة، وما اتخاذ هٰذا القرار إلا بعد العدوان الأخير الذي شن عَلىٰ غزة وقيام المقاومة الفلسطينية برد قوي لم يكن متوقعاً أبداً أدلىٰ إلىٰ خروجها منتصرة عَلىٰ إسرائيل بجدارة... الحدود كلها مغلقة بإحكام ولم يبق إلا الحدود المصرية التي يتم تهريب بعض الاحتياجات منها، تهريب وليس بإرادة الأمن المصري كما يحاول بعضهم أو يوهمنا. بإغلاق هٰذه الحدود بهٰذه الطريقة تكون المقاومة وغزة قد خُنِقَت خنقاً تاماً كما يتوهم **السيسي** وإسرائيل.

(**١١٧**) . قيل إنه حدث تفجير إرهابي قتل عدداً من الضباط والجنود المصريين في سيناء يوم الأحد ٢٠١٤/١٠/٢٦م، قيل إنه تفجير مدبر لأن هؤلاء قتلوا في ليبيا، بسبب هٰذا التفجير أصدر السيسي قراراً بتفريغ الحدود المصرية الغزاوية من المصريين وتحويلها إلى منطقة عسكرية عازلة بعمق ٢كم.

ولا عجب بعد ذَلكَ أن نجد أبواق **السيسي** يعلنون بكل وقاحة وصراحة «أنَّ أكبر إنجاز **للسيسي** هو القضاء المبرم عَلىٰ أنفاق غزة». قالوا ذَلكَ عَلىٰ قنوات التلفزيون المصرية في ٢٠١٤/٧/٣م عقب مفخخات الاتحادية التي قام بها نظام **السيسي** نفسه حسب كل المؤشرات. وتتهم غزة بأنها هي المصدر الوحيد للإرهاب في مصر، وفي الوقت ذاتهلا بُدَّ من اللازمة التي يختمون بها أي اتهام: «مع ذَلكَ يبقي الأخوان هم المصدر الوحيد للإرهاب».

السيسي وإسرائيل وغزة موضوع يحتاج كتب وأبحاث لا إلىٰ محض جزء من مقالة. ولٰكن كوننا في هٰذا الموضوع لا بُدَّ من التعريج عَلىٰ عدوان تموز ٢٠١٤م عَلىٰ غزة. هٰذا العدوان الذي أفرز سلوكاً مصريًّا لا يمكن تصديقه بحال من الأحوال. ولن أتحدث عن أنَّ الشعب المصري عجز لأول في تاريخه المعاصر أن يتعاطف مع فلسطين ضد العدوان الصهيوني بأي مظاهرة أو احتجاج من أي نوع.

فضائح العدوان عَلى غزة

بدأ العدوان الصهيوني في ٢٠١٤/٧/٨م، ولٰكنَّ إسرائيل فوجئت بالرد الصاعق لأوَّل مرَّةٍ، الرد الذي لا تستطيع احتماله. فما كان من **السيسي** إلا أن وثب عَلىٰ الفور لإنقاذ إسرائيل. لأول مرة في تاريخ الشعوب والحروب يستثمر النصر والقوة لصالح العدو. بعد أيام قدم **السيسي** مبادرة أعلنت إسرائيل موافقتها عليها من دون شروط، وهٰذا ما تفعله إسرائيل لأول مرة أيضاً. ولٰكنَّ حماس رفضتها. من دون أن نعرف ماذا تتضمن المبادرة يكفي أن نعرف أن إسرائيل وافقت عليها عَلىٰ الفور من دون شرط حَتَّىٰ ندرك أنَّها تخدم إسرائيل.

علمنا أنَّ المباردة تنص عَلىٰ وقف إطلاق النار ن دون شروط وتجريد غزة من السلاح. إسرائيل عجزت عَلىٰ مدار ثلاثة أرباع القرن من فعل ذَلكَ أيام لم تكن المقاومة تستطيع الرد. **السيسي** يريد أن يجرد المقاومة من السلاح وهي منتصرة. تخيلوا مدى الوقاحة والخيانة.

تذكروا الاجتماع الوزاري الإسرائيلي المصغر في ٢٠١٤/٧/١٤م الذي خرج بنتيجةٍ واحدةٍ تقول: «لن نقبل إلا بالوساطة المصرية... لن نقبل إلا بالوساطة المصرية...». الوكيل الحصري لمصالحهم قدم لهم في المبادرة ما لم يخطر ببال الشياطين... ببال أمريكا ذاتها.

بل الأمر أخطر من ذَلكَ كله أنَّ إسرائيل رفضت المبادرة الأمريكية التي حملها وزير الخارجية الأمريكي **جون كيري** في ٢٠١٤/٧/٢٥م، وأصرت عَلىٰ المبادرة المصرية. أمريكا ولي نعمة إسرائيل وسيدها وحاميها تقدم مبادرة معتدلة **والسيسي** يقدم مبادرة جنونية في خدمة إسرائيل جعلت إسرائيل تتمسك بها وترفض المبادرة الأمريكيَّة. والأدهى من ذَلكَ أن إسرائيل مؤخراً راحت تتوسل مصر أن تخفف من حدَّة المبادرة، ولٰكنَّ مصر ترفض. في ٢٠١٤/٧/٢٣م قال مصدر مسؤول في الرئاسة المصرية (**شكري**): «ما يقال عن نية مصر تعديل المبادرة المصرية لوقف العدوان عَلىٰ غزَّة لا أساس له من الصحة...!!». وفي اليوم التالي «أكدت الرئاسة المصرية تمسكها بمبادرتها من دون أي تعديل». مصر إذن مصرة عَلىٰ تجريد المقاومة الفلسطينية من سلاحها واستسلامها لإسرائيل من دون شروط.

لم يكن الخطاب الإعلامي الرسمي المصري أقل حدة من ذَلكَ، بل تجاوزها بكثير ولأول مرة في تاريخ مصر والعرب. تخيلوا أنَّ إسرائيليين لم

يستطيعوا تقبل هٰذا الخطاب الإعلامي المصري الوقح في اتهام حماس ومناصرة إسرائيل. ففي حوار عَلىٰ الهواء مباشر عَلىٰ قناة فرنس ٢٤ كان منسق حملة **السيسي** في فرنسا يدافع إسرائيل ويهاجم حماس بطريقة أغضبت الإعلاميَّة الإسرائيليَّة المشاركة في الحوار. جننها وهو يدافع عن إسرائيل في قصفها لغزة.

لم تصدق أنَّهُ حاقدٌ عَلىٰ غزة إلىٰ هٰذه الدرجة حتى يدافع عن إسرائيل بهذه الطريقة... هي تقول: «إسرائيل ترتكب جرائم حرب... جرائم حرب...». وهو يقول: «لازم إسرائيل تقصف غزة...». رُبَّما كادت تبصق في وجهه لولا أنَّهم عَلىٰ الهواء، فقالت له باستحقار: «عيب، عيب واحد عربي يقول هيك».

هٰذا الموقف وحده يجعل البدن يقشعر.

نقطة لم ينته. لم ينته لأنَّ الأمر تجاوز ذٰلكَ بكثير. إن ما نادت به وسائل الإعلام المصرية، وما قاله فنانون سيسيون ومواطنون سيسيون يضع العقل في الكف، إنه هستريا حقيقية، إنَّهُ كابوسٌ حقيقيٌّ سيظلُّ يقلق منامات شرفاء العرب عشرات السنين.

هل يمكن تخيل أنَّ مصريين مسلمين يطالبون الجيش المصري بمساعدة الجيش الإسرائيلي في ضرب غزة؟ هٰذا ما كان فعلاً. إنَّ الإعلاميين المصريين عَلىٰ مختلف القنوات المصرية الذي يطالبون الجيش المصري بقصف غزة، ويسمون قتلىٰ الصهاينة بشهداء الإرهاب الفلسطيني... ليسوا من الفراغ إنهم صوت **السيسي** ولسانه فمعظمهم عَلىٰ الأقل ممثلوا وزارة الإعلام المصرية، أي وسائل إعلام رسمية وليست شخصية.

ومع ذَلكَ كله، وبتناقض مربك للحنك الذي لن يعرف كيف يضحك ويغضب معاً، كرر الإعلام المصري كثيراً بعد أسبوعين من العدوان الصهيوني أن «حماس عميلة لإسرائيل وأمريكا».

هٰذا لا يشبه العاهرة التي تحاضر في الطهارة. تلك العاهرة أطهر من مثل هٰذا السُّلوك. لأنَّ تلك العاهرة تحاضر في الطهارة ولا تدعي الشَّرف. تحاضر في الطهارة لا تتهم الشرفاء بالدعارة.

ومع ذَلكَ كله. الحكاية لا تنتهي هنا. حكاية عامين مضيا لا تنتهي هنا ولا يمكن أن تنتهي هنا. ثَمَّة الكثير الكثير مما يستحق الوقوف عنده مما حدث في العامين ونصف الماضيين. وكلما قلت يجب أن ينتهي الكلام هنا تعصف في ذاكرتي مسائل تفرض ذاتها لا يجوز تركها من دون تعليق. أجدني الآن أمام أمرين في غاية الخطورة. أولهما مسألة الغاز، وثانيهما مسألة التربية الدينية.

إلغاء التربية الدينية

نبدأ من إلغاء التربية الدينية في المدارس المصرية. الأمر الذي أشرنا إليه إلماحاً في فقرة سابقة من هذا الفصل. في ٢٠١٤/١١/١٠م نشرت مواقع التواصل الاجتماعي الخبر بتمهيد يقول: «**السيسي** يلغي التربية الدينية»، «**السيسي** يقول: تدني الأخلاق والتحرش بالنساء في مصر سببها التربية الدينة...!!!!!».

ولدىٰ المتابعة تبين أن الخبر صحيح، ولا عجب فقد بدأ التمهيد له منذ فترة غير قصيرة نسبيًّا. **السيسي** أو النظام المصري، والنظام المصري هو **السيسي والسيسي** هو النظام المصري، مثلما هو الأمر في

كل الدول العربية ورُبَّما من دون استثناء، **السيسي** إذن يعلن إلغاء مادة التربية الإسلامية والقرآن من المدارس!!!

وأخيراً، ألغت وزارة التربية والتعليم المصرية مادة التربية الإسلامية، وأصدرت بدلاً منها كتاب (القيم والأخلاق) لاعتماده رسميًّا في المنهج التربوي في جميع مراحل التعليم بدءاً من بداية العام الدراسي المقبل ٢٠١٤م/٢٠١٥م.

بل حَتَّىٰ القصص الدينية التي يمكن أن توجد في مقررات أخرى سيتم الإجهاز عليها وحذفها، فقد أعلن المتحدث الإعلامي باسم وزارة التربية والتعليم في النِّظام **السيسي** أنَّ «الوزارة قررت إلغاء جميع القصص المقررة في المراحل التعليميَّة بما فيها قصص مادة التربية الدينية الإسلاميَّة الموجودة في المراحل التعليمية المختلفة».

والتَّفسير مهلك من الضَّحك، فقد فسَّرت الحكومة المصريَّة هٰذا القرار «بأنَّهُ نتيجةٌ لما أصبح عليه الشَّارع المصري من تدني للأخلاق وتزايد لظاهرة التَّحرُّش بالنِّساء!!!». لأوَّل مرة في تاريخ البشرية وجد من يقول إنَّ التَّربية الدِّينيَّة هي سبب تدني الأخلاق وتزايد ظاهرة التحرش بالنساء. في مصر كل شيء ممكن. تاريخ الشعوب يشهد أنَّهُ كلما انهارت أخلاق المجتمع قام السلاطين باستدعاء الدين لرفع الأخلاق... إلا في مصر **السيسي** فإنها ترى أن الدين سبب تدني الأخلاق!!! هٰذا ما حدث لأوَّل مرة في التاريخ.

بالمناسبة مصر دائماً تسبق العالم العربي والإسلامي عشر سنوات عَلىٰ الأقل بهٰذا النوع من الجرأة تحديداً، ولا نتحدث عن الفتاوى التي تكاثرت في الآونة الأخيرة مما يضع العقل في الكف... أحياناً لا أحسبهم إلا أساتذة الماسون... الماسونية لا تسبقهم في ذٰلكَ.

وأضافت الوزارة حسبما أوردت صحيفة (رأي اليوم) أنَّهُ «جاء بعد عدة مشاورات»، بمعنى أنَّهُ ليس قراراً سيسيًّا. وبذلكَ يكون **السيسي** أكثر جرأة وشجاعة وبطولة من **حسني مبارك** الذي بدأ هٰذه الخطوة وعجز عن إكمالها.

فضيحة الغاز الجديدة

فضيحة الغاز الجديدة وحدها نكتة النكت، وأعجوبة الأعاجيب. ذكرنا في الحديث عن **حسني مبارك** فضية الغاز التي ما أنزل الله بها من سلطان. اتفاقية الغاز المصرية الإسرائيلية التي تصدر مصر بموجبها الغازل إلىٰ إسرائيل بأقل من سعر تكلفة الإنتاج بسبع أضعاف تقريباً.

تخيلوا كم هي خيانةٌ مجلجلةٌ تلك التي ارتكبها **حسني مبارك** بحقِّ مصر. إذا استطعتم تخيل كم هي مجلجلة وفظيعة فلن تستطيعوا تخيل فضيحة **السيسي** لأنَّها تتجاوزها بما لا يمكن تخيله من الأضعاف. عندما حدثت أزمة الطاقة في مصر آخر أيام **مبارك** قرَّر أن يشتري الغاز الذي باعه لإسرائيل فوافقت إسرائيل أن تبيعه الغاز ولٰكنَّ بسبعة اضعاف.

مع **السيسي** ننتقل إلىٰ خطوة أكثر تقدُّماً من ذٰلكَ كلِّه. من أوائل الفضائح التي أثيرت عَلىٰ حكومة الانقلاب اتفاقيات سريَّةٍ تَمَّ كشف تفاصيلها من خلال المتابعين وقعت بَيْنَ مصر وإسرائيل. وفي لقاء ببرنامج بلا حدود عَلىٰ قناة الجزيرة مع السَّفير **إبراهيم يسري** فيما أذكر في أواخر عام ٢٠١٢م، تحدَّث عن مخاطر هٰذه الاتفاقيات التي وقعتها حكومة الانقلاب. ولم تمض فترة طويلة حَتَّىٰ انجلت أبرز واحدة من أبرز هٰذه الفضائح.

نشر موقع مصر العربيَّة تحقيقاً بعناوين خطيرة جدًّا تكشف معالم هٰذه الفضيحة(١١٨)، عَلىٰ رأسها: «فضيحة: حكومة الانقلاب تشترى غاز إسرائيلي من حقول مصرية!!!»، ثمَّ: «سرقة الغاز المصري من البحر المتوسط»، ثمَّ: «**السيسي** وحكومتة يخشون مطالبة إسرائيل بإنهاء سيطرتها عَلىٰ غاز المتوسط». ثمَّ: «خبراء: آبار البحر المتوسط مصرية ١٠٠ %»، ثمَّ: «الحكومة تشتري غازا إسرائيليًّا من حقول مصريَّة». ثمَّ: «خبراء يطالبون الحكومة بمنع استغلال إسرائيل علاقاتها بقبرص للسَّيطرة عَلىٰ الاكتشافات». والعنوان الأخير: «ضياع ما قيمته ٧٠٠ مليار دولار غاز من البحر المتوسط من مصر».

يتابع الموقع قائلاً: «فجر الدكتور **رمضان أبو العلا** أستاذ هندسة البترول بجامعة فاروس بالإسكندرية والخبير البترولي مفاجأة من العيار الثقيل إذ كشف أنَّهُ عرض بالأدلة والإثباتات العلميَّة عَلىٰ المهندس **إبراهيم محلب** رئيس الوزراء ما يثبت أنَّ حقول الغاز التي تعمل بها إسرائيل في البحر المتوسط مصريَّة مع ضرورة الحصول عَلىٰ حقِّ مصر من الغاز بها إلا أنَّ الحكومة تخشىٰ اتخاذ قرار بشأنها».

وقال **رمضان** وفقا لمصر العربية إنَّهُ «عرض هٰذه الأدلة عَلىٰ رئيس الوزراء في اجتماع سابق معه إلا أنَّهُ خاف من اتخاذ قرار بشأنها، مطالبا الحكومة المصرية بضرورة التحرك للحصول عَلىٰ حقِّ مصر من الغاز في البحر المتوسط بدلاً من سيطرة إسرائيل وقبرص عليها». وأوضح أنَّهُ «أبلغ رئيس الوزراء بأنَّ أي حكومة سوف تستورد الغاز من إسرائيل سيتم اتهامها بالعمالة والخيانة، مؤكدًا

---

(١١٨) . مصر العربية: **فضيحة؛ حكومة الانقلاب تشتري غاز إسرائيلي من حقول مصرية** . ٢٠/١٠/٢٠١٤م.

أن مصر لديها إمكانية في إجراء مفاوضات لتعديل الاتفاقيات الخاصة بالغاز»(١١٩).

للأمانة إنَّ توقيع مصر الاتفاقية مع قبرص، كما أشار الدكتور **رمضان**، ترجع إلى عام ٢٠٠٣م، وهي اتفاقية استغلال الاكتشافات البترولية في البحر المتوسط، وبعد الإعلان عن الاكتشافات الكبيرة التي تمت في المنطقة قامت إسرائيل بتوقيع اتفاقية مع قبرص عَلىٰ رغم أنَّهُ ليس من حقِّ قبرص توقيع أيِّ اتفاقيات بشأن الغاز في البحر المتوسط إلا بعد الرجوع لمصر ورغم ذَلكَ وقعت مع إسرائيل. ولا أذكر علاقتها بما تحدث به السَّفير **إبراهيم يسري** في برنامج بلا حدود. ولٰكن مهما يكن من أمر تبقى الفضيحة فظيعة بكل المعايير والمقاييس.

مقارنات تفرض ذاتها

دعونا نقترب من الخاتمة بهٰذه المقارنات السريعة بَيْنَ **مرسي والسيسي** التي تداولتها وغيرها مواقع التواصل الاجتماعي:

أيام **محمد مرسي** تحدث الإعلام المصري (فلول **حسني مبارك**)، عن سدِّ النهضة فصوروا الموضوع وكأنَّ السَّدَّ قد تَمَّ بناؤه وانتهى، وأنَّ مصر ستموت من العطش وأنَّ **محمد مرسي** هو السَّبب... وفجأة عندما نجح الانقلاب **السيسي** فإنَّ الإعلاميين أنفسهم صوروا أنَّ المشاركة في بناء سد النهضة واجب وطني وديني وأخلاقي... ما هٰذا؟

(**١١٩**) . مصر العربية: **فضيحة؛ حكومة الانقلاب تشتري غاز إسرائيلي من حقول مصرية** . ٢٠١٤/١٠/٢٠م.

أيام **محمد مرسي** صوروا مشروع تنمية قناة السويس الذي طرحه **محمد مرسي** عَلىٰ أنَّهُ مؤامرة لبيع مصر ورهنها للخارج... وفجأة عندما نجح الانقلاب صور الإعلاميون والسياسيون أنفسهم مشروع تنمية قناة السويس الذي هو مشروع **محمد مرسي** بأنَّهُ مشروع قوميٌّ ونهبوا الشَّعب المصري من أجل البدء بالمشروع... وهيهات يكتمل.

أيام **محمد مرسي** صوروا **السيسي** عَلىٰ أنَّهُ من أقطاب الأخوان وهاجموا **محمد مرسي** عَلىٰ تعيينيه. وعندما قام **السيسي** بالانقلاب الإعلاميون والسياسيون أنفسهم صوروا **السيسي** عَلىٰ أنَّهُ **جمال عبد الناصر**... وقد صدقوا في ذَلكَ.

أيام **محمد مرسي** كانت تنقطع الكهرباء نصف ساعة أو ساعة فتثور الجماهير ووسائل الإعلام وتتهم **محمد مرسي** شخصيًّا وتطالب بمحاسبته شخصيًّا... بعد الانقلاب صارت تنقطع الكهرباء ساعات يوميًّا فيقول الإعلاميون أنفسم: من لا يعجبه فليغادر مصر، من أراد أن يعيش في مصر عليه أن يتحمل... بل إنَّ بعضهم ذهب إلىٰ اتهام **محمد مرسي** أيضاً بافتعال الأزمة وهو وكل قادة الأخوان في الزنازين من أول يوم في الانقلاب!!!

عندما بدأت بوادر أزمة الكهرباء في مصر طرح **مرسي** مشروع بناء محطات نووية لتوليد الطاقة الكهربائية بحيث تكفي مصر وتصدر الكهرباء، وعندما استلم **السيسي** قال: «أنا لن أقول لك لا تشعلوا اللمبات... أقول لكم لو كل واحد بَدَّلَ اللمبات العادية بلمبات توفير فكم سنوفر من الكهرباء يا ترى؟!».

خاتمة

لا أريد أن أطيل، فالكلام في مأساة مصر والمصريين لا تنتهي. ولٰكن لا يمكن إنها الكلام في **السيسي** من دون الوقوف عند الفلاتر. لم يصعقني أحد مثلما صعقني **السيسي** بفلاتره.

قال: سألوني لماذا تتكلم ببطئ؟

قلت لهم: أنا أتكلم ببطئ عشان الكلام عندي بيعدي عَلىٰ فلاتر.

... صمت

فلتر الصدق

... صمت

فلتر الأمانة

... صمت

فلتر الحق

... صمت

... صمت

... صمت

... صمت

ثمَّ فيه فتلر الأمر بيرضي ربنا ولا لاء

... صمت

... صمت

أنا بتعذب أوي عشان أتكلم

... صمت

أنا بعمل كل ده قبل ما اتكلم

... صمت

عمرك شفت في الدنيا حد بيعمل كده؟

.

لا، أبداً، السيسي وحده عنده فلاتر

ولا عزاء لمن يتكلمون بلا فلاتر

والسُّؤال الذي يفرض ذاته الآن: إذا كان **السيسي** بعد كل هٰذه الفلاتر قال: «كل حاجة ما ترضيش ربنا إحنا معاها، نؤيدها وندعمها». فماذا كان يمكن أن يقول لو لم يكن مزوداً بهٰذه الفلاتر؟!

هٰذه هي أمتنا.

أمتنا يا سادة

سيدة القيل والقال

أمتنا يا سادة

وحدها قادرة عَلىٰ المحال

قادرة عَلىٰ تغطية الشمس بالغربال

صَدَرَ لِلمُؤَلِف

- أعاجيب السياسة الأمريكية؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- أسس التوثيق؛ نحور نظرية عربية في التوثيق . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال و الاستقالة و الترميم . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.
- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.

- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة ؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خيار سياسي – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- تصنيف المقولات الجمالية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- تطوير التعليم العالي؛ الواقع والمشكلات والمقترحات . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- تفجيرات أيلول وصراح الحضارات؛ الولايات صنعت الحدث لتصنع المستقبل . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- الجمال وعلم الجمال . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- رئيس وأربعة فراعين . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.

- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- العرب أعداء أنفسهم؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.
- العرب جثة تنهشها الكلاب؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون – دار طلاس – دمشق – ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.

- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.
- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .

- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- وظيفة الفن . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٣م.

فهرس

. الإهداء..... ٥
. مخطط الكتاب..... ٧
. مقدمة الكتاب ٩

الفصل الأول

جمال عبد الناصر

عدواً للقومية العربية (١٧ . ٥٦)

. مقدمة..... ١٩
. في معاداة القومية العربية ٢٢
. تساؤولات محيرة ٣٠
. موقفه من إسرائيل..... ٣٦
. يهودية عبد الناصر ٤٦

الفصل الثاني

محمد أنور السادات

الضربة القاضية للأمة (٥٧ . ٨٤)

. مقدمة..... ٥٩
. نقاط على الحروف..... ٦٠
. مؤامرة الحرب الكاذبة..... ٦٦
. لماذا تأخرت التسوية؟..... ٧٧

. محطات في حياة السادات ٨٠
. خاتمة ٨٤

الفصل الثالث

محمد حسني مبارك

تعريب الخضوع لإسرائيل (٨٥ . ١٤٢)

. مقدمة..... ٨٧
. مبارك وجدار الفصل العنصري..... ٩٢
. مصر تحاصر غزة أكثر من إسرائيل..... ٩٥
. وانتصر مبارك على شريان الحياة..... ٩٩
. مصر تفتح معبر رفح..... ١٠١
. أوهام تكريس الانقسام..... ١٠٦
. مبادرة مصر لإنقاذ إسرائيل..... ١٠٨
. أسطورة العصر حسني مبارك..... ١٠٩
. مبارك يعقد مؤتمراً..... ١١١
. مصر شريك إسرائيل في العدوان على غزة..... ١١٥
. من جدار الفصل إلى السد الواطي..... ١٢٠
. الكويز شراكة مصرية إسرائيلية..... ١٢٣
. فضيحة الغاز ١٢٥
. مصر خط الدفاع الإسرائيلي الأول ١٣٠
. استبدادية قهرية هستيرية..... ١٣٦
. خاتمة ١٤٠

الفصل الرابع

من مرسي إلى السيسي

خنق الأمل في أول الطريق (١٤٣ . ١٨٨)

. مقدمة..... ١٤٥

. تنحى مبارك وسقطت الثورة..... ١٤٩

. الدولة كلها ضد مرسي..... ١٥٤

. عجائب انقلابية..... ١٦٢

. مهزلة الدستور ١٦٧

. مهازل المحاكمات..... ١٦٩

. فضائح الترشح والانتخابات..... ١٧١

. إسرائيل أولاً..... ١٧٦

. فضائح العدوان على غزة..... ١٧٨

. إلغاء التربية الدينية..... ١٨١

. فضيحة الغاز الجديدة..... ١٨٣

. مقارنات لا بد منها ١٨٥

. خاتمة..... ١٨٧

. صدر للمُؤَلف ١٨٩

. الفهرس..... ١٩٤

جميع الحقوق محفوظة
دار أنهار للنشر
ALL RIGHTS RESERVED

PRESIDENT AND FOUR PHARAOHS

BY PROF.DR. EZZAT ASSAYED AHMAD

Published By DAR ANHAR

Beirut. 2014

Emil: sameah3@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة
دار أنهار للنشر
ALL RIGHTS RESERVED

PRESIDENT

AND FOUR PHARAOHS

POLITIACL PAPERS

BY PROF. DR.
EZZAT ASSAYED AHMAD

دار الأهرام
2014
الدكتور عزت السيد أحمد
رئيس
وأربعة
فراعين